



جامعة الجنان

طرابلس - لبنان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الدراسات العليا

قسم الدراسات الإسلامية - التاريخ الإسلامي

الفتح الإسلامي لمدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا

(نصيبين - ماردين - ديار بكر - جزيرة ابن عمر - ميافارقين)

أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

إعداد

حسين علي

إشراف

الأستاذ الدكتور عمر عبدالسلام تدمري

العام الجامعي

٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

الإهداء

إلى والديَّ المحبين وإخوتي وزوجتي وأولادي يوسف وجنان ومراد

ولكل من ساعدني إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع . . .

شكر وتقدير

أشكر الله العظيم رب العرش العظيم وأحمده سبحانه حمد الشاكرين؛ إذ

هياً لي السبل وذل لي الصعاب كما أتوجه بالشكر الجزيل والإمتنان للأستاذ

الدكتور عمر عبد السلام تدمري لتوجيهاته ونصائحه وأيضاً أشكر

الأساتذة لجنة مناقشة الأطروحة وأشكر جامعة الجنان والطاقم الإداري

فيها .

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة منطقة الجزيرة الفراتية العليا الواقعة في الإقليم الرابع الذي وصفه الجغرافيون بأنه أعدل الأقاليم. وهي الجزء الشمالي لمنطقة مابين النهرين أي دجلة والفرات، وهذه الدراسة محاولة لبحث فترة تاريخية مهمة من فترات تاريخ هذه المنطقة المزدهمة بالأحداث والتغيرات. والتي تبدأ من الفتح الإسلامي حتى نهاية العباسية مروراً بالأموية والحمدانية والسلجوقية. ذلك أن الجزيرة الفراتية خضعت قبل الإسلام لسلطتي فارس وبيزنطة، وكانت المساحة التي تسيطر عليها كل منهما تتناسب مع قوتها، ومع الأوضاع الداخلية التي تزح تحتها. وعلى هذا فإن منطقة الجزيرة لم تكن مستقرة في الفترة السابقة للإسلام بسبب الصراعات الطويلة التي دارت بين بيزنطة وفارس من أجل منافسة كل منهما للسيطرة عليها. وقد دفع سكان الجزيرة الفراتية ثمن عدم الاستقرار بسبب اضطراب الوضع السياسي، والصراعات الدينية التي سادت أجواء المنطقة بسبب تعدد الديانات، واختلاف المذاهب.

وجاء المسلمون لفتح الجزيرة الفراتية في الوقت الذي كان سكانها يعانون فيه من الضغوط النفسية، والاضطرابات الاجتماعية التي سببتها تلك الصراعات السياسية والدينية. فكان المسلمون الفاتحون المنقذ لسكان الجزيرة الفراتية بكافة فئاتهم العرقية والدينية من الظلم والطغيان اللذين مارسهما أباطرة بيزنطة وأكاسرة الفرس ضد سكانها.

لقد نتج عن اختلاط المسلمين الفاتحين بأهالي الجزيرة تأثرهم ببعض المظاهر الاجتماعية إضافة إلى تأثيرهم في أهالي الجزيرة.

ونتيجة لتأثر من أسلم من سكان الجزيرة وخاصة قبائل ربيعة بالأفكار النصرانية، وتأثرهم بالجدل الديني الذي درج عليه هؤلاء النصارى نجد أن هذه القبائل اعتنقت المذهب الخارجي، وساهمت على انتشاره في منطقة الجزيرة.

ثم إن لموقع الجزيرة الفراتية الاستراتيجي، وموقعها على الحدود الفاصلة بين الامبراطورية البيزنطية والمناطق المفتوحة من قبل المسلمين جعل الخلفاء المسلمين يحكمون المراقبة فيها. وبرز دور أهالي الجزيرة في عمليات المراقبة في الثغور والدفاع عن حدود الخلافة الإسلامية، وساهموا مع أهالي الشام في حملات الصوائف والشواتي البرية والبحرية وفي الصراع ضد البيزنطيين.

كما ازدهرت النواحي الاقتصادية في الجزيرة الفراتية بعد الفتح الإسلامي لها بسبب تسامح المسلمين مع أهالي البلاد المفتوحة، وحسن معاملتهم لهم.

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار مدى تنوع وغنى الجزيرة الفراتية العليا بطبيعتها الجغرافية والسكانية وما أنتجه هذا التنوع من حضارة علمية غنية، وإيضاح دور هذه المنطقة المهم في تطورات ومجريات الأحداث المتلاحقة خلال عصر الفتوحات الإسلامية، وما خلفته هذه الفتوحات الإسلامية من تأثيرات على جميع الأصعدة في الجزيرة الفراتية العليا ومدنها.

وقد تم اعتماد المنهج التاريخي وذلك من خلال استعراض السياق التاريخي في مسيرة الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا.

Abstract

This research is talking about the upper Euphrates Island area which is located in the Fourth territory. This Territory is the mildest according to geographers Besides its the north part of an area located between Tigris and Euphrates. This survey is also an attempt to research an important period of an area which has been subjected to many events and changes starting from the period of Islamic Conquer till the end of Vmayeh State and the beginning of Abassian State passing through many different periods.

Before Islam, this Island had been conquered by Persia and Byzantium authorities, each of which had controlled an area according to its strength and local circumstances at the time So, before Islam period , Island area had been living unstable conditions due to prolonged conflicts between Persia and Byzantium in order to take over the Island. As a result the inhabitant of this island had been negatively affected by the unstable political situations and religious conflicts prevailing due to numerous beliefs and different doctrines.

With the political stresses and social conflicts of the citizens caused by political and religious problems Moslems came to conquer this Island and release the citizens of different beliefs and ethnics from injustice and tyranny practiced against by Byzantium emperors and Persia caesars.

Consequently both Moslems and local inhabitants had been affected by each other regarding some social traditions.

As the result of the impact of christian thoughts on the new Moslems and the religious argument which the christian had followed we find out that Rabieha Tribe had embraced the external religious trying its best to publicize it through out the whole Island.

Besides, the strategic spot of the Euphrates Island and its location on the borders between Byzantium Empire and the areas conquered by Moslems, caused Moslem caliphs to watch the land strictly. In addition, the Island citizens had done their nest in Jihad process at the border spots protecting the Islamic caliphs boundaries. They also shared with people in their summer and winter, land and sea campaigns and in the conflict against Byzantium. In addition, the great behavior of Moslems, who conquered this Island, and their tolerance with its citizens led to flourishing economic conditions.

This study targets to reveal the variety and richness of the upper Euphrates Island due to its population and geography nature leading to a rich scientific civilization, showing the great effect of this region on the subsequent events during the age of Islamic conquests which had affected all the domains and aspects in the Island.

The historical approach has been used by presenting the historical context of the Islamic conquest for the upper Euphrates Island.

The study has concluded many important results summarized as the following:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حظيت الفتوح الإسلامية لبلاد الشام في عهد الخلفيتين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) باهتمام علمائنا المسلمين، فأفردوا لتأريخها الفصول الطوال، لا سيما وأنها تتحدث عن أكثر الحقب إشراقاً في تاريخ الأمة، ألا وهي حقبة نشر الدعوة الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية، والقضاء على ملكي فارس والروم.

امتدت هذه الفتوحات لتشمل دول العراق وفارس وأذربيجان شرقاً، ودول الشام ومصر غرباً، وانتقلت من نصرٍ إلى نصرٍ حتى دانت لها تلك الدول.

لقد أطلق الجغرافيون اسم الجزيرة على الجزء الشمالي من الأراضي المحصورة بين نهري دجلة والفرات وما يتبعها من الأقاليم والمدن الواقعة بين نهري الفرات غرباً ودجلة شرقاً، فهي تشكل الجزء الشمالي من العراق والشمالي الشرقي من سورية والجنوبي من تركيا. وسبب تسميتها (جزيرة) لكونها واقعة بين نهري دجلة والفرات.

وتتقسم الجزيرة الفراتية إلى عليا وسفلى، وتضم العليا أهم المدن وهي : ماردين، نصيبين، ديار بكر، رأس العين، حرّان، الرها، مَيّافارقين، الموصل، سنجار، جزيرة ابن عمر، دُنَيْسَر، وأمّا السفلى فتضم مدن: الرمادي، الحلة، تكريت، هيت، وغيرها من المدن.

وموضوع البحث سيكون عن مدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا تحديداً، وهي المدن الكبيرة التي مازالت باقية حتى الآن ولها ذكر في مصادر التاريخ وكتب الفتوحات، وهناك بعض المدن والبلدان سيذكرها الباحث بإيجاز بسبب قلة المعلومات عنها والتي لم تذكر بأسمائها في كتب الفتوحات ولم يأت أحد على ذكرها.

لقد خضعت الجزيرة الفراتية قبل الفتح الإسلامي لسلطتي فارس وبيزنطة، وكانت المساحة التي تسيطر عليها كل منهما تتناسب مع قوتها، ومع الأوضاع الداخلية التي تزح تحتها. وقبل الفتح الإسلامي مباشرة كانت بيزنطة تسيطر على القسم الأعظم من منطقة الجزيرة، ذلك الجزء الذي يمتد من الفرات الغربي إلى منطقة طور عبيد، وكان الحد بين ما تسيطر عليه بيزنطة، وما يسيطر عليه الفرس يقع إلى الغرب من نصيبين ودارا وسنجان.

كانت أوضاع الجزيرة الفراتية سيئة قبل الفتح الإسلامي بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والتي كان من أهم أسبابها أن المنطقة كانت مسرحاً للنزاع البيزنطي الفارسي، وكثيراً ما جرت في الجزيرة حروب دامية. وترافق مع ذلك عوامل طبيعية من زلازل وفيضانات خربت الحياة، فانكفاً الناس، وتراجعت الصناعة، وعانت التجارة من سوء الأمن، وتحول المزارعون والملوك الصغار إلى عبيد، وأُضف إلى كل ذلك الصراع المذهبي الذي نشب بين الأديان المختلفة التي وجدت في المنطقة، وبين مذاهب الدين الواحد. وخاصة الصراع الذي نشب بين المسيحيين أتباع المذهب النسطوري واليعقوبي ذلك الصراع الذي كان على أشده في القرن السادس الميلادي ومطلع القرن السابع.

حين كانت الجزيرة الفراتية تعاني من هذه الأوضاع السيئة كان الإسلام قد بدأ ينتشر بفضل الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق، وكان لابد للمسلمين من فتح الجزيرة الفراتية، تلك المنطقة

التي تتوسط وتفصل بين الشام والعراق. خاصة وأن هذه المنطقة أمدت البيزنطيين بقوة كبيرة لمساعدتهم في حصار حمص (١٧هـ/٦٣٨م) التي كانت مركزاً عسكرياً لهرقل. فأدرك المسلمون أن المناطق المفتوحة لن تكون آمنة إلا بتأمين فتح الجزيرة الفراتية.

ويتضح من هذا أن موقع الجزيرة الفراتية المهم هو الذي دفع المسلمين إلى التفكير في فتحها، إضافة إلى أنها تقع على الحدود الفاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية والمناطق المفتوحة من قبل المسلمين.

لم تكن الجزيرة الفراتية تتميز بالموقع الاستراتيجي المهم فقط، بل إنها كانت منطقة اقتصادية مهمة زراعياً وصناعياً وتجارياً، ثم إن غالبية سكانها من العرب الذين كان لابد من دعوتهم إلى الإسلام، أو على أقل تقدير تبعيتهم للخلافة الإسلامية.

ويمكن القول إن بعض أفراد هذه القبائل العربية من إياد والنمر وتغلب أسلموا وانضموا إلى المسلمين في فتحهم للجزيرة، في حين أن بعضهم بقي على دينه حتى بعد أن أتم المسلمون فتحها، ورفضوا دفع الجزية، ووافقوا على دفع الصدقة مضاعفة.

لقد كانت الجزيرة مسرحاً للخوارج ومركزاً لهم وانتشر الخوارج في الجزيرة الفراتية، والصفورية منهم بشكل خاص، لدرجة أن الجزيرة كما رآها عدد من المؤرخين كانت خوارجية، ولابد أن تكون هناك أسباب دفعت سكان الجزيرة إلى إعتناق الفكر الخوارجي.

لم يكن هذا فحسب، بل إن الجزيرة الفراتية غلب على سكانها قبائل عرب الشمال وعلى رأسهم القبائل القيسية، ولكثرة القيسية أطلق اسمهم على عرب الشمال جميعهم، وحين استقروا في المنطقة،

تداخلت منازلهم مع منازل قبيلة تغلب، ما أدى إلى نشوب صراع دام بينهم، وانشغلت قبائل عرب الشمال بقتال بعضهم بعضاً.

وهكذا يمكن القول إن منطقة الجزيرة الفراتية عانت من الصراعات القبلية التي أجبتها العصبية والمصالح الاجتماعية، والاقتصادية، والنزاع على الأرض، وغيرها مثل المصالح السياسية، وظهر هذا الصراع بعد معركة مرج راهط (٦٤هـ/٦٨٤م)، وانهزام القيسية في هذه المعركة أمام جيش الخصم الذي كان يتألف من القبائل اليمانية، وعلى رأسها قبيلة كلب والأمويين برئاسة مروان بن الحكم.

أجج نار هذا الصراع القبلي عوامل اجتماعية واقتصادية متعددة عدا ما ذكر وعلى رأسها سياسة الأمويين، وانحيازهم إلى فرع قبلي دون آخر بحسب الظروف، إضافة إلى ما كان يفعله الشعراء من تصعيد نار هذا الصراع.

سيتبين من خلال الدراسة أن الجزيرة الفراتية كانت إقليمياً مستقلاً بذاته اقتصادياً واجتماعياً وإدارياً وعسكرياً، فعلى الرغم من الطبيعة الجغرافية الواحدة لبلاد الشام إلا أن الجزيرة الفراتية كان لها كيانه المستقل، كما أنها شكلت بوابة اتصال بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى كأرمينية وأذربيجان وما نتج عن هذا الاتصال التجاري من اتصال حضاري وثقافي وتبادل خبرات وحدوث اختلاط سكاني بين المنطقتين.

لقد تميزت الجزيرة الفراتية منذ القدم وحتى حقبة متأخرة من العصور الإسلامية بموقعها الجغرافي والاستراتيجي المهم، فهي صلة الوصل بين بلاد الشام والعراق من جهة، كما أن ثغورها ربطتها بالبلاد المجاورة كالدولة البيزنطية من جهة أخرى.

وقد تميزت بالموارد الطبيعية التي ساعدتها على تكوين موارد اقتصادية من إنتاجها المحلي، بالإضافة إلى غناها السكاني المتنوع بين طوائف متعددة، مما جعلها تختلف عن غيرها بالصبغة السكانية وبالتمازج الذي حصل بين هذه الطوائف وأنتج مجتمعاً متحضراً.

واشتهرت مدن الجزيرة كالموصل و نصيبين وماردين وجزيرة ابن عمر والرّها والرقّة لدى الرحالة والجغرافيين فوصفوها بأفضل الصفات فقد وصف الجزيرة ابن حوقل فقال: الجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه، كانت معدن الأبطال، وعنصر الرجال وينبوع الخيل، وكانت هذه المدن مراكز اقتصادية تجارية وزراعية وصناعية، ومراكز علمية وفكرية مهمة.

وسنلاحظ من خلال الدراسة تميز الجزيرة الفراتية العليا بطبيعتها السكانية من مسلمين ونصارى من عرب وسريان وأكراد ويهود، ولقد شهدت الجزيرة الفراتية حركة عمرانية واسعة بعد الفتوحات الإسلامية وماكان من تأثير الفتوحات الإسلامية على المنطقة تمثلت بإنشاء مدن مثل الرافقة وجزيرة ابن عمر وغيرها من المدن التي قاموا بتوسيعها وإضافة منشآت عديدة شغلت دوراً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً مهماً، وسيتم استعراض مدن الجزيرة وما لعبته من دور مهم في حقبة عديدة، ولقد كان للجزيرة الفراتية عند الخليفة هارون الرشيد مكانة مميزة لدرجة أنه اختار الرقة أحد أهم مدن الجزيرة لتكون قاعدة لدولته المترامية الأطراف.

يعد هذا البحث دراسة لتاريخ الفتح الإسلامي لمدن الجزيرة الفراتية العليا ودراسة للأحوال الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية قبل الإسلام وإبان الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي دراسة تاريخية واجتماعية واقتصادية، وهو محاولة لدراسة مرحلة تاريخية مهمة من مراحل تاريخ هذه المنطقة المزدهمة بالأحداث والتغيرات.

أهمية الموضوع:

- ١ - تعد هذه الدراسة ذات أهمية كونها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في بلاد العرب.
- ٢ - هذه الدراسة هي محاولة علمية وأكاديمية، لتسليط الضوء على تاريخ الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا، لذا فإنها قد تسهم في الإثراء المعرفي والأكاديمي في هذا المجال.
- ٣ - تأتي أهمية الموضوع لما للجزيرة الفراتية ومدنها من أهمية تاريخية وكونها تعد ثغراً من ثغور المسلمين يحاذي دولتي فارس والروم ومنطلقاً لجيوش الفتح ومركزاً من مراكز تموينها فكان واجباً أن يفرد لها دراسة خاصة تعنى بتاريخ تلك المنطقة.
- ٤ - تتعلق أهمية الموضوع بالمدة الزمنية لموضوع البحث وهو عصر الفتوحات الإسلامية، إذ أخذت الدولة الإسلامية فيها التوسع خارج نطاق شبه الجزيرة العربية وحفلت تلك المرحلة بأحداث الفتوح وما رافقها من هجرات العديد من القبائل، وماترتب على ذلك من انتشار الإسلام ومبادئه.

أسباب اختيار البحث:

- ١ - يعود سبب اختيار هذا الموضوع للبحث إلى أن الجزيرة الفراتية شكلت قطباً رئيساً في التاريخ الإسلامي، فقد شغلت دوراً مهماً في تاريخ الخلافة في مناحٍ عدة: جغرافية وعسكرية واقتصادية، فهذه المنطقة تقع بين نهري الفرات غرباً ودجلة شرقاً وأعلى الفرات وروافده شمالاً، وتشتمل على ديار بكر، وديار ربيعة، وديار مضر نسبة إلى القبائل العربية التي سكنتها قديماً، فهي تلتصق بالشام من جهة والعراق من جهة أخرى وشغلت دوراً كبيراً، وكان لها أهمية واسعة ودور كبير للطرفين من خلال هذا الموقع الجغرافي المهم. أما عن دورها العسكري فقد كان لأهل الجزيرة دور في رد غزوات وهجمات الإمبراطورية البيزنطية، كما شغل الموقع المهم للجزيرة دوراً اقتصادياً

وتجارياً في جعلها عقدة مواصلات بين الشام، والعراق، وأرمينية، وأذربيجان. كما كان التنوع الاجتماعي والإثني في الجزيرة الفراتية يختلف عن غيره من الأقاليم.

٢- تسليط الضوء على هذا الموضوع الذي يحتاج إلى دراسات مُعمَّقة.

٣- المساهمة في إغناء المكتبة الإسلامية ببحث علمي أكاديمي يُعنى بهذا الجانب من الدراسات التاريخية.

٤- تعريف القارئ بتاريخ الفتح الإسلامي لمدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا والقبائل العربية التي تسكنها.

الدراسات السابقة:

كانت هناك دراسات سبقت هذه الدراسة، ولكل منها وجهة معينة تختلف عن الأخرى، وتختلف عن هذه الدراسة، فعند اطلاع الباحث وجد هناك بعض الرسائل الأكاديمية منها المنشور ومنها غير المنشور التي تتحدث عن الجزيرة الفراتية انفردت بعض الدراسات بمدينة واحدة من مدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا، وأغفلت مدناً أخرى، وهذه الدراسة تسد النقص في المعلومات حول المدن الأخرى والتي لم يرد ذكرها في أي من تلك الدراسات، وأيضاً جمعت هذه الدراسة مدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا في دراسة واحدة جامعة منذ الفتح الإسلامي حتى الحقبة العباسية والحمدانية مروراً بالفترة الأموية وصولاً إلى دخول المغول إلى أرض الجزيرة. وبعض الدراسات السابقة أغفلت موضوع القبائل العربية التي تسكن في تلك المنطقة فتم شرح توزع القبائل القاطنة هناك وأثبتت هذه الدراسة إنتماء هذه المنطقة للأرض العربية وكون الباحث من أبناء تلك المنطقة من مدينة ماردين فهذا الأمر ساعد الباحث على إنجاز هذه الدراسة.

١- "مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م" لحسن شمساني وهي أطروحة دكتوراه منشورة وقد تناولت مدينة ماردين فقط.

٢- " تاريخ جزيرة ابن عمر " ليويسف محمد غندور وهي أطروحة دكتوراه منشورة وهذه الدراسة متعلقة فقط بجزيرة ابن عمر في الجزيرة الفراتية العليا.

٣- " نصيبين من الفتح الإسلامي حتى الفتح العثماني " ليويسف نعيم علي أحمد وهي أطروحة دكتوراه غير منشورة.

٤- " الجزيرة الفراتية وديارها العربية " لعبد الحكيم الكعبي وهي رسالة ماجستير منشورة وهي تتحدث عن القبائل العربية المنتشرة في الجزيرة الفراتية ولم يتوسع الباحث فيها عن تاريخ الفتوحات الإسلامية وقادة الفتح الإسلامي لتلك المنطقة.

٥- " الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية " لعبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي وهي أطروحة دكتوراه منشورة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجزيرة الفراتية في القرن السادس والسابع الهجري لم يتطرق فيها المؤلف لتاريخ الفتوحات للجزيرة الفراتية أو قادة الفتح.

٦- " إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية دراسة في التاريخ السياسي " لعبدالله بن عبد الرحمن الخرعان وهي رسالة ماجستير غير منشورة.

٧- " الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية " لسعاد أحمد العمري وهي أطروحة دكتوراه غير منشورة.

الدراسات السابقة باللغة التركية:

٨- ديار بكر وفتحها الإسلامي "DİYAR-I BEKR VE MÜSLÜMANLARCA FETHİ (الجمعة كاران) وهو عبارة عن رسالة ماجستير مطبوعة ناقشها الباحث في جامعة دجلة في ديار بكر والكتاب يعتمد بشكل أساسي على المصادر والمراجع العربية ويتحدث الكتاب عن تاريخ الفتح الإسلامي لمدينة ديار بكر.

٩- " فاتح الجزيرة عياض بن غنم ٧٠٠ هـ ودخول الإسلام إلى ماردين " رسالة ماجستير غير منشورة (لعبد الباقي بوزكورت) وتستعرض الرسالة حياة الصحابي عياض بن غنم والفتح الإسلامي لماردين وتاريخ ماردين في الفترة الأرتقية

EL-CEZİRE FATİHİ İYAZ BİN ĞANEM VE MARDİN'İN İSLAMLAŞMASI

١٠- قدوم الإسلام إلى الأناضول كتاب مطبوع (لأحمد دمير) وهو يتحدث عن تاريخ الفتح

الإسلامي لمناطق جنوب وشرق تركيا "İŞLAM'IN ANADOLU'YA GELİŞİ"

١١- " حركة الخوارج في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي " رسالة ماجستير غير منشورة من ٦٥ صفحة (لإبراهيم كوناك) نوقشت في جامعة حرّان في محافظة أورفة عام ٢٠٠٦م.

ABBASÎLER DÖNEM_NDE EL-CEZÎRE BÖLGES_NDEK_HÂR_CÎ AYAKLANMALARI

١٢- " حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ١٠ هـ " رسالة

ماجستير غير منشورة للطالبة (عائشة غول أوزتورك) نوقشت في جامعة الفرات في محافظة ألابرغ عام ٢٠١١م.

HZ.ÖMER DÖNEMİNDE GÜNEYDOĞU ANADOLU'DAKİ FETİH HAREKETLERİ

١٣- " منطقة الجزيرة من القرن الثالث حتى بدايات الفتح الإسلامي " أطروحة دكتوراه غير منشورة للطالب (نوراي أرياجي) نوقشت في جامعة الفرات عام ٢٠١٢م.

III. YÜZYILIN İKİNCİ YARISINDAN İLK İSLAM FETİHLERİNE KADAR EL-CEZİRE BÖLGESİ

١٤- " تاريخ منطقة طور عابدين من الفتح العربي حتى الحكم السلجوقي " رسالة ماجستير غير منشورة للطالب (محمد كافاك) نوقشت في جامعة إسطنبول عام ٢٠١٣م.

Fetihten Selçuklu Hâkimiyetine Kadar TUR ABDÎN BÖLGESİ TARİHİ

إشكالية البحث:

- ١- هل فتحت مدن الجزيرة الفراتية العليا صلحاً أم حرباً؟
- ٢- هل لعبت مدن الجزيرة الفراتية العليا دوراً بارزاً في التاريخ الإسلامي؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار مدى تنوع وغنى الجزيرة الفراتية العليا بطبيعتها الجغرافية والسكانية وما أنتجه هذا التنوع من حضارة علمية غنية، وإيضاح دور هذه المنطقة المهم في تطورات ومجريات الأحداث المتلاحقة خلال عصر الفتوحات الإسلامية، وما خلفته هذه الفتوحات الإسلامية من تأثيرات على جميع الأصعدة في الجزيرة الفراتية العليا ومدنها في تركيا.

حدود البحث:

الحدود الزمنية: حدود البحث الزمنية هي المرحلة الممتدة من عهد ما قبل الإسلام حتى الحقبة العباسية مروراً بالفتوحات الإسلامية والحقبة الأموية.

الحدود المكانية: هي الجزيرة الفراتية العليا ومدنها في جنوب شرق تركيا بالتحديد.

المنهج المتبع:

المنهج التاريخي: وذلك من خلال استعراض السياق التاريخي في مسيرة الفتح الإسلامي للجزيرة

الفراتية العليا. إضافة إلى بعض الخطوات الآتية:

١ - الرجوع إلى المصادر والمراجع المختصة فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية بشكل عام، وكذلك

فيما يتعلق بالجزيرة الفراتية بشكل خاص.

٢ - ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في الأطروحة.

٣ - وضع الصور والخرائط المناسبة التي تدل على كل موقع.

٤ - وضع الفهارس العلمية المناسبة مقسمة على الشكل الآتي:

أ. فهرس الآيات.

ب. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ج. فهرس الأعلام.

د. فهرس الأماكن والبلدان والتعريف بها.

هـ. فهرس القبائل والفرق.

و. فهرس المصادر والمراجع.

ز. فهرس المحتويات.

صعوبات البحث:

لم تواجه الباحث صعوبات في قلة المصادر والمراجع العربية إنما واجهت الباحث صعوبات في قلة المصادر والمراجع التركية باعتبار المناطق التي هي مدار البحث تقع حالياً في تركيا فكان واجباً على الباحث الرجوع إلى المصادر والمراجع التركية لكن كان هناك ندرة وقلة بالأبحاث والدراسات المتعلقة بموضوع هذه الدراسة وبهذه الفترة التاريخية بالتحديد وإن وجدت فهي تتحدث عن تلك المنطقة في فترة الدولة العثمانية أو في العصر الحديث وهذه الفترة لم يتطرق إليها الباحث ولم تدخل في مجال البحث وعند اطلاع الباحث على تلك الدراسات باللغة التركية التي تتحدث عن الفتح الإسلامي لتلك المنطقة وجد أنها أيضاً قد اعتمدت بشكل أساسي على المصادر والمراجع العربية لذا كان سيتم ترجمة تلك النصوص من اللغة التركية إلى العربية وهي نفسها موجودة في المصادر والمراجع العربية والتي رجع إليها الباحث مباشرة ككتاب فتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري وفتوح الشام للأزدي والكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري وكتاب صورة الأرض للنصيري ومعجم البلدان لياقوت الحموي وتاريخ الرسل والملوك للطبري هذه المصادر اعتمد عليها الباحثون الأتراك بشكل أساسي حتى إنه قام بعض الطلبة والباحثين في الجامعات التركية بالتواصل مع الباحث للحصول على مصادر ومراجع عربية ليستعينوا بها في أبحاثهم فتم تزويدهم بها وبالرغم مما ذكر رجع الباحث للعديد من الدراسات والأبحاث التركية واستفاد منها واستعان بها في بعض النواحي وهي مذكورة في قائمة المصادر والمراجع الأجنبية.

خطة البحث:

تضمنت هذه الدراسة مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة وعدداً من الملاحق، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، أما الفصول فبيانها كالتالي:

المقدمة وفيها الافتتاحية وأهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجية الدراسة والدراسات السابقة.

الفصل الأول: وهو عبارة عن دراسة تمهيدية للموضوع عن جغرافية الجزيرة الفراتية وسكانها ومدنها والتعريف بمسمى الجزيرة الفراتية وموقعها وحدودها وتضاريسها وأقسامها والوضع الاقتصادي للجزيرة الفراتية.

الفصل الثاني: كان تحت عنوان الفتوح الإسلامية للجزيرة الفراتية العليا، ففي المبحث الأول تم التعريف بمعنى الفتوح وأهدافها والاستعدادات النبوية الأولى للفتوح والمبحث الثاني تناول الفتوح الإسلامية لمدن الجزيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم تطرق الباحث في المبحث الثالث للحديث عن أهم قادة الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا. وفي المبحث الرابع تم استعراض موقف أهل الجزيرة من الفتوحات والأسباب والعوامل التي ساعدت على الفتوح.

الفصل الثالث: غطى الأوضاع السياسية للجزيرة الفراتية العليا في العديد من الحقب وتاريخ الحركة العلمية الفكرية في الجزيرة، ففي المبحث الأول استعرضت الأوضاع السياسية في الجزيرة الفراتية قبل الفتح الإسلامي، وفي المبحث الثاني تاريخ الجزيرة الفراتية العليا في العصر الأموي، وفي المبحث الثالث تاريخ الجزيرة الفراتية العليا في العصر العباسي، وفي المبحث الرابع تاريخ الجزيرة الفراتية العليا في العصر الحمداني والسلجوقي، وتم استعراض مرحلة سيطرة المغول على الجزيرة وفي نهاية الفصل، تم الحديث عن الحركة العلمية والفكرية وأهم الرجال الأعلام الجزريين. وفي النهاية كانت الخاتمة وأهم النتائج وما توصلت إليه الدراسة.

دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث:

يمكن تقسيم المصادر والمراجع التي استُقيت منها مادة البحث إلى مايلي:

أولاً - كتب التاريخ:

لقد حظيت منطقة الجزيرة الفراتية اهتمام المؤرخين والباحثين منذ عهد مبكر، فقد كتب عنها مؤرخون مثل: عزالدين ابن شداد (ت: ٦٨٤هـ) في كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة حيث أفرد الجزء الثالث من هذا الكتاب للحديث عن الجزيرة الفراتية.

كما حظيت بعض مدن الجزيرة بكتابات خاصة من قبل بعض المؤرخين مثل تاريخ الموصل لأبي زكريا محمد بن أياس الأزدي (ت: ٣٣٤هـ).

كذلك يجد الدارس المدقق في الكتب التاريخية العامة معلومات ذات قيمة كبيرة وتنوعت كتب التاريخ العام التي تم الاستفادة منها، وأهم كتب التاريخ العام، تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت: ٣١٠هـ) ذلك الكتاب الذي تناول الأحداث التاريخية حولياً، واشتمل على العديد من الروايات المتنوعة، والمعلومات المفيدة المهمة التي أغنت البحث في مناحٍ متعددة، سواء في الإشارة إلى أوضاع الجزيرة الفراتية قبل الإسلام، أو فيما ذكر عن فتح الجزيرة، والقادة الذين ساهموا في فتحها، كما تم الإفادة من روايات متعددة عن الخوارج وثوراتهم ضد الأمويين.

كما تم الإفادة عن دور أهالي الجزيرة في المراقبة في الثغور وأورد الكتاب معلومات عن حملات الصوائف والشواتي.

وهناك كتب أخرى عالجت موضوع الجزيرة الفراتية ومدنها وفتوحاتها ضمن سياقات مختلفة، ضمن عرضها التاريخي العام ككتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠هـ) وكتاب تاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ).

فكتاب تاريخ خليفة بن خياط من الكتب التاريخية المهمة التي جمعت في طياتها العديد من المعلومات العامة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية، فقد أفاد في ذكر تاريخ فتح الجزيرة الفراتية وأيضاً من ظهر من الخوارج في الجزيرة ومن سكن الجزيرة من القبائل العربية كما أفاد في التعرف على التقسيمات والشؤون الإدارية في الجزيرة الفراتية.

وضم كل من كتاب الأخبار الطوال للدينوري (ت: ٢٨٢هـ) وكتاب مروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ) معلومات مهمة. وكذلك كتاب تاريخ مَيَّافَارِقِينَ لأحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت: ٥٧٧هـ) تم الاستفادة منه. وهناك العديد من المصادر التاريخية التي أغنت البحث بمعلوماتها المتناثرة.

ثانياً- كتب الفتوح:

أما كتب الفتوح فقد كانت الفائدة منها كبيرة، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتابا أبي عبد الله محمد ابن عمر الواقدي (ت: ٢٠٧هـ) تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، وكتاب فتوح الشام الذي يتوسع فيه الواقدي في ذكر الفتوحات الإسلامية لمنطقة الجزيرة الفراتية، فقد أفاد في روايات فتح مدن الجزيرة الفراتية وقادة الفتح الإسلامي، وألقى الضوء على القبائل التي شاركت في الفتح. وأيضاً كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ) والذي يسهب في الحديث عن مدن الجزيرة الفراتية وفتوحاتها.

أفاد هذا الكتاب إفادة كبيرة في الحديث عن روايات فتح مدن الجزيرة الفراتية وأيضاً الحديث عن معاهدات الصلح.

وجاء هذا الكتاب بعد الواقدي في الأهمية، فقد تضمن روايات تاريخية عن الأحداث المختلفة وخاصة في فتوح الجزيرة الفراتية. وكتاب فتوح الشام للأزدي (ت: ٧٨١هـ) أيضاً أفاد هذه الدراسة وكتاب الفتوح لابن أعم (ت: ٣١٤هـ) أيضاً أفاد هذه الدراسة.

ثالثاً- كتب الجغرافيا والرحالة:

تأتي المصادر الجغرافية ضمن سلسلة المصادر الغزيرة بالمعلومات المهمة عن مدن الجزيرة، وتعتبر عوناً كبيراً للباحث في التاريخ، تساعد في إتمام البحث، وخاصة في تحديد المنطقة والشعور التابعة لها، وغير ذلك من الأمور. وهذه المصادر كثيرة ومتنوعة، وأهمها كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (ت: ٣٨٠هـ)، فهو كتاب قيم أعطى وصفاً واضحاً عن جغرافية الجزيرة الفراتية وحدودها، ومدنها وأهم المزروعات التي اشتهرت بها كل مدينة من مدنها، إضافة إلى بعض المعلومات المتناثرة.

وجاء كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت: ٣٨٥هـ) بعد كتاب ابن حوقل في الأهمية. فقد سمى الجزيرة (أقور)، وأعطى وصفاً لأهم مدنها، وما اشتهرت به من بضائع.

ومن الكتب الجغرافية المهمة أيضاً كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، فقد تم الاستفادة منه في التعرف على مواقع مدن الجزيرة، والأنهار المتفرعة من نهري دجلة والفرات، وما ذكره عن ديارات ربعة، وبكر، ومضر، والمدن التي تضمها كل ديار. فهو كتاب قيم بمعلوماته المتنوعة.

وهناك العديد من الكتب الجغرافية الأخرى التي أفادت البحث في بعض جوانبه منها كتاب معجم ما استعجم للبكري فقد حوى بعض المعلومات عن القبائل التي نزلت منطقة الجزيرة، وتناول أيضاً وصفاً لديارات العرب في منطقة الجزيرة.

وأيضاً هناك الكتب التي تعرف بالبلدان وأماكنها الجغرافية والمسافات بينها وبين باقي البلدان الأخرى ككتاب مرصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي (ت: ٧٣٩هـ) وكتاب تقويم البلدان لأبي الفداء (ت: ٧٣٢هـ) وكتاب مسالك الممالك للإصطخري (ت: ٣٤٦هـ) وكتاب البلدان لليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ).

وهناك كتب الرحالة والجغرافيين الذين زاروا مدن الجزيرة الفراتية وقاموا بوصفها مثل ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ) وابن جبير (ت: ٦١٤هـ) وماركو بولو.

رابعاً- المراجع الحديثة:

قدمت المراجع الحديثة فوائد كبيرة للبحث، وتم الاستفادة بشكل خاص من الكتب التي تناولت دراسة مدينة واحدة من مدن الجزيرة.

ومن أهم هذه الدراسات أطروحة الدكتوراه للدكتور سعاد العمري الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فقد أمدت البحث بمعلومات قيمة وأيضاً رسالة الماجستير لعبدالله بن زيد الخرعان إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية.

وكتاب مدينة ماردين وكتاب مدينة سنجار وهما للدكتور حسن شمساني، وكتاب جزيرة ابن عمر للدكتور يوسف غندور، وكتاب بلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج وكتاب الجزيرة الفراتية وديارها العربية لعبد الحكيم الكعبي فقد أفاد في موضوع القبائل العربية وتوزعها في الجزيرة الفراتية وكتاب

الأعلام للزركلي وكتاب معجم ما استعجم للبكري بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة وقد تم إثباتها في قائمة المصادر والمراجع.



الفصل الأول

جغرافية الجزيرة الفراتية وسكانها ومدنها

المبحث الأول: التعريف بمسمى الجزيرة الفراتية وموقعها وحدودها وتضاريسها.

المبحث الثاني: أقسام الجزيرة الفراتية.

المبحث الثالث: اقتصاد الجزيرة الفراتية.

المبحث الرابع: القبائل والأقوام في الجزيرة الفراتية العليا.

المبحث الخامس: الطوائف الدينية في الجزيرة الفراتية العليا.

المبحث السادس: مدن الجزيرة الفراتية العليا.

المبحث الأول - التعريف بمسمى الجزيرة الفراتية وموقعها

وحدودها وتضاريسها:

المطلب الأول - موقعها وحدودها وتضاريسها:

أطلق الجغرافيون اسم الجزيرة على الجزء الشمالي من الأراضي المحصورة بين نهري دجلة والفرات^(١) وما يتبعها من الأقاليم والمدن الواقعة غربي دجلة وشرقي الفرات، فهي تشكل الجزء الشمالي من العراق والشمالي الشرقي من سورية والجنوبي من بلاد الأناضول في تركيا^(٢).
وسبب تسميتها "جزيرة" كونها واقعة بين نهري دجلة والفرات، وتعرف بأنها "صحيحة الهواء جيدة الريح والنماء واسعة الخيرات"^(٣). وأطلق عليها أرض (بلاد الرافدين) ميزوبوتاميا "Mesopotamia" وأيضاً حسب التسمية اليونانية "ميزوبوتاميا" أي بلاد ما بين النهرين^(٤).

(١) أبو الفداء، المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، ص ٢٧٣. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت: ٣٤٠هـ/٩٥١م)، **مسالك الممالك**، مدينة ليدن الهولندية، مطبعة بريل، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ص ٧١. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، د.ت، ص ٥. قوينجو، مولود، **مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة**، مجلة جامعة صقاريا للآداب والفنون، عدد ١، ٢٠٠٨م، ص ١٣١.

(٢) ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج ٣، ق ١، ص ٣٩.

(٣) ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم محمد بن علي (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٨٩، وانظر الملحق رقم (١)، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٣٤.

(٤) مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العربية**، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٧، ص ٥٩٧. قوينجو، **مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة**، ص ١٣١.

أما المناطق المجاورة للجزيرة الفراتية من جميع الجهات، فيذكرها بشيء من الدقة أبو الفداء الذي يقول: " فعلى هذا تكون بعض أرمينية و بعض الروم غربي الجزيرة وبعض الشام وبعض البادية جنوبها، والعراق شرقيها وبعض أرمينية شماليها " (١) ويمكن إيجاز حدود الجزيرة بأنه يحدها من الشمال بلاد أرمينية و بلاد بيزنطية ومن جهة الغرب بيزنطية وإقليم الشام ومن الجنوب البادية وبلاد الشام، ومن الشرق العراق (٢) ولقد كان لموقع الجزيرة الفراتية، أثر كبير على استقرار السكان بها فقد كانت منطقة فاصلة بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية التي تنازعتها كل منهما.

ويعرّف ياقوت الحموي الجزيرة الفراتية بقوله: "هي المنطقة الواقعة بين دجلة، والفرات وتقع شمال العراق ومجاورة لبلاد الشام" (٣). والتي تمتد من تكريت على دجلة، إلى الحديثة وعانة على الفرات جنوباً، ثم تتجه شمالاً إلى منابع النهرين التي يقترب بعضها من بعض كثيراً (٤). وتضم كل ما حوى النهرين من مدن كالموصل (٥) وسنجار (٦).

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٣.

(٢) انظر ملحق رقم (١) و (٢).

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤.

(٤) شمساني، حسن، مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة ١٥١٥م/٩٢١هـ، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٤.

(٥) الموصل: بالفتح وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رجال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. قالوا وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لأنها وصلت بين بلد وسنجار والحديثة وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٦) سنجان: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عال ويقولون إن سفينة نوح عليه السلام لما مرت نطحته فقال نوح: هذا سنُّ جبلٍ جار علينا فسميت سنجان، قال ابن الكلبي: إنما سميت سنجان وأمد وهيت باسم بانيتها. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٦٢. وتقع حالياً في العراق.

وجزيرة ابن عمر^(١) ونصيبين^(٢) ورأس العين^(٣) وماردين^(٤) وديار بكر^(٥) وميافارقين^(٦) والرقعة^(٧) والرُّها^(٨) وغيرها من المدن والبلدات، وقد ذكر القلقشندي حدود الجزيرة الفراتية فقال "يحيط

(١) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت له امرأة بالجزيرة وذكر قرابه سنة ٢٥٠هـ، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٨. وتقع حالياً في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ١٢٠ كم.

(٢) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٨. وقد وصفها ابن حوقل فقال هي من أجل بقاع الجزيرة وأحسنها. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩١. وهي تقع في جنوب تركيا حالياً وتبعد عن العاصمة أنقرة ١٠٢٤ كم. انظر ملحق رقم (٣).

(٣) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة تقع بين حرّان، دُنَيْسَر، ونَصِيبين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤. وتقع حالياً في تركيا ومقابلها مدينة بنفس التسمية في الجانب السوري تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٩٢٥ كم.

(٤) ماردين: قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيْسَر ودارا، ونَصِيبين، وذلك الفضاء الواسع وقدامها ريبض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات، ومدارس، وريط، وخانقاهات، ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى، وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع، وعندهم عيون قليلة الماء وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم، البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٣، ص ١٢١٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩. وتقع حالياً في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٩٨٩ كم.

(٥) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً وأمد بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٦. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠١. وهي اليوم في عداد الأراضي التركية وتبعد عن العاصمة أنقرة ٨٨٤ كم.

(٦) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، ومعنى اسم ميافارقين (مياً) اسم الأودية (وفارقين) اسم امرأة بنتها فكأنهم يقولون أودية فارقين، ابن شداد، الأعلام، ج ٣، ق ١، ص ٢٦٠. وتقع اليوم في تركيا واسمها حالياً سيلفان (silvan) وتبعد عن العاصمة أنقرة ٩٥٩ كم.

(٧) الرقعة: هي مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٩.

(٨) الرُّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء بن البَلَنْدي ابن مالك بن دعر، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٦. وبعد ذلك سميت بأورفة أيام العثمانيين وهي الآن محافظة تقع جنوب تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٨٠٤ كم. وتسمى أيضاً مدينة إبراهيم الخليل حيث يقال أنه المكان الذي رمي فيه بالمنجنيق وأقيم في ذلك المكان مسجداً سمي باسمه وفيه بحيرة ماء وأسماك بلون أسود يقول الناس أن الحطب الأسود الذي أوقد قد تحول إلى أسماك. انظر ملحق رقم (٤).

بها الفرات من حدود بلاد الروم وهو طرف الحد الغربي للجزيرة، فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى ملطية^(١) إلى سُمَيْسَاط^(٢) إلى قلعة الروم إلى البيره إلى منبج إلى السن إلى الرقة إلى قرقيا إلى الرحبة إلى هيت إلى الأنبار، ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأنبار وتكريت وهي على نهردجلة إلى بالس، إلى حديثة على دجلة، إلى الموصل ثم يعطف الحد من الموصل، إلى جزيرة ابن عمر إلى آمد، ثم يسير الحد غرباً ممتداً بعد أن يتجاوز آمد، إلى حدود أرمينية، إلى حدود بلاد الروم، إلى الفرات عند ملطية من حيث وقع الابتداء فعلى هذا يكون بعض أرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة وبعض الشام وبعض البادية جنوبها، والعراق شرقها وبعض أرمينية شمالها تتبع إقليم الجزيرة^(٣) وتنقسم الجزيرة الفراتية إلى عليا وسفلى وتضم العليا أهم المدن وهي: الرقة، رأس العين، حرّان، الرها، ماردين، مَيَّافَرَقِينَ، آمد، نَصِيبِينَ، الموصل، سِنْجَار، جزيرة ابن عمر، وأما السفلى فتضم مدن: الرمادي، الحلة، تكريت، هيت، وغيرها من المدن، وموضوع البحث سيكون عن مدن الجزيرة الفراتية العليا في تركيا^(٤) وقد وصف الجزيرة ابن حوقل فقال: الجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه، كانت معدن الأبطال، وعنصر الرجال وينبوع الخيل^(٥).

ويطلق البعض على الجزيرة الفراتية اسم " أَقُور " أو " أَثُور " ويظهر أن هذا الاسم كان مستعملاً قبل الإسلام عند غير العرب بدليل أن أكثر المؤرخين والرحالة لم يستعملوا هذا الاسم، إلا ما كان من المقدسي، حيث جعل عنوان الحديث عن إقليم الجزيرة الفراتية جملة " إقليم أَقُور " في كتابه "أحسن

(١) ملطية: بلدة مشهورة من بلاد الروم وهي تتاخم بلاد الشام وهي للمسلمين وثغر من ثغورهم. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٢. وتقع حالياً في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٦٢١ كم.

(٢) سُمَيْسَاط: مدينة على شاطئ الفرات الغربي في طرف بلاد الروم كانت من الثغور الجزرية ومنها تخرج الجيوش الإسلامية إلى بلاد الروم. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٥٨. وتقع حالياً في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٧٧٩ كم.

(٣) القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م، ج ٤، المقالة الثانية، ص ٣١٤.

(٤) انظر ملحق رقم (٥).

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩١.

التقاسيم في معرفة الأقاليم" (١) وحين تحدث ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان عن كلمة " أقُور " ذكر أن هذا الاسم يطلق على كورة من كور الجزيرة (٢) ولعل هذه الكورة هي الموصل حيث أورد في موضع آخر أن الموصل كانت تسمى بـ " أنُور " أو " أقُور " ولم يجزم بذلك حيث قال " أو يطلق على الجزيرة بأسرها " (٣) (٤).

وقد حاول ابن شداد أن يزيل الشك عما تردد فيه ياقوت الحموي. حيث ذكر أن الجزيرة تعرف بجزيرة أنُور لمدينة كانت تسمى بهذا الاسم، آثارها باقية قريباً من الموصل (٥).

وترجع تسمية الإقليم بـ " الجزيرة الفراتية " إلى أن نهر الفرات يحيط به من جهات الغرب، والشمال، والجنوب، ويمتد الفرات في أراضي الجزيرة أكثر من امتداد دجلة فيها، وعلاوةً على ذلك فإن البعض يشير إلى أن المدن الفراتية الواقعة غربي الفرات تنسب إلى الجزيرة، وهذا ما يجعل المدن والقرى الواقعة على جانبي الفرات الشرقي والغربي تشكل نسبة كبيرة من أرض الجزيرة فلعل ذلك أيضاً مما يسوّغ إطلاق هذا الاسم على الجزيرة بأسرها من باب إطلاق الخاص على العام لاسيما إذا كان هذا الخاص يشكل نسبة كبيرة من هذا العام (٦).

(١) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مدينة ليدن الهولندية، مطبعة بريل، ط ٢، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ص ١٣٦. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٨.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) علي جان، مصطفى، مدينة مَيَّافَارِقِينَ في العصور الوسطى، أطروحة دكتوراه، جامعة آيجه، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إزمير، ٢٠١٢م، ص ١٨.

Alican, Mustafa, bir ortaçağ şehri olarak meyyâfârikîn, ege üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü , tarih anabilim dali, izmir, ٢٠١٢, s. ١٨.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤.

(٦) الخرغان، عبدالله بن عبدالرحمن بن زيد، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٥.

وقد تميزت الجزيرة الفراتية منذ القدم وحتى حقبة متأخرة من العصور الإسلامية بموقعها الجغرافي و(الاستراتيجي) المهم، فهي صلة الوصل بين بلاد الشام والعراق من جهة، كما أن ثغورها ربطتها بالبلاد المجاورة كالدولة البيزنطية من جهة أخرى.

وقد تميزت بالموارد الطبيعية التي ساعدتها على تكوين موارد اقتصادية من إنتاجها المحلي، بالإضافة إلى غناها السكاني المتنوع بين طوائف متعددة، مما جعلها تختلف عن غيرها بالصيغة السكانية وبالتمازج الذي حصل بين هذه الطوائف وأنتج مجتمعاً متحضراً واشتهرت مدن الجزيرة: كالموصل وماردين ونصيبين والرقّة والرّها لدى الرحالة والجغرافيين فوصفوها بأفضل الصفات، وكانت هذه المدن مراكز اقتصادية تجارية، وزراعية، وصناعية، ومراكز علمية، وفكرية مهمة.

ينقسم إقليم الجزيرة الفراتية على أساس وجود القبائل العربية التي دخلت الإقليم قبل الإسلام، حيث ينقسم إلى ثلاث ديارات ونسب كل قسم إلى القبيلة التي سكنته وهذه الأقسام هي: ديار بكر، ديار ربيعة، وديار مضر.^(١) (٢) فبكر (٣) وربيعة (٤) ومضر (٥)، قبائل عربية كبيرة سكنت الجزيرة الفراتية منذ القدم، فاصطبغت أراضي الجزيرة باسمها فديار بكر تقع في شمالي الجزيرة، وهي بلاد واسعة كثيرة الخيرات تنسب إلى بكر بن وائل، وحدودها غرب دجلة من بلاد الجبل المطل على نَصِيبين إلى دجلة وأهم مدنها: آمد، مَيَّافَرِّقِين، حصن كيفا^(٦)،

(١) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤٠، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٣٧. شميساني، مدينة ماردين، ص ١٥. انظر ملحق رقم (٦).

(٢) بوزكورت، عبد الباقي، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة سلجوق، معهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ، ٢٠٠٦م، ص ٧. Bozkurt, Abdulbaki, el-cezire fatihi iyaz bin ganem ve mardin'in islamlasmasi, selçuk üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, tarih anabilim dali, yüksek lisans tezi, ٢٠٠٦, s. ٧.

(٣) بكر: قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج ١، ص ٩٣.

(٤) ربيعة: حي من مضر من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن نزار بن مضر، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٤. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، د.ت، ص ١٠.

(٥) مضر: قبيلة عظيمة من العدنانية نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان وامتدت ديارها بالقرب من شرقي الفرات نحو حرَّان والرقعة وشمشَاط وكانت ديارهم بالجزيرة بين دجلة والفرات، ابن حزم، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٠٧. الهمداني، الحسن بن أحمد ابن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الحوالي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٧٥.

(٦) حصن كيفا: بلدة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥، وهي عبارة عن قلعة عظيمة وحصينة، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٢. والشائع الآن من اسمها في تركيا "حسن كيف" وتبعد عن العاصمة أنقرة ١٠١٣ كم.

أرزن^(١) (٢) (٣). وتقع ديار ربيعة إلى الشرق والجنوب من أراضي الجزيرة بين الموصل ورأس العين، وهي أكثر ديار الجزيرة اتساعاً، وفيها أعظم المدن قاعدتها الموصل ومن مدنها: نصيبين، ماردين، جزيرة ابن عمر، رأس العين، سنجار، دارا^(٤)، كفرتوثا^(٥)، بلد^(٦)، أذرمة^(٧)، دُنَيْسَر^(٨)، الخابور^(٩) (١٠).

(١) أرزن: مدينة مشهورة قرب أخلاط ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحي أرمينية وقد عدّ قوم أرزن من أطراف ديار بكر مما يلي الروم وقوم يعدونها من نواحي الجزيرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٠. وتبعد عن العاصمة أنقرة ١١٦ كم

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٦.

(٣) أرباجي، نوراي، منطقة الجزيرة من القرن الثالث حتى بدايات الفتح الإسلامي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الفرات، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، الآزيغ، ٢٠١٢م، ص ٢٣.

Arabaci, Nuray, *iii.yüzyilin ikinci yarısından ilk islam fetihlerine kadar el-cezire bölgesi*, doktora tezi, firat üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, elaziğ, ٢٠١٢, s٢٣.

(٤) دارا: بلدة بين نصيبين وماردين، وهي ذات بساتين ومياه جارية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٨. وهي في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ١٠٢٤ كم.

(٥) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بين دارا ورأس العين. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٦٨.

(٦) بلد: مدينة فوق الموصل على دجلة، وهي ذات مزارع كثيرة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨١.

(٧) أذرمة: من ديار ربيعة قرية قديمة، وفيها نهر يشقها وينفذ إلى آخرها وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وعليه رعى ماء، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٢.

(٨) دُنَيْسَر: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٨. وهي معروفة الآن باسم كزلبته (Kızıltepe) وتقع في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ٩٦٧ كم. أرباجي، منطقة الجزيرة من القرن الثالث حتى بدايات الفتح الإسلامي، ص ٢٤.

(٩) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة وهو ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من البلاد قرقيسيا وماكسين والمجدل وعربان، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين وينضاف إليه فاضل الهرماس ومد، وهو نهر نصيبين فيصير نهراً كبيراً ويمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي إلى قرقيسيا فيصب عندها في الفرات. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٤.

(١٠) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٥.

أما ديار مضر فهي غرب الجزيرة في حوض الفرات الأوسط، ومن أهم مدنها: حرّان^(١)، الرُّها، الرقة، سَرُوج^(٢)، قَرْقِيسِيَا^(٣)، بالس^(٤)، سُمَيْسَاط، هَيْت^(٥)، عانة^(٦)،^(٧). وكثيراً ما ذكر الجغرافيون ديار ربيعة وبكر معاً باسم ديار ربيعة، ويردون السبب في ذلك إلى أن القبيلتين من ربيعة، فابن حوقل قال: فأما الجزيرة التي بين دجلة والفرات فتشتمل على ديار ربيعة ومضر^(٨) كما أن ياقوتاً الحموي ذكر أن الجزيرة تشتمل على ديار مضر وديار بكر^(٩).

أما مدن الجزيرة فكانت موضع خلاف بين الجغرافيين، والمدن التي ضمتها الأقسام الثلاثة من الجزيرة لم تكن مستقرة، فكثيراً ما ضمت مدن الجزيرة من الشام، والعراق، فكانت بين مد وجزر بين البلدين.

وأبو الفداء ذكر ذلك بقوله: الجزيرة وهي البلاد التي بين دجلة والفرات وقد ضموا كثيراً من البلاد الفراتية في الجانب الآخر من الفرات من بر الشام إلى الجزيرة لقربها من البلاد الجزرية مثل الرحبة

(١) حرّان: مدينة مشهورة من جزيرة أقور وهي على طريق الموصل والشام. وقيل إن أول من بناها هاران أخو إبراهيم عليه السلام، وكانت منازل الصابئة، وعلا شأنها في عهد مروان بن محمد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥. وهي اليوم في عداد الأراضي التركية قريبة من مدينة أورفة وتبعد عن العاصمة أنقرة ٨٤٨ كم. انظر ملحق رقم (٧).

(٢) سَرُوج: بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٦. وتقع في الأراضي التركية وتبعد عن العاصمة أنقرة ٧٧٧ كم.

(٣) قَرْقِيسِيَا: بلد على نهر الخابور عند مصب في نهر الفرات وهي بلدة البصيرة الحالية وتقع في سورية. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٤) بالس: بلد بين حلب والرقة وكانت على ضفة الفرات الغربية. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٨.

(٥) هَيْت: سميت بذلك لأنها هوة في الأرض، هي بلدة على الفرات فوق الأنبار مجاورة للبرية، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٢٠.

(٦) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت، وهي مشرفة على الفرات. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧٢.

(٧) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٦. الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٥٣.

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٩.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤. دحلان، أحمد زيني، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الميرية، مكة، ط ١، ١٣٠٢هـ/١٨٤٤م، ص ٣٦.

وغيرها^(١) وابن شداد يذكر بأن الموصل لم تكن تابعة للجزيرة، إلا في الحقبة التي امتدت منذ بداية صدر الإسلام إلى أيام بعض خلفاء العباسيين، ويقال بأن الموصل ظلت تابعة لبغداد حتى النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حيث تحولت بعدها لتصبح قطعة من بلاد الشام في عهد السلاجقة^(٢).

والحال كذلك بالنسبة إلى الثغور الجزرية، فالبعض يظن أن ثغور الجزيرة إنما هي مدن تابعة للجزيرة، فهناك تداخل ما بين مدن الجزيرة وثغورها ومدن الشام وثغورها، أما الحقيقة فإن أهل الجزيرة يغزون منها ويرابطون فيها فلذلك ارتبطت بهم.

المطلب الثاني - الجبال والأنهار:

إن أهم ما يميز به إقليم الجزيرة الفراتية تمتُّعه بجميع المظاهر الطبيعية من جبال، وسهول، وهضاب، وأنهار جارية، وأودية كبيرة، وعيون متدفقة بالإضافة إلى خصوبة الأرض وتنوع النباتات وقد تميزت تضاريس الجزيرة بقلة ارتفاعاتها عموماً، فهي عبارة عن هضبة متوسطة الارتفاع تحوي سهلاً مترامي الأطراف يتخللها بعض الجبال وتشكل معظمها الجزء الشمالي من الجزيرة الفراتية أبرزها: جبل "بالوسا" بنصيبين [في تركيا] ويذكر البعض أنه أنزه مكان بها^(٣)^(٤). ومنها جبل ماردين

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٣.

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤.

(٣) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٥٢. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩١.

(٤) غونيش، حسين، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عبيد، مجلة كلية الإلهيات في جامعة شرناق، شرناق،

٢٠١٢م، العدد ٦، مجلد ٣، ص ٧٢.

[في تركيا]، جبل طور عبيد [في تركيا] يتوسط بين مدن عدة: جزيرة ابن عمر، ماردين، نصيبين، آمد، سِعر^(١).

جبل عبد العزيز [في سورية]: الممتد بين نهري البليخ والخابور.

جبل سنجار [بين سورية والعراق]: الممتد بين نهري دجلة والخابور، ويحوي ودياناً سحيقة.

وهناك في الطرف الغربي من دجلة جبال بارِماً (بيت الرمان) الممتدة إلى الجنوب من الموصل^(٣).
جبل الجودي [في تركيا]: الذي يقع قرب جزيرة ابن عمر وهو مجموعة من قمم شاهقة، وتشرف على حوض دجلة، وذكر المقدسي أن الجودي من جبال الجنة^(٤). وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سياق الحديث عن الطوفان حيث استقرَّت سفينة نوح ومن معه على هذا الجبل^(٥) وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيَضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٦) وقد وصف هذا الجبل الرحالة "ماركو بولو" في رحلته فقال عنه: "جبل شاهق الارتفاع بالغ الضخامة، وهو الذي استوت عليه فيما يقال: فلك نوح. فهو لهذا

(١) سِعر أو سِعر: بكسر السين والعين وقيل إسعد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وهي مدينة من ديار ربيعة، من الجزيرة، وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة، على القرب من شط دجلة من جهة الشمال والشرق، وبها الأشجار الكثيرة من الرمان والتين والكروم، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٤، المقالة الثانية، ص ٣٢٤، أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٢٨٩. وتقع في شرق تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة ١٠١٩ كم.

(٢) أغناطيوس أفرام الأول برصوم، **تاريخ طور عبيد**، ترجمة، غريغوريوس بولس بهنام، بغداد، د.ن، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص ١٩٨.

(٣) ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج ٣، ق ١، ص ٣٩-٤٠.

(٤) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص ١٣٦.

(٥) الإصطخري، **مسالك الممالك**، ص ٥٥. ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٧٠م، ص ١٧٢.

(٦) سورة هود، الآية: ٤٤.

يسمى جبل الفلك. ولا يمكن الدوران حول قاعدته في أقل من يومين. والصعود عليه يتعذر بسبب ما يتراكم عليه قرب القمة من الثلوج، التي لا تذوب أبداً^(١).

بالإضافة إلى هذه الجبال، هنالك السهول المتنوعة على سطح الجزيرة، وهي سهول ذات سطوح سهلة الانحدار، متقاربة في الارتفاعات تعلوها بعض التلال الصغيرة المنفردة، وعلى الأرجح أن هذه التلال صنعها الإنسان القديم لأغراض خاصة به، وهي تشكل أحد أهم مخلفات الحضارات القديمة، وتوجد أودية كثيرة تخترق أراضي الجزيرة، وتشكل هذه الأودية روافد مياه غزيرة خاصة في فصل الشتاء، وأهمها: وادي نهر دجلة، وادي نهر الفرات، وادي نهر البليخ، وادي نهر الخابور.

هذا من حيث الجبال، أما عن الأنهار والمنايع المائية فإن الجزيرة الفراتية غنية بمياهها إلى درجة كبيرة، وإن لهذه المياه أهمية كبيرة في حياة الإنسان قديماً وحديثاً، فقد ارتبط بقاء الإنسان بوجودها، وبالقرب من مصادرها قامت الحضارات وازدهرت المدن. والجزيرة غنية بالمياه السطحية والجوفية وذلك بسبب الجبال الغربية من أرمينية، والتي تشكل خزاناً للمياه من خلال الثلوج التي تتراكم عليها في الشتاء فتذوب في الربيع، وتغذي الأنهار بالماء، وأهم الأنهار التي تمر في أراضي الجزيرة نهر الفرات ودجلة، اللذان ينبعان من جبال طوروس في تركيا ويمران بالجزيرة، فيسقيان أراضيها^(٢)، وعلى ضفاف هذين النهرين قامت أشهر مدن الجزيرة مثل الرقة، الرافقة، ورحبة مالك على الفرات، والموصل على دجلة^(٣).

(١) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط٢،

١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٥٣.

(٢) انظر ملحق رقم (٥).

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٢١.

وينبع أيضاً من أراضي الجزيرة نهر الخابور، ويتشكل هذا النهر من خلال تجمع أكثر من ثلاثمائة عين صافية تتبع في مدينة رأس العين فتشكل مجتمعة نهر الخابور ويصب في نهر الفرات عند قَرَقِيسِيَا^(١) ونهر الهَرَمَاس وهو نهر نَصِيبِينَ حيث يمر بأراضيها ويروي بساتينها، ويصب في الخابور، ويسمى أيضاً نهر الجعجغ^(٢) ونهر البليخ الذي ينبع من منطقة قريبة من حرَّان ويصب في الفرات، وهناك أيضاً بعض الأنهار الصغيرة مثل نهر جلاب، نهر الرد، نهر الساجور، نهر ديسان^(٣). والجزيرة غنية بالمياه الجوفية، وبالعيون التي تتفجر من أراضيها، وأهمها العيون التي تتبع من مدينة رأس العين، وأشهرها: عين الآس، وعين الصرار، وعين الرياضية، وعين الهاشمية وعين الزاهرية، وفيها نبع عين الكبريت المشتهر بأن مياهه تشفي من الأمراض^(٤).

ومن أشهر عيون الجزيرة:

عين حنبوص: وهي في مدينة مَيَّافَارِقِينَ وتروي بساتينها^(٥).

عين دارا، وعين الأحاتات في مدينة سنجار^(٦).

العين الطويلة، والعين المدورة في مدينة الرُّها^(٧).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٠، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله إسماعيل

الصاوي، القاهرة، مكتبة الشرق الإسلامية، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص ٤٩. ابن رسته، أحمد بن عمر، الأعلام

النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ج ٧، ص ٩٠.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨٣. سهراب، عجائب الأقاليم السبعة، تحقيق: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف

هولزهوزن، مدينة فيينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ص ١٢١.

(٣) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤٠-٤١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٦) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥٦.

(٧) المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ١٥٦.

عين سورا، عين زعورا، وعين باكلا في مدينة آمد^(١).

واستفاد أهالي الجزيرة من هذه المياه الوفيرة، فحفروا الآبار، ومدوا القنوات، وشكلوا الصهاريج لاستغلالها، فساعدتهم على ازدهار مدنهم.

المطلب الثالث - المناخ:

يسود المناخ المتوسطي في الجزيرة بشكل عام، حيث الشتاء البارد الماطر والصيف الحار الجاف فالمناخ يتدرج من الشمال إلى الجنوب، وتهب على الجزيرة الرياح من جميع الاتجاهات، الرياح الغربية، والجنوبية الغربية الرطبة، والشمالية الباردة، والرياح الشرقية الجافة، وتتعرض المنطقة للعواصف الترابية في فصل الصيف أما الأمطار فهي غزيرة في المرتفعات الجبلية وقليلة في البادية، وقليلًا ما تسقط الثلوج في الجزيرة، أي أن معدل الهطول ينخفض من الشمال إلى الجنوب^(٢).

المطلب الرابع - النبات والحيوان:

يتميز إقليم الجزيرة بتنوع الغطاء النباتي نظراً لتنوع التضاريس، فنجد أشجار الحور، والصفصاف على ضفاف نهري دجلة، والخابور، وفي المرتفعات نجد مساحات من السنديان، والصنوبر والبلوط، وأشجار العنب وبخاصة في أراضي ماردين وأشجار الزعرور والبطم الذي يصنعون منه الصابون وهناك نباتات معمرة كالحرمل والشيخ، ونباتات زهرية كالأقحوان، والخزامى، والبابونج وغيرها...، وبعد هطول الأمطار تنمو أعشاب برية كثيفة تشكل مراعي للحيوانات، ونظراً لتنوع تضاريسها وغطائها النباتي، فإن هذا أدى إلى وجود أنواع كثيرة ومتعددة من الحيوانات، كالضباع والذئاب،

(١) المصدر نفسه، ج ٣، ق ١، ص ٢٥٨.

(٢) مارديني، أحمد شريف، محافظة الحسكة، دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٢.

وابن آوى، والأرناب، والعقارب، والقنافذ، والأفاعي، وتكثر فيها طيور القطا والحجل والهدهد، والنسور، والصقور، والعقبان^(١).

المبحث الثاني - أقسام الجزيرة الفراتية:

قسم المؤرخون والجغرافيون المسلمون الجزيرة الفراتية إلى ثلاثة أقسام، ومنهم من قسمها إلى قسمين، تبعاً للقبائل التي استوطنتها. وقد جاء هذا التقسيم الذي ذكره المؤرخون والجغرافيون المسلمون نتيجة لاستقرار هذه القبائل في المنطقة، ومحاولتها الحفاظ على مساكنها في الجزيرة بكل ما أوتيت من قوة، على الرغم من كل ما تعرضت له المنطقة من منافسات للسيطرة عليها، وأطلق لفظ ديار على كل المناطق التي غلبت عليها هذه القبائل، وألحقت كلمة ديار بالقبيلة الغالبة عليها فعرفت الديارات باسم ديار ربيعة نسبة إلى قبيلة ربيعة، وديار بكر نسبة إلى قبيلة بكر، أحد بطون ربيعة الكبرى، وديار مضر نسبة إلى قبيلة مضر^(٢). وجميع هذه القبائل من عرب الشمال من أبناء نزار بن عدنان الذين خرجوا من جزيرة العرب قبل الإسلام لأسباب متعددة اقتصادية واجتماعية^(٣). فكانت منطقة الجزيرة الفراتية مستقرهم الجديد الذي توفرت في جميع احتياجاتهم، وسنتعرف على كل ديار على حدة، وهي كما يلي:

(١) المرجع نفسه، ص ٤٩-٥٠.

(٢) انظر ملحق رقم (٦).

(٣) العمري، سعاد أحمد، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٤١.

المطلب الأول – ديار ربيعة:

وتتألف من الأراضي الواقعة شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من مدينة رأس العين، ومن الأراضي التي تقع شرق نهر الهرماس المنساب في وادي الثرثار باتجاه نهر دجلة. وكذلك مما على ضفتي دجلة من أراض تمتد بانحدار النهر من تل فافان شمالاً إلى تكريت جنوباً. وتشمل الأراضي الواقعة غرب دجلة حتى نصيبين الواقعة وسط الجزيرة^(١).

ويشمل ديار ربيعة المدن الآتية:

أ- جزيرة ابن عمر: كانت تسمى جزيرة الأكراد^(٢) وفي تسميات أخرى باقردي أو بازدي نسبة لبلدتين كانتا تقعان بجانبهما فعندما يذكر اسم باقردي أو بازدي في كتب التاريخ فهذا يعني جزيرة ابن عمر، ويقال: إن الحسن بن عمر التغلبي بناها على أنقاض قرية اسمها (كاسرا دجلة) أي قصر دجلة أو حصن دجلة^(٣).

وتقع جزيرة ابن عمر على الضفة الغربية من المجرى الأوسط لنهر دجلة، في أول خط الملاحة النهرية لدجلة في الشمال من الجزيرة الفراتية^(٤)، بينها وبين الموصل ثلاثون فرسخاً^(٥)،

(١) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشيرفرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١١٥.

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٢١٣.

(٣) غندور، محمد يوسف، تاريخ جزيرة ابن عمر، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ١٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٨.

(٥) انظر ملحق رقم (٨) و (٩).

(٦) الفرسخ في اللغة ثلاثة أميال بالهاشمي، أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف وبالمقاييس الحديثة ٥٥٤٤م/متراً، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٥٧.

ومن أعمالها كورتان شهيرتان هما بازندى، وباقردى في غربي دجلة^(١).

ب- بلد: وربما قيل لها بلط بالطاء، واسمها بالفارسية شهر آباد، وتقع شمال الموصل، وجنوب جزيرة ابن عمر على نهر دجلة غرباً، تبتعد عن الموصل سبعة فراسخ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة وعشرون فرسخاً^(٢).

ج- الموصل: وتحتل مركزاً استراتيجياً مهماً، ولها العديد من القرى، والتي منها: تكريت، الطيرهان، والسن، والحديثة، ومرج جهينة، ونينوى، وباجلي، والحناية، وباجرمي. ومن أعمالها باعشيقا، وباعربايا، وبرقعيد، والبوازيح^(٣). وجبل الجودي^(٤).

د- ماردين: وتقع في أطراف الروافد العليا للخابور على جبل مرتفع.

هـ- دُنَيْسَر: وهي مدينة اشتهرت بسوقها الذي يعرف بسوق الأحد، يجتمع الناس فيه للبيع والشراء، وتجلب إليها البضاعة من سائر البلدان^(٥).

و- دارا: تقع إلى الجنوب من ماردين، بناها دارا (٣٣٦-٣٣١ ق.م)^(٦) وهو أحد ملوك الفرس الأخمينيين وتُعد قلعة عسكرية للبيزنطيين^(٧).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٤.

(٤) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ١، ص ٤٠٣.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٨. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٩-٢٠٠. ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٤٠.

(٧) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٤.

ز- نَصِيبِينَ: وهي مدينة (نسيب NISIBIS) عند الرومان^(١). وتقع على طريق القوافل إلى الشام^(٢). على مسافة عشرة فراسخ من سنجار، وتشير بعض المصادر إلى أن أهلها قوم من ربيعة من بني تغلب. كانت مسرحاً للصراع الفارسي البيزنطي^(٣).

ح- أذرمة: وتقع بين كورة البقعاء ونَصِيبِينَ وهي من قرى نَصِيبِينَ تقع بين نهريْن^(٤).

ط- كفتوتوا: وتقع على أحد الروافد التي تُكوّن نهر البليخ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ^(٥)، وهي أكبر من دارا.

ي- رأس العين: وهي (رأس أينا) عند الرومان. تقع على نهر الخابور^(٦)، وعرفت بهذا الإسم لكثرة العيون والينابيع فيها، قيل إن فيها أكثر من ثلاثمئة عين ماء جارية، وتعرف بعين الوردية^(٧).

ك- تل موزن: تقع بين رأس العين وسرّوج، وتبعد عن رأس العين عشرة أميال^(٨). وعن شِمَشَاط خمسة عشر ميلاً.

(١) لسترنج، المرجع نفسه، ص ١٢٤. يالجن قايا، دورسون بك، نصيبين ما بين القرن الثالث والسابع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة موغلا، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، موغلا، ٢٠١٠م، ص ١١.
Yalçinkaya, Dursunbey, **iii. ve vii. yüzyıllar arasında nusaybin, yüksek lisans tezi**, muğla üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, muğla, ٢٠١٠, s ١١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٣) غونيش، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عبيد، ص ٧٤.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٢. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ١٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦٨.

(٦) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٥.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٠.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٥.

ل- تل بني سيار: بليدة بين رأس العين والرقعة قرب تل موزن، أنشأ عليه مسلمة بن عبد الملك الحصن الذي عرف بحصن مسلمة^(١).

م- تَنْيِير: وهي تصغير تنور، وتقع على ضفة الخابور^(٢).

ن- عَرَبَان: تقع على الخابور تبعد عن قَرْقِيسيا أربعة مراحل^(٣).

س- الشمسانية: تقع جنوب عَرَبَان على ضفة الخابور الغربية^(٤).

ع- ماكسين: تقع على ضفة الخابور الغربية بينها وبين قَرْقِيسيا سبعة فراسخ^(٥).

ف- قرية واسط: تقع غربي الفرات مقابل الرقة، أحدثها هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٣م^(٦).

ص- برقعيد: مدينة واسعة تقع قرب نَصِيبِينَ، وهي من كور الموصل^(٧).

ق- سنجار: تقع وسط ديار ربيعة على الطريق الذي يربط نَصِيبِينَ بالموصل، بقرب جبل تحمل اسمه^(٨).

(١) البغدادى، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٩.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٦. المرحلة: المرحلة في اللغة المسافة التي يقطعها المسافر في يوم، والجمع مراحل. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٠٠٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦٢.

(٥) البغدادى، مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٥٢.

(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٧.

(٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٦٢.

ر- تل أعفر: وهو اسم لقلعة غربي الموصل بينها وبين سنجار في وسط واد فيه نهر جار، كثيرة الأشجار^(١).

ش- الحضر: وهي من مدن وسط الجزيرة القديمة، على بعد أربعة فراسخ من الموصل، تقع على ضفاف نهر الثرثار وتسمى قديما حترا^(٢) وقيل إن الذي بناها (الساطرون) الذي حكم الجزيرة والشام في القرن الرابع ق.م وسميت (عربايا) أي بلاد العرب لأنه قامت بها إمارة عربية.

المطلب الثاني - ديار بكر:

وتمتد من منبع نهر دجلة المنساب من الشمال إلى منعطفه الكبير نحو الجنوب حتى جزيرة ابن عمر، ويذكر بعض الجغرافيين المسلمين بأن ديار بكر هي ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، وقد يتجاوز دجلة إلى سِعر، وحيزان ومدن ديار بكر كالتالي:

أ- مَيَّافَارِقِينَ: وتقع على أحد المجاري المائية التي تغذي دجلة من منابعه العليا في أقصى شمال شرقي الجزيرة ما بين حدود الجزيرة وحدود أرمينية^(٣).

ب- أرزن: وتقع على الضفة الغربية من نهر سريط أحد روافد دجلة الشمالية، وهي غير أرزن الروم^(٤).

ج- سِعر أو سِعر: وقيل إسعر، تقع شمال شرق نهر دجلة والموصل، وتبعد عن مَيَّافَارِقِينَ مسيرة يوم ونصف^(٥).

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٨.

(٢) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢٩. الحميري، محمد عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٤٠٤، ٢/١٩٨٤م، ص ٥٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٣. انظر ملحق رقم (١٠).

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٠-١٥١. الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٦.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨٩.

د- آمِدْ: وتقع على جبل غربي دجلة^(١)، وهي بلد قديم حصين، ودجلة محيطة باكثره مستديرة به كالهلال^(٢).

ه- حصن كيفا: سماها الرومان كيفس أو كيفي ويقال لها أحياناً كييا^(٣)، تقع في حوض نهر دجلة بين جزيرة ابن عمر، و آمِدْ فيها حصن من أعجب حصون الجزيرة^(٤).

و- فافان: تقع على نهر دجلة جنوب مَيَّافَارِقِينَ^(٥).

ز- ثمانين: وهي من المدن القديمة في الجزيرة الفراتية، وتقع إلى الشرق من نهر دجلة على أحد روافده جنوب جبل الجودي، وسميت بثمانين نسبة إلى ثمانين شخصاً، استوطنوها بعد طوفان النبي نوح عليه السلام^(٦).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠١. البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٩٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦.

(٢) البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٦.

(٣) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٤٠٧. غونيش، إبراهيم،

دخول ديار بكر تحت حكم المغول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ماردين الأرتقية، معهد العلوم الاجتماعية،

قسم التاريخ، ماردين، ٢٠١٣م، ص ١١. انظر ملحق رقم (١١).

Güneş, Ibrahim, **diyâr-i bekr bölgesi'nin moğol hâkimiyetine girişi**, mardin artuklu üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, yüksek lisans tezi ,mardin, ٢٠١٣, s.١١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٤. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٣٠٠.

المطلب الثالث - ديار مضر:

تقع في غربي الجزيرة محاذية للفرات من سُمَيْسَاط حيث تغادر سلاسل الجبال فتتحدّر إلى عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ رافد الفرات المنحدر من حرّان^(١). ويمكن تتبّع مدن ديار مضر كما يلي:

أ- مدينة جسر منبج: وهي من المدن القديمة في الجزيرة، تعرف باسم هيرابولس^(٢). وعند هذه المدينة يوجد جسر منبج الذي اتخذّه زمن خليفة عثمان بن عفان للصوائف، وقد أنشئ على أنقاض جسر قديم^(٣).

ب- قلعة الدوسر: قرية قرب صفيين على الفرات، وقيل هي مدينة سبع التي وردت في التوراة. وتقع على تل مشرف على الفرات بين بالس والرقّة. ملكها في القرن الخامس الهجري رجل من قشير يقال له جعبر بن مالك. فعرفت بقلعة جعبر^(٤).

ج- الرقة: مدينة قديمة ورد اسمها في التوراة بلفظ كلنة، وأطلق عليها اليونان إسم كلينكوس نسبة إلى لقب سلوقس الثاني (٢٤٤-٢٤٢ ق.م) وتعني المنتصر. وسميت نيكيتاريوم أيضاً نسبة إلى لقب سلوقس الأول (٣١١-٢٤٤ ق.م). تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات^(٥).

(١) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٩.

وهي قصبة ديار مضر وأجل مدنها^(١).

د- الخانوقة: وتقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات بالقرب من الرقة^(٢).

هـ- قَرْقِيسِيَا: أو قَرْقِيسِيَاء كما وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي وبلفظ قَرْقِيسِيَا وردت في كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار وكتاب معجم ما استعجم عرفت بكرميش في التوراة، وهي تعريب كركيسيوم^(٣) المأخوذ من كركيس والذي يعني حلبة الخيل. وتقع عند مصب نهر خابور في الفرات إلى الجانب الشرقي منه في مثلث بينهما^(٤).

و- الرحبة: وردت في التوراة تحت إسم رحبوت، تقع جنوب قَرْقِيسِيَا على شاطئ الفرات، كما قيل إن الذي أحدثها مالك بن طوف في عهد هارون الرشيد^(٥).

ز- آلوسة: وتقع قرب عانة والحديثة، على ضفة الفرات الغربية، وقيل: إنها سميت باسم رجل اسمه آلوس^(٦).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٣. كافاك، محمد، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة إسطنبول، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إسطنبول، ٢٠١٣م، ص ٥.

Kavak, Mehmet, **fetihten selçuklu hâkimiyetine kadar tur abdîn bölgesi tarihi**, yüksek lisans tezi, istanbul üniversitesi ,sosyal bilimler enstitüsü, tarih anabilim dalı, istanbul, ٢٠١٣, s. ٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٣٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨. ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ١٥١.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ٢، ص ٦٠٨.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٦. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٦.

ح- هيت: تشير بعض الروايات إلى أن هيت اسم بابلي وهو القار الأسود، تقع غرب الفرات وعليها حصن، وهي تحاذي تكريت على مسافة خمسين فرسخاً^(١).

ط- الرُّها: وتعرف قديماً باسم أداسا. وتعتبر من أهم المدن الواقعة في الأطراف الشمالية لرافد البليخ، وهي مدينة محصنة ولها أربعة أبواب^(٢).

ي- سُرُوج: وهي مدينة قديمة تقع قرب حرّان، شرق الفرات على رافدي البليخ^(٣).

ك- حرّان: وهي من المدن القديمة، وتعتبر قصبة ديار مضر بعد الرقة. وتقع قرب منبع البليخ. وهي مدينة الصابئة^(٤).

احتلت حرّان مكانة مرموقة في التاريخ السياسي والإداري في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧٣٧-٧٣٩م). وفي عهد مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٥-٧٥٠م) آخر خلفاء بني أمية الذي اتخذها حاضرة للخلافة الأموية، فأصبحت مركزاً إدارياً مهماً.

ل- باجروان: وهي قرية من أعمال البليخ^(٥).

وخلاصة القول إن الجزيرة الفراتية بدياراتها الثلاثة ضمت مدناً وقرى وحصوناً على جانب من الأهمية، برز العديد منها في تاريخ المنطقة قبل الإسلام سياسياً واقتصادياً وإدارياً، كما حافظت

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٦. البغدادي، مرصد الاطلاع، ج ٢، ص ٧١٠. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ١٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٤.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٥.

المنطقة بكاملها على أهميتها بعد الفتح الإسلامي إلى درجة أن مروان بن محمد اتخذ من أحد مدنها مركزاً لعاصمة الخلافة الأموية.

المبحث الثالث - الاقتصاد:

المطلب الأول - الزراعة والرعي:

تميزت الجزيرة بمكانة اقتصادية مهمة، وذلك بسبب خصوبة أراضيها ووفرة مياهها، وتنوع تضاريسها، وموقعها التجاري المميز بين الشام والعراق، وقربها من أرمينية، حيث كانت تقع في طريق القوافل التجارية، واقتصاد الجزيرة زراعي بشكل رئيس.

وتُعدُّ الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية في الجزيرة، وقد شجعت جغرافية الجزيرة، وتنوع تضاريسها على اهتمام السكان بالزراعة، فالسهول الواسعة، والمياه الوفيرة والمناخ المتوسطي، كل ذلك ساعد على إنتاج محاصيل زراعية كثيرة، ومتنوعة، فقد نالت الزراعة اهتمام السكان الكبير، وكانت المصدر الأساس والرئيس لمعيشتهم، وساعدت الزراعة في توفير المواد الأولية للصناعات المحلية في الجزيرة، فوجدت في الجزيرة الزراعات الشتوية، والصيفية، والأشجار المثمرة، وغطت المزروعات بجميع أنواعها أراضيها، هذا وقد اطلعتنا كتابات الجغرافيين والمؤرخين القدامى والحدائى بطائفة من أنواع الزروع، التي كانت شائعة في إقليم الجزيرة عامة وفي بلاد ماردين خاصة كونها تعد منطقة خصبة جداً ومنها:

- الفواكه على اختلافها، من تفاح وإجاص وكرز وعنب وخوخ وتين ومشمش وجوز ولوز^(١)، ورمان^(٢).

- الثمار ذات القيمة الاقتصادية، كالزيتون والمحلب والبطم والسماق وجوز الطيب.

- الحبوب بأنواعها من قمح وشعير وذرة وفاصولياء وعدس وأرز وسمسم كذلك انتشرت في أرض ماردين زراعات القطن والكتان والتبغ^(٣).

وبالعودة إلى كتب الرحالة والجغرافيين عن مدن الجزيرة، يُرى أنهم يُشيدون بكثرة بساتين مدنها وكرومها وأشجارها المثمرة، ومن أشهر هؤلاء ابن بطوطة الذي ذكر في رحلته إلى نصيبين بأنها ملتفة بالبساتين والأشجار والفواكه وغزيرة المياه^(٤)^(٥).

وأهم زراعة انتشرت في الجزيرة كانت زراعة الحبوب، فمساحات واسعة من نصيبين، والموصل وآمد كانت تزرع بالقمح، والشعير^(٦).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٨.

(٢) المغربي، كتاب الجغرافيا، ص ١٥٧.

(٣) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣١٥.

(٤) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار)، تحقيق: محمد عبد

المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٤٧.

(٥) ناصرأوغلو، مهتاب، ماردين وماحولها في عيون الرحالة الغربيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حرّان،

معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، أورفة، ٢٠١٠م، ص ٣١.

Nasiroğlu, Mehtap, **Batılı Seyyahların Gözüyle Mardin Ve Çevresi**, yüksek lisans tezi, harran üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, tarih anabilim dalı, şanlıurfa, ٢٠١٠, s.٣١.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٨.

ففي نَصِيبِين كان يوجد أربعون ألف بستان، زرع فيها الحبوب، والقطن، والبقول، والسّمسم، والأرز والكروم، والفواكه، وكانت تعرف برخص الأسعار^(١).

وغطت أشجار التين، والرمان، والكروم المدن الواقعة في شمال دجلة^(٢) وتميزت سنجار بفواكهها الشتوية والصيفية في المواسم كلها، فأنتجت أراضيها الجوز، واللوز، والسّمسم، والزيتون والرمان، واشتهرت بأشجار النخيل فيها، فيقول عنها الإصطخري: ليس بالجزيرة بلد به نخيل سوى سنجار إلا أن يكون على الفرات^(٣). وكانت جزيرة ابن عمر غنية بالجوز، واللوز، والزبيب والتين^(٤).

وغطت أشجار البندق، والفسنق، واللوز، والزيتون والبطم بعض مدن ديار بكر وامتدت المزارع والبساتين في رأس العين نحو عشرين فرسخاً، والغالب على البساتين في رأس العين كان زراعة القطن.

وبما أن زراعة الحبوب (القمح، والشعير) كانت من أهم الزراعات في الجزيرة، لأنها الغذاء الرئيس للسكان، فقد وجدت في آمد والموصل مطاحن على الأنهار والعيون، حيث وجدت في الموصل مطاحن في وسط دجلة وصنعت من الخشب والحديد لطحن الحبوب، وكان يقل نظيرها في البلاد^(٥).

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨٩.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٩. الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٣.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

واهتم سكان الجزيرة بري البساتين والمزارع، ومع اعتمادهم على الأمطار الموسمية في الري، فهم اعتمدوا على الري الاصطناعي، فَجَرَوْا المياه المتفجرة من العيون، والأنهار عبر القنوات لإيصالها إلى الأراضي وحفروا الآبار ووضعوا الصهاريج لتجميع المياه للاستفادة منها^(١). فطرق الري هذه لم تكن حديثة وإنما فكر بها الإنسان منذ القدم لمساعدته في استهلاك المياه ولمواجهة الفيضانات، مما ساعده في تسهيل حياته.

وقد تميزت الجزيرة بثروة حيوانية ساعدت على توفيرها الأراضي الزراعية والبساتين والمراعي التي كانت تتمتع بأعشاب خصبة ووافرة وخاصة التي كانت تنبت بعد هطول الأمطار، وقد استخدم أهالي الجزيرة هذه الحيوانات في أعمالهم، فوجدت الإبل والخيول والأغنام والماعز والبغال والحمير، وأيضاً أنواعاً من الطيور الداجنة، وساعدت هذه الحيوانات على إنعاش الاقتصاد، فاستعملوا بعضها في حراثة الأراضي كالجواميس، واستفادوا من الأنواع الأخرى في التجارة والصناعة^(٢).

ويستخلص من هذه المعلومات التي وردت عن الجزيرة أن سكانها اهتموا بالزراعة، وبالثروة الحيوانية، وشكلت الدخل الرئيس في معيشتهم.

المطلب الثاني - الصناعة والحرف:

في إقليم الجزيرة اقتصرت الحياة الصناعية على الصناعات المحلية البسيطة التي كانت تقوم على تصنيع المنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية. فكثرة أشجار الفاكهة وما تنتجه من ثمار دفعت بالمزارعين المنتجين إلى تصنيع الفائض وتصديره في أغلب الأحيان. فكانت من ذلك صناعة المربيات والمشروبات والحلويات - من بينها المن والسلوى - والزبيب. وكذلك ساعدت زراعة بعض

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٩-٢٠٢. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٧.

(٢) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٧.

أصناف الحبوب على إيجاد صناعات نسيجية كتانية وقطنية. وكان لوجود شجرة الزيتون والبطم وبعض أنواع الحبوب كالذرة أن قامت صناعات الزيتون والصابون بمعاصرها ومعاملها المتعددة. إلى جانب ذلك انتشرت صناعات المنتجات الحيوانية من ألبان وأجبان ولحوم وشحوم وجلود. ولكثرة قطعان الماشية أنتج الصوف والوبر بكميات وافرة قامت عليها معامل ومصانع نسيجية، صوفية ووبرية، من أقمشة وبسط وسجاد وستور وغير ذلك. وكان لاتساع رقعة الغابات أثر في توفر ثروة خشبية قامت على إثرها الصناعات الخشبية، إلى جانب صناعة الأحذية التي توافرت لها المادة الجلدية. وكذلك كان في الجزيرة صناعات معدنية من حديدية وبرونزية وفضية إضافة إلى مصانع الأدوات الزجاجية وهذه الأخيرة كانت قد نالت شهرة واسعة طالت أسواق العالم المعروف آنذاك^(١) حيث وجد في ماردين جبل يحتوي على جوهر الزجاج وهو عبارة عن نوع من أنواع الرخام الشفاف يشبه الزجاج، فقامت على هذا الجوهر صناعة الأواني الزجاجية وتصديرها^(٢) ويصف ذلك الإصطخري بقوله: "وبالقرب من نصيبين جبل ماردين وهو جبل به جواهر الزجاج"^(٣).

وفي الموصل كانت تجفف الفاكهة وتباع وقد ساعد وجود شجر الزيتون والبطم على صناعة الزيت والصابون، ومدينة الرقة اشتهرت بهذه الصناعة. ففي نصيبين كان يصنع ماء الورد المستخدم في العطرة والطيب، إضافة إلى انتشار صناعات غذائية من المنتجات الحيوانية كالألبان والأجبان واللحوم في مدن الجزيرة كما ساعد توفر الصوف، والوبر اللذين شكلا المادة الأولية للصناعات

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٢٠.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٩. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٤.

(٣) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٣.

النسيجية، فصنع البسط، والسجاد، وزين بالنقش والتطريز^(١)، وفي آمدُ كانت تصنع الثياب الصوفية والكتانية^(٢)، واشتهرت ماردين بصناعة الثياب من صوف الماعز المعروف بالمرعز^(٣).

وازدهرت في جهات ماردين صناعة البناء المتقنة. وتدل بقايا العمارة من قلاع وحصون وأبنية ومشاهد وأضرحة التي لا تزال ماثلة للعيان أو تلك التي نقلت إلى دور الآثار، على أن تلك المنطقة كانت غنية بمواد البناء كمقالع الحجارة بأنواعها المتعددة والمشهورة منها - في معظم مناطق الجزيرة - حجر الحلان أو الرخام الأسمر، كما يلاحظ أيضاً كثرة استعمال مواد الرخام والجص بدليل توفرها هناك أو في المناطق القريبة منها. هذا وتطلعنا المصادر على مدى الذوق الرفيع الذي كان يتحلى به البناؤون في هذه المنطقة، ويظهر ذلك في التفنن في إقامة العماائر الدينية والمدنية وتزويدها بأشكال من العقود والمقرنصات، وتزيينها بالزخارف النباتية^(٤).

ويستخلص مما ورد سالفاً أن سكان الجزيرة عملوا على إيجاد صناعات خاصة بهم، حسب ما توفر لديهم من مواد أولية نباتية، وحيوانية محلية، وبالرغم من كونها صناعات بسيطة إلا أنها أسهمت في الدخل العام للسكان واشتهر بعضها في البلاد الأخرى كماء الورد، والصابون وغيرها.

(١) الخازن، ولیم، الحضارة العباسية، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٧١.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٥.

(٣) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٩. ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٤. ناير، شيخموس، الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند الأراتفة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة إسطنبول، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إسطنبول، ٢٠١٠م، ص ٩١.

Nayir, Seyhmus, artukluların sosyo-ekonomik, ve kültürel hayati, yüksek lisans tezi, istanbul üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, istanbul , ٢٠١٠, s ٩١.

(٤) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٢١. انظر ملحق رقم (١٢).

المطلب الثالث - التجارة:

احتلت الجزيرة موقعاً استراتيجياً مهماً، دفعها لشغل دور تجاري ضخم، فهي عقدة لطرق المواصلات التجارية بين الشرق، والغرب، فطرق التجارة الرئيسة تمر بأراضيها، كما أن السفن والقوافل والبضائع المحلية تخرج من الجزيرة إلى الشام والعراق وأرمينية وبلاد الروم وتعود محملة ببضائع هذه المدن. أما السلع التجارية التي كانت تخرج من الجزيرة إلى مناطق مختلفة فقد كانت متنوعة ومن إنتاج أراضي الجزيرة.

واهتم أهل الجزيرة بالتجارة فأنشؤوا أماكن خاصة كالأسواق والخانات وأماكن تخزين للبضائع وعرضها. وأهم أسواق الجزيرة سوق دُنَيْسَر الذي كان له أهمية كبيرة واتخذت فيه الخانات والفنادق والحمامات الخاصة بالتجار وغيرها^(١).

وعلى الرغم من أهمية سوق دُنَيْسَر، فإن أسواق حرَّان فاقتته أهمية، وكانت مدينة الرحبة محطة للقوافل القادمة من العراق والشام^(٢). أما جزيرة ابن عمر فقد كانت من أهم الموانئ النهرية؛ فالمراكب تصل إليها من أرمينية، والدولة البيزنطية، والعراق محملة بالبضائع المتعددة كالعسل والسمن، والمن، والجبن، والجوز، واللوز، والزبيب، والتين، ومن جزيرة ابن عمر توزع هذه البضائع في الموصل وجميع مدن الجزيرة^(٣).

واعتمد التجار في تنقلاتهم الطرق البرية، والنهرية، ومن أهم الطرق النهرية وأكثرها أماناً نهري الفرات، ودجلة فالملاحة على الفرات تبدأ من سُمَيْسَاط إلى بغداد وتنقل عبره بضائع كثيرة أهمها

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٢. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ٦٠-٦١.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨١.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٢.

الخشب من جبال أرمينية، وزيت الزيتون، والرمان من الشام وصنع لنقل الرمان مراكب كبيرة مطلية بمادة خاصة.

وعبر دجلة نقلت البضائع المختلفة كالفاكهة، والأسماك، والصناعات النسيجية من الموصل إلى بغداد، والشام، وأرمينية^(١). وعلى الرغم من استعمال نهري دجلة والفرات للملاحة، إلا أن الطرق البرية كان لها دور مهم في التجارة، وشغلت مدن الجزيرة محطات مهمة للقوافل التجارية، واهتم أهلها بإنشاء أماكن لاستراحة التجار^(٢).

وكانت المدن الواقعة على طريق القوافل تجني أرباحاً كثيرة؛ لقاء مرور هذه القوافل بأراضيها؛ فمن الممكن أن هذه المدن كانت تفرض ضرائب على التجار^(٣)، وأهم سلع الجزيرة التي كانت تصدر إلى أرمينية والشام والعراق: الحبوب، العسل، الجبن، الرمان، الزيت، الفواكه المجففة، ماء الورد، الأسماك، الصابون، الأقلام، الفحم، الصناعات النسيجية، الأواني الزجاجية والنحاسية^(٤).

ويمكن القول بأن حركة التجارة نشطت في الجزيرة، ودرت أرباحاً كثيرة، وساهمت في الاهتمام بالأسواق، والفنادق، والخانات، كما تأثرت بالحالة السياسية في البلاد، فنشطت التجارة وتقل التجار بحرية بين المناطق وتبادلوا السلع^(٥).

(١) الخازن، الحضارة العباسية، ص ٨٩-٩٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٣) متر، آدم، الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٢، ص ٣٣٦.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٥.

(٥) الخازن، الحضارة العباسية، ص ٧٨.

المبحث الرابع - القبائل والأقوام في الجزيرة الفراتية العليا:

المطلب الأول - العرب:

تمهيد:

السكان في الجزيرة، كانوا وما زالوا يتكونون من الفئات الرئيسية الأربع: العرب، التركمان، الأكراد، السريان. ومن مجموعات أخرى قليلة العدد إذا قورنت بها. ونظراً لندرة المعلومات الخاصة بهذه المجموعات فإننا سنقتصر البحث على الفئات الرئيسية فقط.

تميزت الجزيرة بمقومات عدة جعلتها موطناً للإنسان منذ القدم؛ فالموقع الجغرافي المتوسط، والمياه الوفيرة، والأرض الخصبة ساعدوا في استيطان السكان فيها، فأقاموا حضارات مزدهرة بقيت آثارها حتى وقتنا الحاضر، وهي تدل على عظمة تاريخها، وكانت الجزيرة أرضاً آمنة استقر عليها كثير من الأقوام كالعرب بمختلف قبائلهم كبنو تغلب^(١)، وربيعه، وبكر، وبني شيبان، وعقيل، وقضاعة، وأزد، وطيء، وكندة، وغيرهم الكثير. وكان لكثرة هذه القبائل وقوتها، وانتشار الدين الإسلامي واللغة العربية بين أفرادها، أن استطاعت أن تتغلب على بقية الأجناس المنتشرة في تلك المنطقة الجزيرة العامرة.

(١) بنو تغلب: حي من وائل من ربيعة من العدنانية و هم بنو تغلب بن وائل، وهم من أعظم قبائل ربيعة شأناً في الجاهلية حتى قيل لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس، وقد تلاً في سماءها نجوم لامعة في الفروسية والشعر ومنهم: المهلهل بن ربيعة، بطل بنو تغلب في حرب البسوس وعمر بن كلثوم. القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب، بيروت، اللبناني، ط ٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ١٨٦.

استقرت قبيلة ربيعة في الشرق، وقبيلة مضر في الغرب، أما بكر فقد أقامت في الشمال^(١). وعُرفت الجزيرة قبل الفتح الإسلامي بأسماء هذه القبائل العربية فقليل: ديار ربيعة، ديار مضر، ديار بكر^(٢). وتوجهت هذه القبائل نحو الجزيرة بعد أن تفرقت قبيلة قضاة^(٣)، فسكنت قراها وخالطوا أهلها وتكاثروا فيها، إلى أن أصبحت غالبية الجزيرة من هذه القبائل^(٤) كما أن بني تغلب سكنوا في الجزيرة، أي ما يعرف بديار ربيعة، وكانت غالبية التغلبيين من النصارى^(٥). والجدير بالذكر أن منازل تغلب كانت فيما بين الخابور والفرات ودجلة. وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين قَرْقِيسِيا وسنجار والموصل وماردين وحتى جزيرة ابن عمر شمالاً، وعانة وتكريت جنوباً^(٦). وتعرف هذه المنطقة بديار ربيعة، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حين قال: "وكانت بلادهم "أي تغلب" في الجزيرة بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة، وكانت لهم شهرة وكثرة"^(٧). وماردين ودارا ونصيبين وسواها كانت من ديار ربيعة ومن منازل التغلبيين الأوائل. وبني تغلب هؤلاء كانوا مواليين لآل مروان وحلفاء لهم.

(١) انظر ملحق رقم (٦).

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤٠.

(٣) قضاة: قبيلة من حمير من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقليل لهم قضاة، وهم بنو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٤٠٠.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤.

(٥) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ١٨٧.

(٦) شمساني، مدينة ماردين، ص ٥٦-٥٧.

(٧) القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٣٢.

ومع توسع حركة الفتح الإسلامي وانتشارها في الجزيرة، دخلت قبائل عربية إليها وسكنت فيها، وكانت من بني تغلب، وإياد،^(١) والنمر^(٢) وهذه القبائل كانت مع جيوش الفتح الإسلامي التي توجهت نحو الموصل، والجزيرة واستقرت هناك.

عاشت هذه القبائل منذ أن حلت هناك في نزاع وتناحر مستمرين، وذلك من أجل الاستئثار بالأرض الخصبة والمياه الوفيرة، وزاد من حدة التناحر هذا، النزوح المستمر للقبائل الأخرى إلى تلك الجهات، فنتج عن ذلك حروب متواصلة.

وأصقاع الجزيرة هذه التي وصفها الجغرافيون بأنها جليلة وغنية كان لا بد أن تثير أطماع الجيران من أصحاب الديار من القبائل الأخرى، ومنها بالتحديد قبيلة قيس.

وإلى جانب هذا السبب، كان هناك سبب آخر أدى إلى التناحر، تمثل في ميل العصبية القبلية التي كانت واضحة ومتأججة عند بعض القبائل إلى التعدي وحب السيطرة وبسط النفوذ على القبائل الأخرى. وهذا ما كان ظاهراً عند قبيلتي تغلب وقيس. لذا؛ كانت الظروف مهيأة للاقتتال في كل لحظة. فقيس ومن معها من بني سليم وكليب كانت تتحرش بتغلب وحلفائها، لتدفع بهم إلى الحرب دفعاً. وكانت قيس ومن معها يسيئون جوار تغلب ويسخرون من علمائهم من النصاري، فهاج ذلك بينهم شراً لم يبلغ الحرب. وكذلك، فإن العداء السافر الذي كانت تكنه قيس لآل مروان كان يثير غضب تغلب حلفاء آل مروان. وأشار بعض المؤرخين إلى ذلك بقولهم: "وكانت قيس كلها بالجزيرة

(١) إياد: بطن من مزقياء من الأزد من القحطانية وهم بنو إياد بن سود بن الحجر بن عمران بن مزقياء، المصدر نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٢) النمر: بطن من ربيعة من العدنانية وهم بنو نمر بن قاسط بن هنب بن قصي بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، المصدر نفسه، ص ٤٣٢.

فهم أهل خلاف لآل مروان" ^(١) ودخلت تغلب وقيس ومن والاهما في حرب ضروس عرفت آنذاك بالأيام. وهذه وردت أخبارها في العديد من الكتب التاريخية والأدبية القديمة والمنقولة.

والأيام تلك كانت قد عرفت بأسماء الأماكن التي جرت عليها أو بالقرب منها. ومن هذه الأيام نذكر على سبيل المثال: يوم الثرثار الأول، يوم الثرثار الثاني، يوم بلد، يوم ماكسين، يوم الفدين، يوم سنجار... ^(٢).

كما أن عياض بن غنم رضي الله عنه القائد الإسلامي الذي توجه لفتح الجزيرة، بعد أن فتح سنجار أسكن فيها قوماً من العرب وأقطعهم أراضي منها ليثبتهم في المنطقة.

وفي عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه انتقل إلى الموصل والجزيرة أعداد كبيرة من العرب، فأمر معاوية بن أبي سفيان وكان آنذاك والي الشام والجزيرة، بأن يرسل قبائل من العرب إلى المناطق النائية من الجزيرة ^(٣)، فتوجهت أعداد من القبائل العربية كالأزد، وطيء، وكندة، وعبد القيس، وأسد إلى نواحي ديار مضر وربيعة، وقد بلغ عددهم نحو أربعة آلاف رجل. كما ساعدت إقامة الجيوش العربية لبعض الحاميات لها في مدن الجزيرة على وصول فائض جديد من العرب إليها.

وقد تفاعلت هذه القبائل العربية القادمة مع أهالي البلاد، وشكلوا مزيجاً واحداً ساعد على نشر الدين الإسلامي واعتناقه من قبل الأهالي بسرعة كبيرة.

(١) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت: ٢١٠هـ/ ٩٢٢ م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ج ٦، ص ٨٦.

(٢) شمساني، مدينة ماردين، ص ٥٨.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٣٨.

وعاش المسلمون والنصارى في بلاد واحدة تربطهم المحبة وذلك بسبب الأخلاق الإسلامية التي كان يتمتع بها الفاتحون وتسامح الإسلام مع أهل الكتاب، واعتبارهم جزءاً من النسيج الاجتماعي، وعمل المسلمون في الجزيرة على بناء المساجد والجوامع فيها، لمساعدة المسلمين الجدد على فهم الدين الإسلامي واتباع تعاليمه بشكل صحيح، فكانت هذه المساجد والجوامع مراكز عبادة وعلم، تخرج منها رجال علم وقضاء وفقهاء وشيوخ وأئمة.

وتم بناء هذه المساجد مع سنوات الفتح الأولى للجزيرة، فقام والي الجزيرة سعيد بن عامر بن حذيم^(١) ببناء مسجد الرقة ومسجد الرُّها، وسار على نهجه والي الجزيرة الجديد عمير بن سعد الأنصاري^(٢)، فبنى المساجد في ديار مضر وربيعة^(٣) وقد قام والي الموصل عرفة بن هريثة البارقي^(٤) في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء المسجد الجامع في الموصل^(٥).

(١) سعيد بن عامر بن حذيم: من كبار الصحابة رضي الله عنهم وفضلائهم أسلم قبل خيبر، وهاجر فشدها ومابعداها كان مشهوراً بالخير والزهد تولى إمارة حمص في المحرم سنة عشرين ومات سنة إحدى وعشرين. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/٢٠١٢م ص ٥٨٠.

(٢) عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري: من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد فتوح الشام، وكان من الزهاد واستعمله عمر على حمص، وكان عمر يقول وددت لو أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين. ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ص ١١٤٤-١١٤٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٥.

(٤) عرفة بن هريثة البارقي: عرفة بن هريثة بن عبد العزي بن زهير البارقي أحد الأمراء في الفتوح وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة وذكر وثيمة في الردة أن أبا بكر الصديق أمد به جيفر بن الجلندي لما ارتد أهلها وروي عن سهيل بن يوسف عن القاسم بن محمد أن أبا بكر الصديق أمره في حرب أهل الردة وقال بن دريد في الأخبار المتنورة حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال أوصى عمر عتبة بن غزوان فقال فيها وقد أمرت العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفة بن هريثة فإنه ذو مجاهدة ونكاية في العدو وكذا ذكر ابن الكلبي وذكر سيف في الفتوح أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن سرح على الخيل عرفة بن هريثة فذكر القصة في فتح الموصل وتكريت وقال أبو زكريا المعافى الموصلي في تاريخ الموصل حدثني أبو غسان عن أبي عبيدة قال الذي جند الموصل عثمان وأسكنها أربعة آلاف وكان أمر عرفة بن هريثة فقطع بهم من فارس إلى الموصل. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١٠٢٣.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٦٥.

سار الولاة على خطى من سبقوهم في بناء المساجد والجوامع لتكون منارة هداية لجميع أهالي الجزيرة. ومما لا شك فيه أن هذا الخليط والمزيج من العرب وغير العرب شكل وحدة متلاحمة، أدت لإقامة حضارة مزدهرة في الجزيرة.

المقصد الأول - قدم الوجود العربي في الجزيرة الفراتية:

تُعدّ الجزيرة الفراتية من أقدم الأقاليم التي سكنتها قبائل العرب، سواء كانوا من أهل الحضر أم من أهل الوبر، إذ كانوا يجدون فيها ما يلئم ويصلح لمعاشهم البسيط ولرعي مواشيهم، فينتقلون فيها من مكان إلى آخر من دون أن يتعرض لاستقلالهم أحد، أو يتدخل في أمورهم غير شيوخهم وأمراء عشائهم، وقد أنشؤوا فيها حضارة عريقة، ما زالت آثارها شاخصة إلى يومنا هذا مع مرور عشرات القرون من السنين، كما تركوا أثرهم الواضح وطابعهم العربي المميز في حياة هذا الإقليم، وكان لهم نتاجهم الأدبي العربي الخالص، وأبرز ما وصلنا منه شعر الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقات السبع الذي كان من مواليد الجزيرة الفراتية.

وتدل أعلام الجزيرة الفراتية وأسماء مواضعها على قدم الوجود العربي فيها كباعربايا أو بيت عربايا في المصادر السريانية، وهو اسم لثلاثة أماكن يسكنها العرب منذ القدم، وأطلقت المراجع الفارسية على منطقة نَصِيبين وما حولها اسم عربستان، أي بلاد العرب، كما أطلق سترابو (ت: ٢٣م) الجغرافي المعروف على مناطق الجزيرة في جنوب المنطقة الكردية اسم بلاد العرب، والأسماء المتداولة بين العرب منذ صدر الإسلام لأقسام الجزيرة التي تثبتها البلدانيون والمؤرخون العرب القدامى بعد ذلك في مؤلفاتهم هي ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر، ويشير إسمها إلى أصل ساكنيها، وهو دليل واضح على أن العرب يشكلون أكثرية سكانية منذ القدم.

إن سكنى القبائل العربية في الجزيرة الفراتية يعود إلى عدة قرون، قبل الإسلام، حيث هاجروا إليها من موطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية، واستقروا في مناطق مختلفة منها، وكانت هجراتهم إلى إقليم الجزيرة متواصلة وفي مراحل تاريخية متباعدة، حيث كانت تلك الأرض تمثل امتداداً طبيعياً ومقداراً حيوياً لهم، وكانت الجزيرة العربية يوم ذاك تمثل خزاناً هائلاً يزدحم بالسكان، فلم يجد بداً من إفاضة مايزيد على حاجته، وكان انتقال الجماعات البشرية جملة أو أفراداً ظاهرة عامة في الشرق، فلم يقتصر نشاط المجتمع العربي في شبه جزيرة العرب على تنقل الأفراد، أو على هجرات القبائل وتمازجها داخل الجزيرة فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى أطرافها، وكان هناك تمدد لا ينقطع خصوصاً نحو الأطراف الشمالية، وقد يكون هذا التمدد بطيئاً لا يُشعر به أحياناً، وواضحاً أحياناً حتى يثير النزاع والخصومات، ولكنه في كل الأحوال كان متصلاً وقل أن يتوقف، وبذلك كانت جزيرة العرب مصدراً أساسياً لكل الموجات العربية والأقوام العربية القديمة ومنذ الألف الرابع قبل الميلاد، وكان الآراميون الذين استوطنوا الجزيرة الفراتية وبعض مناطق سورية آخريهم، وشكلوا ثقلًا بشرياً مهماً في الجزيرة، ترك آثاره الثقافية والحضارية فيها وفي عموم المنطقة منذ هجرتهم إليها. وتعد سنة (١٢٠٢ ق.م) وهي السنة التي سقطت فيها نينوى وزالت دولة الآشوريين بداية لهجرات عربية ضخمة أخرى إلى الجزيرة الفراتية، فقد حدثت هجرة واسعة إلى الجزيرة، امتدت شمالاً إلى نَصِيبين وديار بكر، وإلى ما وراء الرُّها وسهل أنطاكية، حتى صارت الأقاليم الشمالية لما بين النهرين بعد قرن من سقوط نينوى تُعرف باسم عرِبايا، وقد أقامت بعض القبائل العربية إمارات مستقلة في الجزيرة، منها إمارة الحضر التي حكمتها سلالة عربية مدة ثلاثة قرون، وكان أول حكامها أميراً عربياً اسمه (سنطروق)، ورد ذكره في نقوش اكتشفت هناك، نصت على أن أباه يدعى نصرأ وأن لقبه "ملك العرب"،

واستناداً إلى الطبري، فإن حكام هذه الدولة كانوا من قبائل قضاة^(١)، ويروي ياقوت الحموي: "إن بني قضاة لما افترقوا سارت قبيلة منهم إلى أرض الجزيرة، وعليهم ملك يقال له الضيزن بن جهلمة، فنزلوا في مدينة الحضر"، واستمرت مملكة الحضر حتى حكم الملك الساساني سابور الأول (٢٤١-٢٧٢م)^(٢).

وتشير بعض الدراسات إلى أن العرب استقروا على ضفاف دجلة والفرات منذ العصور السابقة للميلاد، فقد استقر الآشوريون - وهم فرع من الأقاليم العربية القديمة التي كانت تقطن أصلاً في شبه الجزيرة العربية وهاجروا منها - في الجزء الشمالي من العراق. وتشير بعض المصادر والمراجع العربية أن الهجرة الأولى كانت سنة ٣٥٠٠ ق.م إلى وادي الفرات فنشأت حضارة البابليين والآشوريين.

استطاع الآشوريون أن يؤسسوا مملكة آشور التي استمرت من (٢٠٠٠ ق.م - ٦١٢ ق.م) واتخذوا من نينوى عاصمة لدولتهم. وبسبب استقرار هؤلاء الآشوريين في الجزيرة الفراتية أطلق عليها اسم جزيرة آشور، أو آشور، أو آقور.

وقد تمكن الآشوريون من توسيع مملكتهم خلال المدة التي حكموا فيها المنطقة، والتي بلغت من القوة بحيث سيطرت في مرحلة اتساعها على منطقة الشرق الأوسط كلها، ومن ضمنها آسيا الصغرى، وسواحل بحر إيجه، ومصر، والخليج العربي، وعيلام، هذا عدا فتوحاتهم للمناطق الجبلية في الشرق والشمال حتى بلاد أرمينية، وكانت لهم أربعة عواصم اتخذوها خلال مدة حكمهم: العاصمة الأولى

(١) الكعبي، عبد الحكيم، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دمشق، صفحات للنشر، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٤٩-٥٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٧.

آشور، والثانية كالح، وتقع شرقي الموصل، والثالثة نينوى، والرابعة دورشروكين شمال شرقي الموصل.

ومن الموجات العربية القديمة الأخرى التي استقرت في منطقة الجزيرة الفراتية، الكلدانيون الذين أسسوا مملكة لهم استمرت زهاء قرن من الزمان بين سنتي (٦٢٦ ق.م-٥٣٩ ق.م)^(١).

والراجح أن سيطرة القبائل العربية على منطقة الجزيرة الفراتية كان في زمن سيطرة ملوك الطوائف الفرثيين والسلوقيين. ويؤكد ذلك ما ذكره جواد علي من أن القبائل العربية سيطرت على شواطئ الفرات وهيمنت عليها في أيام السلوقيين^(٢). كما يشير أحمد سوسة إلى أن النفوذ العربي في هذه الحقبة امتد إلى ما وراء مدينة سنجار فوصل إلى الخابور و نصيبين. وبذلك يمكن القول إن مرحلة النفوذ العربي بدأت خلال مرحلة الاضطرابات التي كانت قائمة في منطقة الجزيرة، بسبب ما كان بين ملوك الطوائف والسلوقيين من خلاف، فأنشأت القبائل العربية حكومات يمكن أن نطلق عليها مصطلح مشيخة أو إمارة. وكان حجم هذه المشيخات يتوسع أو يتقلص بحسب قوة حكامها^(٣).

ويظهر من جغرافية (سترابو) أن أرض الجزيرة ومنطقة الفرات والبادية المتصلة بالشام كانت في حكم سادات القبائل. وكان أتباعهم من العرب يشتغلون بالرعي، وبعضهم يشتغل بالزراعة وآخرون بالتجارة، وقسم منهم كانوا أعراباً ينتقلون في البادية.

(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٥٣-٥٤. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٨.

(٢) جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٦٠٠.

وقد استغل هؤلاء العرب طبيعة أرضهم فكانوا يجبون العشر من التجار، أو يشتغلون هم أنفسهم بالتجارة، أو يقومون بنقل التجارة لحساب غيرهم من التجار^(١).

لم يتوقف العرب عند حدود المشيخات، بل تعدوه إلى إنشاء إمارات عربية في الجزيرة وعلى أطرافها، ومن تلك الإمارات إمارة الحضر، التي تأسست في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم أصبحت فيما بعد مملكة الحضر.

كما نشأت إمارة الرُّها وتطورت إلى مملكة في سنة (٤٢٠ ق.م)، واستمرت حتى سنة (٢١٦ م)، حيث ضمها الرومان إليهم بعد القضاء على آخر ملوكها.

وظهرت إمارة عربية في سنجار في نفس المرحلة التي قامت فيها مملكة الرُّها، وزال حكمها في عهد حاكمها (معنو) سنة (١١٥ م) على يد الرومان^(٢).

على الرغم من تلاشي الممالك العربية، والإمارات التي أنشأها العرب في بعض مدن الجزيرة الفراتية، إلا أن العرب ظلوا يقطنون المنطقة، كما استمر نفوذهم قوياً فيها لدرجة أن بعض القبائل العربية المستقرة في المناطق الواقعة تحت سيطرة بيزنطة عرضت على الإمبراطور البيزنطي (جوليان) خدماتها ضد الفرس سنة (٣٦٣ م)، وعقد بينهما ما يشبه الاتفاق الذي يوضح العلاقات بين الطرفين، وكان ضمن بنوده أنه إذا حدث أن أحل أحد الطرفين بالاتفاق، فإن ذلك يؤدي إلى خروج الطرف الآخر عليه. وفي هذا ما يدل على قوة العرب وأثرهم في المنطقة.

وعلى العموم، فقد كان العرب يحالفون القوى الكبيرة المؤثرة في المنطقة، ويقدمون لها الخدمات مقابل الحصول على الأرزاق. من ذلك ما يذكره أحد مرافقي الإمبراطور البيزنطي جوليان، بأن

(١) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٦٠٦.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٥٦.

الجيش البيزنطي عندما غادر الرقة في سنة (٣٦١م) في طريقه إلى قَرْقِيسِيَا، وقف ينتظر وصول المساعدات العربية التي كانت بحاجة إليها. وهناك توافد إليه زعماء القبائل العربية فانضموا إلى قواته، مقابل دفع أرزاقهم. وحين حرم البيزنطيون العرب من أرزاقهم، قاموا بغارات على الجيش البيزنطي، وتسببوا في تقهقر القوات البيزنطية وإبعادها عن الحدود الفارسية. وهذا دليل على مكانة العرب كقوة عسكرية في منطقة الجزيرة في تلك المرحلة.

كما انضمت مجموعة من القبائل العربية إلى الفرس، وساهمت معهم في القتال ضد بيزنطة. وساهم أيضاً عرب الحيرة بقيادة المنذر بن النعمان في قتال الفرس للبيزنطيين. وعقدت القبائل العربية أيضاً مع الفرس معاهدات في بعض الأحيان، لتوضيح العلاقات بين الطرفين. وأهمها دفع الأرزاق للعرب مقابل وقوفهم مع الجيوش الفارسية. كما فعل العرب الذين تحالفوا مع البيزنطيين من قبل.

وعلى الرغم مما هو معروف عن انقسام ولاء العرب بين الفرس والبيزنطيين. فإن هذا الانقسام لم يكن واضحاً بشكل كبير في القرن الرابع الميلادي، ذلك أن الغساسنة عُرفوا بولائهم للبيزنطيين، وصل نفوذهم في بعض مراحل حكمهم إلى أرض الجزيرة الفراتية، وتحالف قسم منهم مع الفرس، ووقفوا في وجه أبناء قبيلتهم الذين تحالفوا مع بيزنطة.

كان عدد القبائل العربية في منطقة الجزيرة في نمو مستمر، ويرجع ذلك إلى تتابع هجراتهم. فقد تدفقت القبائل العربية إلى المنطقة إبان سيطرة البيزنطيين والفرس عليها، وأبرز تلك الهجرات هجرة بطون من قبائل الأزد التي لحقت بمن سبقها منهم إلى المنطقة، ومن تلك البطون ربيعة، وعمران،

وبنو عمر بن عدي، وبنو حوالة بن الهنو^(١). ولحقت قضاة بمن سبقها منهم، ونزلت ببعض مدن الجزيرة وأطرافها، وقد أوضح البكري في إحدى رواياته مناطق نزول قضاة ويطونها فقال: " خرجت فرقة من بني حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة، ورئيسهم عمر بن مالك التزيدي، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة، ثم خالطوا قراها وعمرانها وكثروا بها...". وامتدت بعض بطون قضاة إلى آمِدْ، وميَافَريقين^(٢).

كما تتابعت بطون نزار بن معد إلى منطقة الجزيرة، وقد خرجت إياد ويطونها من تهامة، ونزلت على ضفاف الفرات، وخالطوا أرض الجزيرة، ونزل بعضهم منطقة الموصل واستقروا بين الحصنين في قرية الحرجية^(٣). وخرجت بكر بن وائل من ظواهر نجد وأطراف الحجاز وتهامة، وانتشرت في بادئ الأمر باليامة إلى أطراف العراق ومناظرها، وناحية الأبله، إلى هيت، وما والاها من البلاد. ثم نزلت أرض الجزيرة^(٤). في حصن كيفا، وآمِدْ وميَافَريقين، وسعرت، وحيزان، وما تخلل ذلك من البلاد، وأطلق على المنطقة التي نزلوها اسم ديار بكر^(٥) ولحقت عنزة، وضيعة ببكر بن وائل.

وفي المرحلة نفسها التي خرجت فيها قبيلة بكر إلى الجزيرة الفراتية خرجت قبيلة تغلب^(٦). وقد أوضحت بعض الدراسات بأن هجراتهم كانت في مرحلة حكم ذي نواس على اليمن أي بحدود سنة (٤٨٠م). ويرى كندرمان بأن استقرار تغلب في منطقة الجزيرة استغرق قروناً، ذلك أن هجرتهم كانت بطيئة وعلى مراحل ولم تنته إلا في العهد الإسلامي، واستقروا في المنازل التي عرفت فيما بعد

(١) المصدر نفسه، ص ٥٧-٥٨.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٢٢-٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧١.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٥-٨٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٦) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٨٥-٨٦.

باسم ديار ربيعة. وقد اعتنقت تغلب النصرانية التي انتشرت في منطقة الجزيرة الفراتية، وظلت على نصرانياتها حين فتح المسلمون الجزيرة ودخلت تحت طاعتهم، إلا أنها رفضت دفع الجزية للمسلمين، ووافقت على دفع الصدقة مضاعفة^(١). ومما يؤكد استقرار تغلب في منطقة الجزيرة امتنانها للزراعة وتربية المواشي، حتى وصفهم البلاذري تبعاً لذلك بانهم أصحاب حروث ومواشي.

استمر سيل الهجرات العربية في التدفق إلى منطقة الجزيرة، فلحق عدد آخر من بطون ربيعة بمن سبقهم من بكر وتغلب، ونزلوا فيها. فقد خرجت النمر وغفيلة اللتان كانتا في عارض اليمامة فنزلتا عانة وما دونها، إلى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاة^(٢) كما خرجت قبيلة مضر إلى الجزيرة الفراتية بعد خروج ربيعة. فقد ذكر البكري أن قبيلة مضر لم تنزل في منازلها من تهامة، وأن هجرتهم من منازلهم كانت بعد خروج ربيعة من تهامة. ومن المحتمل أن هجرات مضر إلى منطقة الجزيرة الفراتية قد تمت على مراحل كما هو حال ربيعة ويطونها.

ونزلت طيء فيها، وكذلك كل من النمير، وعقيل، وتتوخ في القرن الخامس الميلادي، واستقروا في بادية سنجار، واعتنق أكثرهم النصرانية، وأنشؤوا لهم كنائس وأديرة عديدة^(٣).

واستناداً إلى ماتقدم يمكن القول بأن الجزيرة الفراتية كانت عربية بغالبية سكانها في العصور التي سبقت الإسلام، فقد سكنتها قبائل يمانية وقيسية، ومنهم من استقر، ومنهم من عاش حياة البداوة. وأشهر القبائل المستقرة الأزدي، وطيء، وقضاة، وإباد، وبكر، وتغلب، وشيبان، وعنزة، وضبيعة، والنمر، وغفيلة، وعقيل، وتتوخ، وغيرها...

(١) الكعبى، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ١٢٣.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٧.

المقصد الثاني - تواريخ الهجرات وأسبابها:

أولاً - تواريخ الهجرات العربية إلى الجزيرة الفراتية:

تفرقت تلك القبائل العربية بعد أن كثرت بطونها، فتوزعت على بلاد الجزيرة الفراتية، وتشير المصادر الأولى إلى ثلاث هجرات رئيسة إلى الجزيرة الفراتية:

أ - الهجرة الأولى:

حدثت في القرن الثالث الميلادي بسبب الصراع القاسي بين قبائل إياد وربيعة ومضر، مما أدى إلى أن تغادر بعض عشائر من إياد سهل تهامة متجهين نحو العراق، وليقيموا هناك رديحاً من الزمن، ثم يتوجهوا شمالاً ليستقر بهم الأمر في تكريت في أعلى السواد جنوب الجزيرة الفراتية، بينما غادرت مجموعات أخرى من إياد إلى الموصل ومناطق مختلفة من الجزيرة، ليجدوا هناك أبناء عموماتهم من بكر بن وائل قد استقروا قبلهم فيها.

ولقبيلة إياد بن نزار خبر مطول في كتب التاريخ والأدب، يتحدث بالتفصيل عن قصة رحيلهم عن موطنهم الأصلي تهامة، ومع الاختلاف بين بعض الروايات فإن المتفق عليه أن إياداً، بعد أن كثر عددهم، خالفوا إخوانهم من مضر وربيعة، ما كان سبباً في نشوب نزاع بينهم، أدى إلى خروج إياد من تهامة، وبعد أن طال بهم التطواف انتهى أمرهم بالوصول إلى سواد العراق، ثم استطالوا على الفرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ووقعت بينهم وبين الفرس (الدولة الساسانية) حروب أدت إلى جلائهم عن أرض العراق إلى إقليم الجزيرة، وقد هلك كثير منهم في هذه الحروب، وتشتت جمعهم، ونزلت طوائف منهم أطراف الشام، ولحق فريق منهم ببلاد الروم^(١).

(١) الكعبى، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ٦٠-٦١. دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص ٣٦.

ويروي المسعودي أن سابور بن هرمز المعروف بـ سابور ذي الأكتاف (٣١٠-٣٧٩م) ملك الفرس لم يرق له ما كان لإياد من غلبة على أرض السواد، كانت سيدة الموقف فيه بعد وفاة هرمز، وكانت إياد تصيف بالجزيرة وتشتي بالعراق، فأراد سابور الانتقام من إياد وإخضاعها للساسانيين، وينسب إلى رجل من إياد يدعى (لقيط) شعر ينذر به قومه، ويخبرهم بقوم الفرس، وكان حبيساً عندهم. ولكن إياد استمرت بغاراتها على الفرس، ولم يأخذوا الحذر بما كتب لهم، فوجه إليهم كتاباً آخر يخبرهم فيه أن الفرس عسكروا وحشدوا، وأنهم سائرون إليهم، ومع أن إياد لم تحفل بإنذاره، إلا أن موقف لقيط هذا كان يمثل بادرة وعي عند العربي في تلك الحقبة المتقدمة، وقد فاجأت جيوش سابور إياداً، وأوقعت فيهم، ولم ينج منهم إلا من لحق بأرض الروم، وخلع سابور بعد ذلك أكتاف من ظفر بهم من العرب، فسمي سابور ذا الأكتاف، ويبدو من تلك الروايات أن إياداً كانت قد استقلت في تلك الحقبة في أرض الجزيرة التي سكنتها منذ زمن، ولم تخضع لسلطان الفرس. وفي رواية أخرى للمسعودي ملخصاً أن إياداً رجعت من أرض الروم بعد وفاة سابور ذي الأكتاف، ولكنها دخلت ضمن قبائل ربيعة من ولد بكر بن وائل، حيث عظم شأن ربيعة في تلك الحقبة وغلبت على السواد، بذلك تكون إياد قد صارت في جملة ربيعة، ويفهم من ذلك أن إياداً لم تتمكن من أن تستعيد مكانتها السابقة، فدخلت في قبائل ربيعة التي هي من بكر بن وائل بعد أن كانت قد كسبت مكانة وسلطاناً في تلك المرحلة^(١).

ب - الهجرة الثانية:

كانت في حدود القرن الخامس الميلادي، وذلك عندما غادرت تغلب، وهي فرع مهم من ربيعة، منازلها من تهامة بسبب خلاف مع إخواتها من بكر بن وائل، أدى إلى رحيل التغلبيين، وهم الذين طالما كانوا متزعمين على ربيعة وييدهم لواؤها، وبعدما تفرقوا رداً من الزمن في أماكن متعددة

(١) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ٦٠-٦١.

وصلوا الجزيرة الفراتية، كما هاجرت في هذه المرحلة أيضاً قبائل أخرى من ربيعة مثل النمر وغفيلة، حيث سكننا في عانة وتخوم الجزيرة، بينما ذهبت بكر إلى تخوم السواد وهيت والمناطق المجاورة^(١)، ومن الراجح أن تكون تغلب هي أول من نزل الجزيرة من قبائل ربيعة، وتبعها بنو النمر بن قاسط، وقد سكن التغلبيون في سنجار و نصيبين اللتين في ديار ربيعة.

ج - الهجرة الثالثة:

إن أضخم هجرات للقبائل الشمالية العدنانية إلى الجزيرة الفراتية هي تلك التي حدثت في أواخر القرن السادس ومطلع القرن السابع للميلاد لأسباب اقتصادية وخلافات اجتماعية بين بعض بطون وعشائر القبائل العدنانية في شمال جزيرة العرب، فضلاً عن أسباب وأحوال وعوامل أخرى كثيرة^(٢).

ثانياً - أسباب الهجرات:

لقد تنوعت الأسباب التي أدت إلى خروج العرب من الجزيرة العربية إلى مناطق متفرقة في الشمال ومنها الجزيرة الفراتية؛ فمن العلماء من عزا خروجهم إلى عوامل جغرافية، تركزت في تغير مناخ الجزيرة العربية التي كانت توصف بجودة مناخها وكثرة مياهها، وما لبث المناخ أن تحول تدريجياً إلى الجفاف، فاختلفت العديد من الواحات، مما أدى إلى عدم كفاية موارد الجزيرة العربية للمستقرين بها، فأخذوا بالهجرة منها.

درج معظم الباحثين والمؤرخين عند حديثهم عن هجرة القبائل العربية من موطنها الأصلي في شبه جزيرة العرب إلى الأقاليم المجاورة على أن يعزوها إلى سببين هما:

(١) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٨٦.

(٢) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ٦٢.

أ- العامل الاقتصادي:

حيث الجذب والجفاف في شبه الجزيرة العربية، يرافقه زيادة في عدد السكان، وهي من الأسباب المهمة للهجرة إلى مواضع أخرى فيها متسع من العيش الأفضل^(١).

ب- العامل الأمني:

كانت القبائل العربية قبل هجراتها إلى منطقة الجزيرة الفراتية، في وضع غير مستقر، بسبب ما كان يحدث بينها من حروب ووقائع، وتعدت هذه الخلافات إلى بطون القبيلة الواحدة، مما جعل اجتماعها في منطقة واحدة أمراً مستحيلاً^(٢). والواضح من إحدى روايات البكري، أن الصدامات القبلية كان لها أثر كبير في هجرة هذه القبائل حيث قال: "وأقام ولد معد بن عدنان ومن معهم من أولاد أدد أبي عدنان بن أدد، بعد خروج قضاة من تهامة في بلادهم وديارهم وأقسامهم التي صارت لهم، ثم مقاتلة مضر وربيعة أبناء نزار ولد قنص بن معد، فاخرجهم من مساكنهم ومراعيهم، وغلبوهم على ما كان بأيديهم فأنحاز ولد سنام بن معد إلى ما يليهم من البلاد، وتفرقت طوائف من أولاد قنص بن معد في العرب وبلادها فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافس الناس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش والمتسع وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش، واستضعاف القوي الضعيف، انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحالهم، وانتشر كل قوم فيما يليهم..."^(٣).

كما ذكر أيضاً: "فاجتمعت نزار بن معد على قضاة، وأعانته كندة، واجتمعت قضاة وأعانته عك والأشعر فافتتل الفريقان فقهرت قضاة وأجلوا عن منازلهم وخرجت فرقة من بني حلوان بن

(١) المرجع نفسه، ص ٦٣.

(٢) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٨٥-٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٢-٥٣.

عمران يقال لهم بنو تزيّد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدي فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة^(١).

كما كانت بكر بن وائل، وتغلب من أكبر بطون ربيعة بن نزار - على خلاف مستمر بسبب حادثة مقتل كليب سيد تغلب الذي قتله جساس بن مرة من بني بكر بن وائل^(٢)، والتي أدت إلى نشوب حرب البسوس التي استمرت أربعين عاماً^(٣)، وتصاعدت حدة الخلاف بين بكر وتغلب، ونتج عن ذلك انقسام بطون ربيعة، فانضمت النمر، وغفيلة إلى تغلب، وعنزة، وضبيعة إلى بكر بن وائل، واستمرت الحروب والوقائع بين هذه القبائل، مما أدى إلى اضطراب أوضاعهم الاجتماعية وتنافرهم، فاضطروهم ذلك إلى التنقل من بلد إلى بلد، وخرجوا من أراضيهم، وهاجروا إلى أطراف العراق، وامتدت هذه القبائل حتى خالطت أرض الجزيرة.

ومن الأسباب الاجتماعية الأخرى التي دفعت بعض القبائل إلى الهجرة من أراضيهم، هو زيادة عدد أفراد أبناء بعض القبائل مثل إياد التي زاد عدد أفرادها^(٤).

ومع أهمية هذه العوامل فإن هناك أمراً لا بد من أخذه في الحسبان، وهو أن الأرض المحيطة بشبه جزيرة العرب تشكل امتداداً طبيعياً لها، وأن سكانها حيث ينتقلون من مكان لآخر داخل وطنهم إنما يرحلون إلى أرض وقوم يحملون السمات نفسها، ويتكلمون اللغة ذاتها، ولكن سكان الإقليم المجاورة

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠-٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٥.

(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٨٩-١٩٠.

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٧٠-٧١.

ينعمون بحياة أكثر استقراراً وتحضراً، ولهذا فإن سبب الهجرة أحياناً قد يكون حالة وحي مدني، ونزوع حضاري إلى حياة التمدن والاستقرار^(١).

المطلب الثاني - الجرامقة (السريان):

تباينت آراء المؤرخين في توضيح أصل الجرامقة. فمال بعضهم إلى القول إنهم من الفرس أو العجم^(٢). وقال بعضهم الآخر غير ذلك. إلا أن جميع الآراء اتفقت على أن بلاد الموصل وأعمالها وكذلك بلاد سنجار وماردين كانت من مراكز توطنهم^(٣). وابن خلدون في تاريخه كان قد أعطى توضيحاً، يستفاد منه أن الجرامقة كانوا قد نزلوا أرض الجزيرة وملكوها، وبنوا فيها المدن كبابل ونيوى والموصل وسنجار وماردين والحضر وغيرها ويقال أنهم ينسبون إلى جرموق بن أشوذ بن سام^(٤).

وتأكيداً لقول ابن خلدون نشير إلى أن الموضع الذي بنيت عليه ماردين كان حسب رواية الواقدي قد أقطع من قبل الإمبراطور البيزنطي هرقل إلى أرسوس بن جارس، وإن هذا الأخير كان قد بنى في تلك الموضع حصناً يأوي إليه مع أتباعه، وكان اللفظ ماردين يفيد في الآرامية أو السريانية (أي الجرمقية) معنى الحصن، فمن المرجح بل من المؤكد أن أرسوس بن جارس باني ماردين القديمة هو من الجرامقة أي السريان الآراميين^(٥).

(١) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ٦١.

(٢) شمساني، حسن، مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٤٩.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٦٧.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، دمشق،

١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٧٨.

(٥) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٤٨.

والمؤرخون المعاصرون حاولوا أن يثبتوا أن الجرامقة هم الآراميون. ومن بين هؤلاء نذكر منهم على سبيل المثال القس سليمان الصائغ حيث أورد بعض الأدلة بهذا الشأن^(١).

ويرجح الصائغ أن تسمية الآراميين بالجرامقة كان بسبب قدمهم من منطقة جرمق في فارس. وكانوا قد لجؤوا إليها تحت تأثير الآشوريين، وهذا ما نوه به الدكتور أحمد سوسة في بعض كتاباته عندما قال: " الجرامقة هم آراميون كانوا قد لجؤوا إلى عيلام، تحت تأثير الضغط الآشوري فحلوا في منطقة تعرف بالجرمق في فارس، ثم عادوا إلى بلاد آشور وحملوا معهم هذا الاسم فعرفوا به، وسموا بالجرامقة، وكان الجرامقة يسكنون مدينة الموصل عندما فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه"^(٢)، أما بشأن تسميتهم بالسريان فقد وضحه القس سليمان الصائغ في حديثه عن اللغة الآرامية وانتشارها عندما أفاد: " وكانت اللغة الآرامية منتشرة قبل ظهور الإسلام شرقاً إلى إمارة حدياب وبيت جرماي كركوك حالياً، وغرباً إلى سورية وشمالاً إلى أرمينية وأذربيجان، وجنوباً إلى أعمال بابل والأهواز وإقليم ميشان منطقة البصرة الحالية، حيث كان يقطن الآراميون. وهؤلاء تركوا بعد تنصرهم اسمهم القديم وتسموا بالسريان المشاركة والمغاربة ليميزوا عن الآراميين الوثنيين^(٣). فالسريان آراميون عرفوا بالسريان لسكنائهم سورية، وأهم مناطق وجود السريان كانت في الموصل، الرها، نصيبين، طور عبيد، سنجار، ماردين، وغيرها. وبالإضافة إلى السريان وجدت طوائف مختلفة من النصارى مثل النساطرة، الروم، والأرمن اليعاقبة، وكانوا من أكبر الطوائف النصرانية، وشكل الأرمن أغلب النصارى في مدينة الرها، طور عبيد، أرزن، وحران^(٤).

(١) الصائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ج ١، ص ٤٥.

(٢) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، مراجعة: إلياس بيطار، دار العربي، دمشق، ط ٦، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٨٢.

(٣) الصائغ، تاريخ الموصل، ج ٢، ص ١٣.

(٤) الخازن، الحضارة العباسية، ص ١٠٥.

وقد سكنوا الجزيرة بكثرة؛ كونها شكّلت مركزاً نصرانياً مهماً في عصور طويلة، واهتم السريان بشكل كبير بالعلم وإنشاء المدارس الفكرية والمعاهد، وهذا لا ينطبق على عصر من العصور بل في العصور جميعها حتى أضحت اللغة السريانية لغة رسمية وعالمية فهي لغة التراث الفكري والعلمي والأدبي النصراني، ويعود السبب في ذلك إلى الوضع الجغرافي للسريان المتوسط بين بيزنطة وبلاد فارس^(١).

المطلب الثالث - الأكراد:

شارك الأكراد العرب والتركمان في سكنى الجزيرة الفراتية بقبائلها المتعددة. وكانت هذه المنطقة من مواطنها الأساسية. وكان لهؤلاء دور سياسي كبير ترك أثره على مجرى الأحداث في تلك الديار خلال عصورها المتلاحقة. وكان أكثر توافر للأكراد في الموصل وجزيرة ابن عمر، وكان لهم أحياء خاصة بهم كالهذبانية والحميدية والآرية^(٢).

والدلائل التي تشير إلى وجودهم كثيرة. وهذا ما أورده المؤرخون والرحالة المسلمون وغيرهم بهذا الخصوص. وأصبحوا حكاماً عليها ولمدة تقارب المئة سنة (٩٩٠-١٠٨٥ م/٣٨٠هـ-٤٧٨هـ) وذلك بالتناوب مع العقيليين. ولم تنزل ماردين بيد عضد الدولة البويهى إلى أن توفي سنة ٣٧٢هـ، فملك تلك الديار جميعها (باد بن دوستك الكردي الحميدي) خال بني مروان.

(١) نيناغيو، ليفسكايا، ثقافة السريان في العصور الوسطى، ترجمة: خلف الجراد، دار الحصاد، دمشق،

١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٥٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٤-١٩٥.

واستمرت ماردين في يد بني مروان إلى أن أنفذ السلطان ملكشاه السلجوقي فخر الدولة محمد بن جهير في سنة سبع وسبعين وأربعمائة واستولى عليها وعلى ديار بكر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة هجرية.^(١)

أما من هم هؤلاء الأكراد، وماهي أجناسهم وأنواعهم؟ فالمؤرخون كانوا قد اختلفوا في ذلك وذهبوا في الأكراد مذاهب شتى؛ فمن قائل أنهم من أصل عربي، وأنهم هاجروا مع غيرهم من القبائل العربية من جنوب الجزيرة، وسكنوا المناطق الجبلية، واختلطوا بسكانها العجم والفرس، ونسوا لغتهم العربية، وكونوا الشعب الكردي. وهذا يصدق ما ذهب إليه المسعودي حين قال: "وتنازع الناس في بدئهم؛ فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، انفردوا في قديم الزمان وانضافوا إلى الجبال والأودية. دعته إلى ذلك الأنفة، وجاوروا من هنالك من الأمم الساكنة المدن والعمائر من العجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم أعجمية. وهم أنواع، ولكل نوع لغة لهم بالكردية"^(٢).

ومن الناس من رأى أنهم من مضر بن نزار من ولد كرد بن مرة بن عمرو بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن. وقيل من ولد عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء^(٣).

ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومضر وقد اعتصموا في الجبال طلباً للمياه والمراعي، فحالوا عن اللغة لما جاوروهم من الأمم^(٤).

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٤٤.

(٢) المسعودي، علي بن الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج ٢، ص ١٢٢.

(٣) شمساني، مدينة سنجان، ص ٢٤٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٢٢.

ولقد توصلت بعض المراجع إلى القول بأن الأكراد هم من العنصر الآري، كانوا قد وفدوا من شرق إيران إلى بلادهم الحالية، وفيها اختلطوا بالسكان الأصليين وامتزجوا وكونوا الشعب الكردي^(١). ولهذا قال الفلقشندي في نسب الأكراد: "هم من بني إيران بن آشور بن سام بن نوح"^(٢).

ومهما تعددت الآراء واختلفت، فإن العنصر المتكلم باللغة الكردية حل بأرض العراق والجزيرة واختلط بالسكان الأصليين من نصارى ومسلمين وامتزج بهم. ومع مرور الزمن استطاع أن يفرض ماهو عليه من معتقدات وتقاليد وينجح بالتالي في إضفاء الصبغة الكردية على بعض المجموعات السكانية. في حين استطاعت المجموعات الباقية - ومنها المجموعة العربية - أن تحافظ وسط هذا الاختلاط على هويتها ولم تختلط بهم أو بغيرهم، وإن أصبح بعضها يوصف في كثير من الأحيان بالكردية^(٣).

المطلب الرابع - التركمان:

والتركمان هم في الأصل صنف من الترك، خرجوا في القديم من تركستان إلى خراسان وأذربيجان، ثم تفرقوا من هناك في البلاد. وهم من أصحاب خيام ومواش يرتحلون تارة إلى المصيف وأخرى إلى المشتى. وقد اندمج فيهم كثير من طوائف الغز الترك فأطلق عليهم لفظ تركمان. وهؤلاء هم قبائل شتى، ولكل منها عشائر وبطون وأفخاذ لاتحصى، ولكل واحدة منها اسم مخصوص متعارف فيما بينهم.

(١) شمساني، مدينة سنجار، ص ٢٤٨.

(٢) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٤٦-٣٤٧.

وبعض قبائل التركمان هؤلاء كانت قد وصلت في ترحالها إلى العراق والجزيرة، فدخلت ديار ماردين، ونشير هنا أن التركمان كانوا قد دأبوا ومنذ وصولهم إلى هذه المناطق على السعي للحصول على نفوذ هناك. إما عن طريق الغزو والإغارة، وإما عن طريق التودد والتقرب من حكومة بغداد، ودخولهم في خدمتها كمماليك وقادة للسلطين البويهيين أو السلاجقة.

ومن التركمان طائفة الأراتقة التي تسلمت زمام السلطة في الجزيرة الفراتية وحكم أبنائها كملوك وأمراء زهاء ثلاثة قرون (٥٠٢-٨١١هـ/١١٠٨-١٤١٠م). ثم تلتها في الحكم مباشرة طائفة القره قوينلو ومن بعدها طائفة آلاق قوينلو، وإن الأخيرة واصلت حكمها في ديار ماردين إلى أن أبعدتها الصفويون بحدود سنة (٩٠٧هـ/١٥٠٢م) وأخذوا مكانها. ثم ما لبثت طائفة آل عثمان التركية أن تغلبت على هؤلاء وصارت ممتلكاتها ومنها بلاد ماردين^(١).

(١) شميساني، مدينة ماردين، ص ٣٤٢-٣٤٣.

المبحث الخامس – الطوائف الدينية في الجزيرة الفراتية العليا:

المطلب الأول – النصارى:

النصارى سواء العرب منهم أو الآراميون، وجدوا في مدينة ماردين وما حولها في العصور الإسلامية وقبلها وما زالوا إلى الآن. والأدلة على وجودهم بها كثيرة ومتنوعة، فمن ذلك وجود العديد من آثار الأديرة والكنائس القديمة في تلك المناطق، ومن ذلك أيضاً ما يشاهد الآن من أديرة وكنائس عامرة. ولربما قامت هذه مكان تلك أو أضيفت إليها بعدما نالها من ترميم أو تخطيط. كما ذهبت المصادر والمراجع إلى القول بوجود أسقفيات لهؤلاء في قلب المدينة، وعمدت إلى تعداد أسماء الكثيرين من أساقفتها. وأكدت الأخبار أن هذه الأسقفيات كانت في حوالى القرن الرابع الميلادي تابعة من حيث التشكيلات الكنسية لمطرانية بيت عرياي التي كان مركزها مدينة نصيبين. فتاريخ النصرانية في ماردين هو تاريخ قديم، ويرجع في قدمه إلى القرون الأولى لظهور النصرانية وانتشارها في ديار الجزيرة. وما يلفت هنا، أن التواريخ الكنسية قلماً تتحدث عن كيفية دخول النصرانية إلى ماردين، وعن الحياة الطويلة التي عاشتها فيها وما زالت، وكيف حافظت هذه الديانة على وجودها واستمرارها محاطة بشعوب تختلف عنها بالدين والجنس واللغة.

بدأت الديانة النصرانية بالانتشار في بلاد ما بين النهرين منذ عصورها الأولى. وذلك حين أخذت قوافل رسلها ترد إلى تلك البلاد تباعاً. وكان أول هؤلاء الرسول "آدي" كان الداعي والمنصر والمتملذ والمدير بالجزيرة والموصل، ومعه تلاميذ من أمثال "ماري وآحي"، وتوجه ماري وآحي تلميذا آدي إلى نصيبين فعمداً أهلها. وأنفذ ماري إلى المشرق وبدأ بناحية الموصل وباجرمي وتوجه آحي إلى باقردي وبارزدي - أي جزيرة ابن عمر - وإذا تخطينا مرحلة الرسل هذه إلى القرن الثاني والثالث الميلادي

لوجدنا أن بلاد الجزيرة أخذت تعج بمجموعات النساك والزهاد المتدينين بالنصرانية، وفي مقدمة هذه المجموعات كانت مجموعة الناسك أوجين (توفي سنة ٣٤٣م)، هذه المجموعة أتت من صعيد مصر، وحطت رحالها فوق نصيبين في مغاور وكهوف، عاشت فيها حياة انقطاع وتأمل وتدين لأكثر من ثلاثين سنة. حتى إذا كثر أتباعها، خرجت إلى النواحي المجاورة داعية أهلها إلى النصرانية حتى رأوا الناس يدخلون في دينهم في العراق وماردين وما جاورها من البلاد، واستطاعوا أن يقرضوا المجوسية والوثنية بالكامل^(١).

لقد كان دخول الديانة النصرانية إلى مدينة الرها في عصر ملكها أبحر الخامس ملك الرها الذي عاش في المرحلة ما بين (٤ق.م - ٥٠م) وبهذا تكون الديانة النصرانية قد دخلت الجزيرة منذ القرن الأول الميلادي، وشاع انتشارها مع بداية القرن الرابع الميلادي، وتعددت مذاهبها.

وكانت الديانة النصرانية تقبل المنقليين من العقائد الأخرى إليها، ولم يتسامح أكاسرة الفرس أو يتحملوا النشاط التبشيري للنصارى بين الفرس في الجزيرة، مما أوقع الخلافات بين الطرفين، كما أخذت الديانة النصرانية تنتشر بين عرب الجزيرة من بني طيء وعقيل وتتوخ منذ القرن السادس الميلادي، بسبب النشاط التبشيري لهذه الديانة، فقد نشط الجاثليق أحودامه (ت: ٥٧٥م) أسقف باعربايا في عملية التبشير بين العرب، واستطاع التأثير فيهم وتنصيرهم، كما نصر بعض المجوس ومنهم أمير فارسي^(٢).

(١) شميساني، مدينة ماردين، ص ٣٥٤.

(٢) أرملة، القس إسحاق، القصارى في نكبات النصارى، دن، ط ١، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، ج ١، ص ٣.

ومهما تعددت الأقوال واختلفت الآراء حول دخول النصرانية وانتشارها في ديار الجزيرة، فإن الذي لا بد من ذكره هو أن بلاد ماردين كانت ومنذ مطلع القرن الرابع الميلادي في مقدمة المتتصرين. ذلك ما تؤيده كنائسها وأديرتها القديمة "ككنيسة الأرمن والكلدان، ودير السريان، وكنيسة شموني"^(١).

وقد أدى تعدد الديانات في الجزيرة الفراتية إلى وقوع الخلاف بين أصحابها^(٢). ويصف سيغال ذلك الصراع بقوله: "ففي الصراع بين النصارى والفرس في نصيبين يبدو أن يهود نصيبين ساندوا الفرس، لقد كانوا في صف واحد ضد بيزنطة كان اليهود ببادق شطرنج في صراع الوثنية البائس ضد النصرانية النامية"^(٣).

لم يقتصر الخلاف على أصحاب الديانات المختلفة فحسب، بل إنه وقع بين النصارى أنفسهم بسبب تعدد المذاهب النصرانية، وكان هذا الصراع بين الرعايا النصارى من سكان الجزيرة والكنيسة الخلقيدونية الملكانية، وبين المذاهب النصرانية المختلفة في الجزيرة نفسها. والتي كان أبرزها مذهب اليعاقبة المونوفيسيين، ومذهب النساطرة.

لم يكن اليعاقبة الذين أصبحوا تحت سيطرة الفرس أفضل حالاً من الذين كانوا تحت سيطرة بيزنطة، فقد أساء كسرى معاملتهم في بداية سيطرته على الجزيرة الفراتية، لأنه كان يشعر بأنهم يعملون عيوناً لبيزنطة، ولكنه حين أدرك اختلافهم مع الإمبراطور البيزنطي بسبب المذهب، قام بطرد الخلقيدونيين، وسمح لليعاقبة بأن يقيموا شعائهم الدينية بحرية، وساعدهم على استعادة كنائسهم.

(١) أرملة، القصارى في نكبات النصارى، ج ١، ص ٣.

(٢) العودات، حسين، العرب النصارى عرض تاريخي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٥٤.

(٣) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٨٠-٨١.

وهكذا فإن الصراع المذهبي تركّز في منطقة الجزيرة الفراتية في الحقبة التي سبقت الفتح الإسلامي بين اليعاقبة والنساطرة، وبينهم وبين الخلقيدونيين الملكانيين، وأخذ أصحاب كل مذهب يعملون على نشر مذهبهم، فعمل اليعاقبة الذين تميزوا بالنشاط على نشر مذهبهم بين القبائل العربية المستقرة في المناطق التابعة لسيطرة بيزنطة، حتى ساد مذهب اليعاقبة في العديد من المدن التي كانت مركزاً للنساطرة. ولما كان العداء المذهبي بينهما شديداً، فإن اليعاقبة عملوا على إغلاق المدارس النسطورية في هذه المدن، واضطهدوا أتباع هذا المذهب وتتبعوهم حتى أخرجوهم منها.

كانت مدينة الرُّها إحدى المدن التي خرج منها النساطرة، واتخذها اليعاقبة مركزاً لهم، وقد ساعد اليعاقبة في تحقيق هذه المهمة الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني الذي كان مناهضاً للنساطرة.

لم يقف النساطرة مكتوفي الأيدي، بل عملوا على نشر مذهبهم بين الفرس، وخاصة بعد أن التجؤوا إلى نصيبين التي كانت تحت النفوذ الفارسي واتخذوها مركزاً لهم، ووضعوا أنفسهم تحت سيطرة الفرس. فأظهر الفرس استعدادهم حمايتهم ومنحوهم الحرية الدينية، وسمحوا لهم بإقامة مدرسة في نصيبين، يعلمون فيها ما يشاؤون من الفلسفة اليونانية، وتوسعت هذه المدرسة حتى نافست مدرسة الرُّها.

كما عمل النصارى في الجزيرة الفراتية عموماً على نشر ديانتهم بين الصابئة الحرّانيين عبدة الكواكب، فتقبلها بعضهم، ولقي من بقي منهم على عقيدته اضطهاداً شديداً من قبل البيزنطيين، ولم ينقذهم من هذا الاضطهاد إلا الفتح الإسلامي.

بعد انتصار هرقل على الفرس حاول أن يوفق بين الخلقيدونيين واليعاقبة، كما فعل سلفه جستنيان من قبل، ولم يكتب لتلك المحاولة النجاح، وإنما نتج عنها تدهور العلاقات بين أصحاب المذهبين، وقد أدى ضغطه على اليعاقبة للعودة إلى الكنيسة الخلقيدونية، إلى نفور مؤيديه منهم، فانقلبوا ضده،

ورفض مطرانهم آسعييا السماح لهرقل بتناول القربان في الكاتدرائية وهو من امتياز الإمبراطور، إلا إذا لعن المجمع الخلقدونى، فثار هرقل، وطرد المطران من الكاتدرائية، وسلم كنائس اليعاقبة إلى الخلقيدونيين الملكانيين^(١). وأخيراً يمكن القول بأن اليهود والصابئة عموماً جماعات قليلة في منطقة الجزيرة، ولم تكن لهم سلطات واسعة في حكم المنطقة وإدارتها، وكانت الديانة النصرانية أكثر شيوعاً بين سكان المنطقة، وشكل المجوس الفئة الثانية بعد النصارى من حيث العدد.

وكانت الاضطرابات بين هذه الديانات كثيرة، والفتن مستمرة ولم تكن سلسلة الاضطهادات الدينية بين أتباع الديانات المختلفة، وبين أتباع الديانة الواحدة المتعددة المذاهب لتتوقف.

ولم يتخلص سكان الجزيرة الفراتية من تلك الاضطهادات إلا بعد أن دخلت بلادهم تحت حكم المسلمين، الذين عملوا على منحهم حرية الاعتقاد الذي سلب منهم أثناء احتلال البيزنطيين والفرس للمنطقة.

المطلب الثاني - اليزيديون:

المقصد الأول - أصل اليزيدية وتسميتها:

أما عن تسمية هذه الطائفة باليزيدية، فالشائع أن أصحابها يدعون أنهم من نسب الخليفة الأموي يزيد ابن معاوية^(٢). في حين أن تسميتهم ليست لها أي صلة بيزيد بن معاوية، إذ إنه سبق وظهر خلال

(١) المصدر نفسه، ص ٨١-٨٤.

(٢) أوز، يوسف، اليزيديون في ماردن معتقداتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية وانتشارهم الجغرافي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مرمرة، معهد العلوم الاجتماعية، قسم المذاهب تاريخ المذاهب الإسلامية، إسطنبول، ٢٠٠٧م، ص ٩. öz, uysuf, mardin yezidileri, inanç, sosyal hayat ve coğrafi dağılım, yüksek lisans tezi, marmara üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, İstanbul, ٢٠٠٧, s. ٩.

القرن الثاني والثالث الهجريين، بيت عرف رجاله باليزيديين، ولم يكن لهم صلة، لا بيزيد، ولا بالأمويين. ويذكر الدملوجي أن الأمر المتفق عليه هو أن أمراء اليزيدية، ومشايخهم، يرتقون إلى الفرع المرواني من الأمويين، وبالذات إلى الخليفة الأموي الرابع مروان بن الحكم. أما القول عن نشأة اليزيدية، فإن هناك ميلاً إلى الاعتقاد بأنها قد ظهرت بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهي المرحلة التي ظهر فيها الشيخ عدي بن مسافر والذي يعتبر مؤسس اليزيدية^(١). ومما يشجع على هذا الاعتقاد ما أورده المصادر عن وفاة الشيخ عدي المذكور عام (١١٦٢هـ/ ١٥٥٧م)^(٢).

وسكان ماردين الذين توزعوا بعد الفتح الإسلامي على الديانتين النصرانية والإسلامية بطوائفهما التقليدية المتعددة، اختلط بهم وفي وقت متأخر عنصر سكاني جديد شكل فيما شكل طائفة دينية جديدة وهي اليزيدية أضيفت إلى الطوائف القائمة.

كان ذلك مع بداية حملة تيمورلنك على بلاد العراق والجزيرة. هذه الحملة وما تسببت به من دمار وقتل ألجأت الناس إلى أماكن بعيدة وحصينة. وكانت أطراف ماردين ومرتفعاتها من بين تلك الأماكن، حيث اتخذت ملجأ ومأوى. وكان أول من التجأ إليها -على ما ذكره صديق الدملوجي- بعض الأسر من عشائر اليزيديين من ديار بكر وحوض دجلة وبديليس وأماكن أخرى. وامتزجت هذه

(١) عدي بن مسافر الأموي: ولد (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) هو شيخ يجله اليزيديون ويعتبرونه من قديسي طائفتهم. ولد في قرية بيت فار بالقرب من مدينة بعلبك في لبنان الحالي وما يزال منزله مزاراً إلى يومنا هذا. قضى معظم شبابه في بغداد واتخذ منسكاً له في مناطق كردستان في هكاري حيث كان هناك وجود للعديد من الزرادشتيين ولهذا فإن مبادئه الصوفية تأثرت بتعاليمهم. توفي ودفن في لالش في جبال سنجار في العراق في الخلوة التي بناها بنفسه والتي سكنها مريدوه بعد مماته وأصبحت محجة لأتباع طائفة اليزيدية. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج ٤، ص ٢٢١.

(٢) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٣٩-٢٤٠. الدملوجي، صديق، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٧٤.

الأسر الوافدة بالسكان الأصليين المسلمين والنصارى واستطاعت أن تؤثر فيهم، وتدخل بعضاً منهم في دينها اليزيدي. أما كيف تمكنت هذه الأسر من فرض دينها في تلك النواحي، فيرجح أن السكان الأصليين هناك لم يكونوا على درجة من القوة تمكنهم آنذاك من الوقوف في وجهها " وإن الضعيف في رأي من يغلب على أمره ينقاد لمشيئة القوي ويجبر على أخذ مبادئه وتقاليده وعقيدته، بل ويندمج فيه اندماجاً كلياً في بعض الأحيان" (١).

بالرغم من انتشار اليزيدية في بلاد الجزيرة، وبلاد حلب، غير أن المعلومات عن أهلها غير ثابتة، ولهذا تباينت آراء الباحثين حول تسمية هذه الطائفة وأصلها، وتحديد الزمن الذي سميت به، فالدملوجي قال: " إن هذه الطائفة هي في الأصل من المجوس الزردشتيين، اعتنقوا الإسلام في زمن عدي بن مسافر، ومن ثم أخذ أصحابها الكثير من تعاليم الدين الإسلامي، وتأثروا بذلك من عدة وجوه، دينية وأخلاقية واجتماعية، تظهر بالمقارنة بينها وبين الزردشتية". وعن كيفية انتشار اليزيدية، قيل إن الشيخ عدي زعيم الطريقة انتقل مع أتباعه إلى جبال هكار موطن الأكراد، قرب جزيرة ابن عمر، فتبعه خلق كثير، وأحدث وعمم الطريقة العدوية. وعن نسب الشيخ عدي يقول أحد الباحثين: إن عدياً ينتسب إلى مروان بن الحكم الأموي، وقد مارس عدي في مسلكه آثار بعض مشايخ الأمويين، ونهج على طريقتهم. ولما مات الشيخ عدي زعيم الطريقة اليزيدية ولم يُعقب ولداً وكان عنده خادم يقال له حسن البواب فزعموا أنه نقل نسله إلى صلبه فصارت ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد أنها ذرية الشيخ عدي، وأن العدوية فيها، وبالع العدويون في إكرام ذرية الشيخ حسن، حتى إنهم صاروا يقدمون بناتهم إلى ذرية الشيخ حسن، اعتقاداً منهم أن ذلك "قربة من القرب" التي يُتقرب بها إلى الله. ولما شنع ذلك من فعلهم، انتدب لهم رجل من فقهاء العجم، يتمذهب بمذهب الشافعي، يُعرف بجلال الدين محمد ابن عز الدين الحلواني، فدعا لحريهم، واستجاب له الأمير عز الدين

(١) شمساني، مدينة سنجار، ص ٢٦٤.

الكردي البختي صاحب جزيرة ابن عمر، فقتلوا منهم جماعات كثيرة، وأسروا من أتباع الشيخ عدي الكثير، وخبروا لهم ضريح الشيخ عدي، لكن أصحابه أعادوا تصليح مقامه، وصاروا عدواً لكل من قيل له فقيه.

المقصد الثاني - مواطن اليزيدية وتاريخها:

استوطن اليزيديون في ديار الجزيرة الفراتية، وحلب، وكانت أهم مناطقهم في ديار بكر، وسنجار، وماردين، وطور عبيد، والشيخان، وبدليس. وفي قضاء زاخو توطنوا قرية "ديرون" وكان لهم رئيس اسمه درويش بوري، وكان ذا أخلاق سيئة، وقد أقامت عشيرة "ماسكي" اليزيدية ناحية طنزة من أعمال جزيرة ابن عمر. أما عن تاريخ اليزيديين، فتفيد المصادر بأنهم تحملوا الصعوبات والمعاناة الطويلة، بسبب ما كانوا عليه من تعصب لعقيدتهم، مما دفع الأمراء والقادة في مناطق تواجدهم إلى التشدد معهم ومعاداتهم. وقد تعرضوا لوقائع عدة عانوا منها، منذ منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي. وإلى ذلك كان موقف الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وجوارها، فاتهمهم الأخير بالخروج عن مبادئ الدين الإسلامي، وبالمغالاة في عقائد بعيدة عن أصوله. وقد تمكن بدر الدين المذكور من إضعاف اليزيديين، وقتل الكثير منهم. وبلغ الانتقام حداً وصل إلى نبش رفاة الشيخ عدي من ضريحه، وإحراق عظامه. واستطاع بدر الدين، حصر خطر العدويين اليزيديين^(١).

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٦١-٣٦٣.

المقصد الثالث - معتقدات اليزيديين الدينية:

إذا نظرنا إلى المعتقدات الدينية عند اليزيدية، فالشائع عنهم أنهم من عبدة الشيطان بصفته ممثلاً لقوى الشر، وهذا ما ينسجم مع مبادئ المجوسية. أما قوة الخير فينسبونها إلى الله تعالى. ويقولون: "إن الله الذي لا حد لوجوده، ومحبه للخلاق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح. أما الشيطان فهو منقاد إلى عمل الشر. وعليه فالحكمة تقضي على من يريد السعادة أن يهمل عبادة الله ويطلب ولاء الشيطان". أما عن طقوسهم الدينية، فهي عبارة عن عادات مأخوذة من النصرانية والإسلام والمجوسية. وأن أسماءهم لها دلالة إسلامية. ويقدمون على تعميد الذكور، ويختنونهم في وقت واحد، وأنهم مزواجون، يتزوجون كثيراً. وكذلك يمتنعون عن التلفظ باسم الشيطان، ويمنع عليهم التحنح، وأكل الخس، والقرع، ولحم الغزال والسمك^(١).

أما لباسهم فهو العباءة البيضاء، والقبعة الحمراء أو السوداء المصنوعة من صوف الغنم^(٢)، وأن اللون الأزرق مكروه لديهم. ولهم كهنتهم الخاصة بهم. وقد أخذ اليزيديون "الطاووس" رمزاً لهم، وقصدوه. وكان من عاداتهم أنهم يسجدون للشمس عند شروقها تعبداً لها، ويضحون في سبيلها. والجدير بالذكر أن اليزيديين كتابين مقدسين هما: مصحف رش أو الكتاب الأسود ومصحف الجلوة. ومن معتقداتهم أنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح بنوعها الشريرة، والصالحة^(٣).

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٤١-٢٤٢. أوز، اليزيديون في ماردين معتقداتهم الدينية وحياتهم

الاجتماعية وانتشارهم الجغرافي، ص ٢٢-٢٣.

(٢) أوز، المرجع نفسه، ص ٦٢.

(٣) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٤١-٢٤٢. أوز، اليزيديون في ماردين معتقداتهم الدينية وحياتهم

الاجتماعية وانتشارهم الجغرافي، ص ٢٢-٢٣.

المطلب الثالث - اليهود:

أما اليهود فقد سكنوا في بعض ديار الجزيرة كالموصل، وجزيرة ابن عمر، و نصيبين وميافارقين وإربل، والرحبة. ووجد لهم كنيس في هذه المناطق، ولكنهم كانوا أقلية ضئيلة جداً. وقد أورد بنيامين التطيلي ذكر اليهود في حديثه الذي دونه عن رحلته في بلاد الجزيرة، فذكر أنه رأى في الموصل، ما يقرب من سبعة آلاف يهودي، وكان من رؤسائهم رجل يقال له: يوسف. وكان له معرفة بعلم الفلك. وقد خدم يوسف المذكور في عهد سيف الدين غازي أتابك الموصل، ومن المحتمل أنهم اختاروا منطقة الموصل لوجود بقايا من اليهود الذين نقلهم بختنصر من بابل إلى الموصل في القرن السابع ق.م. كما انتشرت اليهودية في حدياب، حتى إن العائلة الحاكمة فيها اعتنقت هذه الديانة منذ القرن الأول الميلادي، وكانت أكبر طائفة يهودية في نصيبين، كما كان هناك يهود في الرها كانوا يعملون في التجارة. ولم يستطع هؤلاء اليهود نشر ديانتهم في المنطقة على حساب الديانات الأخرى. وإن كان لهم شيء من التأثير الاجتماعي.

أما اليهود، في جزيرة ابن عمر بالذات، فقليل: إن عددهم حوالى أربعة آلاف يهودي. ولكن هذا العدد لاشك أنه مبالغ فيه كثيراً، وذلك لأن مدينة صغيرة كجزيرة ابن عمر، لم تكن من السعة بحيث تحتمل وجود مثل هذا العدد الكبير من اليهود، لاسيما وأنهم كانوا يشكلون أقلية ضئيلة قياساً على الطوائف الأخرى. هذا ومن المرجح أن وجود اليهود في جزيرة ابن عمر، إنما كان لأسباب تجارية صرفة، لما عرف عن تعاطيهم التجارة، وأعمال الصيرفة، كشأنهم الذي عرف عنهم في عصورهم التاريخية المختلفة^(١).

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٤٥-٢٤٦. ناير، الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند الأراتقة، ص ١٢٢.

انضم يهود الجزيرة الفراتية إلى الفرس في صراعهم مع البيزنطيين ونصارى الجزيرة الفراتية من اليعاقبة، فقام ثيودور شقيق الإمبراطور جستنيان الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) بطرد الفرس من الرها. وأمر بقتل اليهود الذين ساعدوا الفرس. وقد يكون هذا هو السبب الذي أدى إلى أن يجد المسلمون أثناء الفتح بعض منازل اليهود خالية في الموصل، ذلك لأن البلاذري ذكر أن المسلمين حين اختطوا الموصل نزلوا في بعض منازل كانت لليهود. ومن المرجح أنهم استقروا أيضاً في بعض مدن الجزيرة الفراتية الأخرى لأسباب تجارية لأنهم كانوا دائماً يسعون وراء الكسب المادي.

وعلى العموم فإن اليهود كانوا يشكلون أقلية في منطقة الجزيرة، وكانوا قليلي السلطة، وقد عدهم المسلمون من أهالي الذمة. وهذه القلة بقيت موجودة في جزيرة ابن عمر والموصل حتى القرن السادس الهجري^(١).

المطلب الرابع - الصابئة:

ومركزها الرئيسي في مدينة حرّان، وقد عرف الصابئة بالمندائيين نسبة إلى اللغة التي تكلموها^(٢). وكان أصحاب هذه الديانة طائفتين: صابئة حنفاء، وهم على دين النبي إبراهيم وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز ضمن أصحاب الأديان الوارد ذكرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، وقد التحق بهؤلاء الصابئة جماعة هاجروا إليهم من الناصرة في فلسطين، وعُرف هؤلاء باسم الناصورائيين نسبة إلى مدينة الناصرة التي قدموا منها.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٧.

(٢) المندائيون: نسبة إلى اللغة المندائية إحدى اللغات السامية القديمة القريبة من اللغة السريانية. العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٧٥.

(٣) البقرة، الآية: ٦٢.

وقد ذكر البيروني وصفاً لهم قال فيه: "إنهم يعتقدون بالوحدانية، ويصفون الله منزهاً عن كل باطل، ويستعملون في وصفهم النفي، فيقولون: إنه غير محدد، وغير مرئي، ليس ظالماً، ويسمونه بالأسماء الحسنى". أما الطائفة الأخرى فهم مشركون من عبدة الكواكب، وكان يطلق عليهم اسم الحرانيين، ثم أطلقوا على أنفسهم اسم الصابئة، وكانت لهم هياكل لأوثانهم التي أطلقوا عليها أسماء آلهتهم منها هيكل آلهة القمرسين، وهيكل الكواكب الأخرى^(١).

وكان لكل طائفة من هؤلاء الصابئة طقوسها الدينية، ولم تكن العلاقة بين الطائفتين حسنة، لأن الصابئة الأحناف يرون أن الوثنيين نجسون، لا يمكن الأكل معهم ولا مجالستهم.

ومن المحتمل أن الصابئة جميعاً كانوا حنفاء إلى أن انتشرت الديانة المجوسية في الجزيرة الفراتية مما أثر في معتقدات بعض الصابئة فعبدوا الكواكب والنجوم كما يفعل المجوس الذين رمزوا لله برموز مادية. ولربما انتقلت الوثنية إلى حران عن طريق العرب الذين استقروا بها. ومن المهم أن نذكر أن هذه الديانة كان لها دور كبير في الجزيرة الفراتية، حتى إن بعض أباطرة بيزنطة اعتنقوها. وقد اعتبرهم المسلمون بعد فتح الجزيرة أهل ذمة كغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى^(٢).

المطلب الخامس - المجوسية:

كان أصحاب هذه الديانة أصلاً من الفرس الذين اعتنقوا الزرادشتية، واعتبرهم الإسلام أهل ذمة. وكانوا يرون زرادشت نبياً يتلقى وحياً من الله. وعظم هؤلاء النار واعتبروها رمزاً للكائن الأعلى إله النور، وأنشؤوا لها معابد.

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٥٠.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٧٥.

وانتقلت هذه الديانة إلى منطقة الجزيرة عن طريق جماعة من الفرس إلى نصيبين ونيوى وقد انتشرت أيضاً في سنجار^(١)، وقد يكون لملوك الفرس دور في فرض ديانتهم على سكان الجزيرة أنفسهم، وذلك أن جماعة من بكر بن وائل اعتنقت المجوسية حتى عرفوا بعرب الفرس، وقد يكون هؤلاء قبل اعتناقهم للمجوسية على الوثنية من عبدة مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والأرض والنار والماء والهواء. مما سهل لهم اعتناق المجوسية. كما يمكن القول بأن المجوسية ظهرت في الزها، واحتفل أهلها بعيد النيروز (الربيع الفارسي)^(٢).

المبحث السادس - مدن الجزيرة الفراتية العليا:

شهدت أراضي الجزيرة حضارات متعددة منذ أقدم العصور، وقامت على أراضيها المدن والممالك، حيث ساعد على نشوئها خصوبة أراضي الجزيرة، ووفرة مياهها، وموقعها الاستراتيجي المهم. ولم تبقى مدن الجزيرة على حالها منذ القدم، بل تغيرت وتبدلت، وذلك بسبب العوامل الطبيعية والسياسية، فحين تشح المياه في منطقة ما ينتقل سكانها إلى مكان آخر، وحين يدمر زلزال أو فيضان منطقة ما كان يتم الانتقال إلى منطقة أخرى.

كما طرأ تغير وتبدل على أسماء مدن الجزيرة وعلى المدن التابعة لها أو الخارجة عنها جغرافياً، فقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديد المدن التابعة للجزيرة.

كما أنها كانت خاضعة قبيل الفتح الإسلامي للسيادتين البيزنطية والفارسية، وكان نهر الفرات الحد الفاصل بين المملكتين.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٨١-٨٢.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٧٩.

فديار ربيعة التي امتدت من شمال تكريت والموصل، إلى نَصِيبين وبلد، وسنجان دخلت ضمن ممتلكات فارس، أما ديار بكر، وديار مضر وجزء من ديار ربيعة، بما فيها رأس العين فقد كانت ضمن ممتلكات الروم. واهتم العرب المسلمون بهذه المنطقة لمكانتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي وعملوا على فتحها، وقد تم الفتح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ للهجرة ٦٣٩م، على يد القائد عياض بن غنم الفهري رضي الله عنه، وكانت مدن الجزيرة أسهل البلاد فتحاً، لأن أهلها رأوا أنهم بين العراق والشام والمنطقة كلها بيد المسلمين، فأذعنوا بالطاعة، فصالحهم عياض على الجزية والخراج^(١).

وبعد أن فتح عياض مدن الجزيرة، أسلم الكثير من أهلها مباشرة، لما رأوه من معاملة حسنة وسياسة جيدة عاملهم بها المسلمين، كما أن العرب المسلمين الذين قدموا مع جيوش الفتح وسكنوا تلك الديار ساهموا في نشر الدين الإسلامي واعتناق الكثير من السكان لهذا الدين الحنيف. ومن أهم مدن الجزيرة الفراتية العليا : نَصِيبين، ماردين، رأس العين، جزيرة ابن عمر، الرُّها، حرَّان، ديار بكر (آمِدْ)، مَيَّاقَرِقِينَ، دُنَيْسَر.

المطلب الأول - نَصِيبين:

بافتتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح، ومن العرب من يجعلها بمنزلة الجمع فيعربها في الرفع بالواو وفي الجر والنصب بالياء، والأكثر يقولون نصيبين ويجعلونها بمنزلة ما لا ينصرف من الأسماء، والنسبة إليها نصيبيّ ونصيبينيّ، فمن قال نصيبينيّ أجراه مجرى ما لا ينصرف وألزمه الطريقة الواحدة مما ذكرنا، ومن قال نصيبيّ جعله بمنزلة الجمع ثم ردّه إلى واحده ونسب إليه: وهي

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٣. قوينجو، مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة، ص ١٣٥. غونيش، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عبيدين، ص ٨٩.

مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبين دنيسر يومان^(١).

وهي من أهم مدن ديار ربيعة، تقع في أول سهل الجزيرة عند اتصاله بسفوح جبل الطور على ضفة نهر الهرماس (الجعجج)^(٢) وكان لموقع نصيبين الجغرافي أهمية كبيرة، كونها على طرق القوافل من الموصل إلى الشام، وهي صلة الوصل بين المناطق الجبلية شمالاً والسهول الخصبة جنوباً، وهذا الموقع المهم جعلها مطعماً للروم والفرس^(٣) واهتم العرب المسلمون بها كثيراً لذا كانت من أهم المدن في العهود الإسلامية، فقد كان موقعها الحصين والمميز مكاناً للتأثرين في العصر العباسي ضد الخلفاء.

وأهم دور شغلته نصيبين كان الدور الاقتصادي حيث اشتهرت بكثرة الأنهار والجنان والبساتين تحوي الحبوب (القمح، والشعير، والسسم، والأرز)، والكروم، والقطن، والأشجار المثمرة، والمزروعات الصيفية والشتوية.

واحتلت البراري مساحات واسعة فيها مما ساعد على تربية الأغنام، والأبقار، والجواميس؛ واشتهرت بماء الورد الذي يصنع بها المعروف بجودته وندرته، حتى قيل أنه لا مثيل له في البلاد، كما أنها اشتهرت بالورد الأبيض^(٤).

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٢) السيد سعدي، محمد رشيد، قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين، مطبعة الرشيد، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ص ١٩. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ٢٠.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧ م)، البلدان، المكتبة المرتضوية، العراق (١٣٣٦هـ/١٩١٨م)، ص ١١٩. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٧١. المغربي، كتاب الجغرافيا، ص ٥٧٧.

(٤) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٨٣.

وقد زار الرحالة نصيبين وذكروها وأشادوا بها ومنهم ابن جبير حيث يقول عنها: " شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب وباطنها هرم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر يمتد أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر وقد أجرى الله فيه مذابين (أماكن ذوبان الثلوج) من الماء تسقيه"^(١).

المطلب الثاني - ماردین:

ماردين بكسر الراء والذال هي كلمة على لفظ جمع مارد، ومارد هو كل شيء تمرد واستعصى. ولفظ ماردین في اللغة السريانية يفيد معنى (الحصن)^(٢). قيل: إن مستحدثها كان ملكاً من ملوك اليونان يقال له: عرصوص، كان قد أتى لمحاربة الفرس في نصيبين. فلما مر بالموضع الذي أقيمت فيه والمسمى آنذاك بـ كاف الطيور أعجبه فنزله مع عساكره وأقام فيها مدة خمس سنوات، عمل من خلالها على زيادة العمران فيه، وابتنى القلعة التي سميت في عصره بقلعة الغراب سنة ٥٥١م^(٣). وهناك سبب آخر لتسميتها وهو أن ملكاً من ملوك الفرس كان له ولد يسمى "ماردين" وكان به مرض عجز عنه الأطباء، فأشار بعض الأطباء على والده وقالو: لا بد له من مكان مرتفع يجري به الفصول الأربعة ليؤثر به الدواء. فتفحصوا فلم يجدوا سوى جبل الغراب بقرب جبل بارون أي جبل ماردین، فأرسله أبوه بصحبة الأطباء، فمكث غير بعيد، فتعافى من مرضه، وطاب له المكان واتخذة موطناً، فنسب إليه^(٤).

(١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٨م) رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية، ج ١٧، ص ٤٣٤.

(٣) شمساني، مدينة ماردین، ص ١٢.

(٤) عمر بن محمد، عبدالسلام، تاريخ ماردین من كتاب أم العبر، تحقيق: حمدي السلفي وتحسين الدوسكي، دار المقتبس، بيروت، ط ١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٢١.

وقد وصفها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فقال: "ماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دُنَيْسَر ودارا ونَصِيبين وذلك الفضاء الواسع، وقُدَّامها رِض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبط وخانقاوات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع وعندهم عيون قليلة الماء، وجلّ شربهم من صهاريج معدّة في دورهم، والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحسن ولا أحكم" (١).

وتُعدّ من أشهر مدن إقليم الجزيرة الفراتية، بنيت على جبل يشرف على السهول الفسيحة المترامية تحته حتى جبال سنجار، كما أن لها حصناً منيعاً لا يستطيع أحد اختراقه.

وقد كانت تتبع ديار ربيعة في مرحلة من الزمن، وتارة تتبع ديار بكر وذلك حسب التبدلات والأحداث السياسية والاقتصادية التي كان يعيشها إقليم الجزيرة في عصوره المتتالية.

وماردين تقع فوق منحدر صخري بارتفاع ١١٠٠م في منتصف الطريق بين رأس العين و نصيبين، وعند الموضع الذي يتسع فيه الخابور، مما ينصب فيه من مياه الجداول القادمة من طور عبيد وعلى أقل من أربع فراسخ إلى الشمال من دُنَيْسَر، وقد كانت من المواقع العسكرية المهمة وحصناً دفاعياً منيعاً؛ وذلك نتيجة لموقعها الجغرافي المهم حيث سيطرت على المناطق الواقعة على دجلة، والفرات وشكلت ممراً طبيعياً مهماً للشمال، وطريقاً إلى الموصل عبر نصيبين وآمد، واشتهرت ماردين بقلعتها التي تعد من أشهر القلاع في قمة جبلها وكان اسمها الشهباء (٢) وليس على وجه

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ٣٩. مرصد الاطلاع، ج٣، ص١٢١٩.. ناير، الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند الأراتقة، ص٩٢. انظر الملحق رقم (١٣).

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٩. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار"، ص٢٤٧. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٥-١٢٦. ناير، الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند الأراتقة، ص٩٢.

الأرض أحسن منها ومن قلعتها، ولا أحكم ولا أعظم ولا أبدع ولا أتقن على حد قول الرحالة ابن جبیر وابن بطوطة كما وصفها في رحلتهما. وفي داخل المدينة ثلاث أعين هي: عين الجوزة، عين الحريبات، عين الخرنوب، وفي شرق المدينة عين تسمى عين التوتة.

وللمدينة سور يحيط به خندق ولل سور ستة أبواب: باب السور، باب قيس، باب الشوط، باب الحديد، باب الزيتون، وباب الخمارة اشتهرت المدينة بموقعها الجغرافي المتميز، فاهتم بها المسلمون لموقعها الاستراتيجي والاقتصادي، وأحيطت بالمدينة مساحة واسعة من الأراضي، والمزارع ذات التربة الخصبة، والإنتاج الوفير، وساعد على هذا الإنتاج توفر المياه من العيون المتفجرة في المدينة، وقد استفاد أهالي المدينة من مياه الأمطار فعملوا على تجميعها ضمن الصهاريج والبرك وأوصلوا المياه إلى منازلهم عبر القنوات، فأنتجت أراضيها الحبوب والبقول والقطن الذي وصفه الرحالة ماركو بولو بأنه من أجود أنواع القطن^(١) والكروم، كما انتشرت فيها البراري، التي كانت تستخدم مراعي للحيوانات كالجواميس والماعز واستفاد الأهالي من منتجاتهم في صناعات محلية تميزوا بها كالصناعات النسيجية من الكتان والصوف، الذي ذاعت شهرته في البلاد واستخدم للتصدير^(٢).

وجبل ماردين به جوهر الزجاج الجيد الذي يستخدم لصنع الأدوات الزجاجية، ويصدر منه إلى أماكن مختلفة^(٣) ووصل إليها ابن بطوطة في رحلته وأثنى على جمالها وصناعتها، وأشار إلى أنها كانت على هذا النحو منذ القدم فقال: "ماردين مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقاً وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف بالمزعز"^(٤).

(١) ناصراً وغلو، ماردين وماحولها في عيون الرحالة الغربيين، ص ٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٥. غونيش، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عبيد، ص ٩٥.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٤.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٤٨.

المطلب الثالث - الرُّها (أورفة):

تقع الرُّها عند منابع أحد روافد البليخ وهي من المدن المهمة للنصارى في الجزيرة وقال عنها ياقوت الحموي: "مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، سميت باسم الذي استحدثها وهو الرُّها بن البكندي بن مالك ابن دُعر. وكان اسمها بالرومية أَداسا^(١)."

وهي مدينة متوسطة الكبر وبها كثير من المياه، والبساتين، والزروع. استولى عليها بلدوين - أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى - الأول خلال الحملات الصليبية على بلاد الشام، وأسس فيها إمارة صليبية دامت نصف قرن، ثم فتحها عماد الدين زنكي سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م). وأعادها إلى الحكم الإسلامي بعد إنتزاعها من يد ملكها جوسلين الثاني^(٢).

وللمدينة ثلاثة أبواب: باب حرَّان، باب أفساس، وباب شاع، وفيها عينان: العين الطويلة، والعين المدورة، وكان يوجد في المدينة قلعة على جبل يتصل بها سور المدينة من الجانب الغربي^(٣).

واشتهرت بالأديرة والكنائس الكثيرة المنتشرة فيها، والتي ازدادت كثيراً بعد فتح المدينة، نتيجة للتسامح الديني الذي كان سائداً، وذكر بأن فيها أكثر من ثلاثمائة دير للنصارى^(٤).

كان للمدينة دور تجاري مهم، فقد كانت القوافل التجارية تمر من أراضيها، وكان التجار يدفعون لأهالي المدينة ضرائب لقاء مرورهم وتأمين الحماية لهم.

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٠٦.

(٢) الحارثي، عبد الله بن ناصر بن سليمان، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٤.

(٣) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٨٦.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٤.

المطلب الرابع - حرّان:

من أشهر مدن ديار مضر بينها وبين الرّها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام وبلاد الروم^(١) وهي أول مدينة وضعت على وجه الأرض بعد الطوفان، ويقال أن سيدنا نوح عليه السلام هو أول من بنى سورها^(٢).

وكان اسم حرّان هاران نسبة إلى هاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعريت فقليل حرّان^(٣).

وذكر أبو الفداء أنها كانت مدينة للصابئة، بها سدنتهم السبعة عشر، وبها تل عليه مصلّى يعظمه الصابئون ويتجهون إليه في صلاتهم، وينسبونه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام^(٤).

ووصف ابن جبّير حرّان ومسجدها فقال: "فشاهدنا من بناء هذا الجامع، وحسن ترتيب أسواقه المتصلة به، مرأى عجباً، قلّما يوجد في المدن مثل انتظامه".

وكان بناء المدينة، وجامعها، وقلعتها وسورها، والخندق الذي يحيطها بالحجارة وهي مدينة كبيرة لها مدرسة، ومارستان، وبها نهر صغير في جبهتها الشرقية.

واختتم ابن جبّير وصفه لها بقوله: "والبلد كثير الخلق، واسع الرزق، ظاهر البركة، كثير المساجد، جم المرافق على أفضل ما يكون من المدن. وصاحبه مظفر الدين بن زين الدين، وطاعته إلى

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٤) السيد سعدى، قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين، ص ١٧.

السلطان صلاح الدين الأيوبي". وفي عام ٦٧٠هـ نقل المغول من بقي على قيد الحياة من سكانها إلى المناطق الشرقية من نهر الفرات بعد المجزرة التي ارتكبوها فيها^(١).

ويوجد فيها مسجد لإبراهيم عليه السلام، وفيه صخرة مقدسة يقال بأن إبراهيم عليه السلام استند عليها^(٢). ولها سبعة أبواب: باب الرقة، الباب الكبير، باب البيار، باب الفدان، الباب الصغير، باب يزيد، وباب الماء، وفيها نهران: ديسان، وجلاب، واستغل السكان هذه الأنهار وأقاموا حولها القناطر^(٣).

المطلب الخامس - ديار بكر (آمد):

مدينة آمد هي قاعدة ديار بكر، ويطلق أحياناً عليها ديار بكر من باب إطلاق العام على الخاص وتقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة وكانت تعرف باسم (أميدا) وسماها العرب آمد. وآمد بلد قديم مبني بالحجارة السوداء الصلبة (البازلت) فابن حوقل النصيبي يذكر أن عليها سوراً أسود من حجارة الأرحية سمي ميموناً لشدة سواده، ولهذا السبب تدعى آمد السوداء^(٤). ولقد أمعن البلدانون المسلمون في وصف روعة بنائها، وحصانة موقعها وخصائص عمارتها، ويصفها المقدسي بأنها بلد حصين، حسن عجيب البناء على عمل أنطاكية، لأسوارها خمسة أبواب: باب

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠-٤١.

(٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠١. الرشدي، محمد عبدالرحمن مسعد، تاريخ آمد وحضارتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات، ٢٠٠٨م، ص ٤. مجموعة من المؤلفين، كتاب السالنامة ولاية ديار بكر، مطبعة الولاية في ديار بكر، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م، ص ١٦٥. أرباجي، منطقة الجزيرة من القرن الثالث حتى بدايات الفتح الإسلامي، ص ١٣. انظر ملحق رقم (١٤).

الماء، وباب التل، وباب الروم، وباب الفرج، وباب السر يُحتاج إليه وقت الحرب، وختم وصفه بقوله: " لا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحصن ولا ثغراً أجل منها، في تخوم المسلمين بوجه الروم".

وفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م مر الحاج الفارسي ناصر خسرو بمدينة آمد ودون لها وصفاً دقيقاً حسبما رآها بنفسه، فذكر إنه لم ير قط مدينة مثل آمد في أي مكان على وجه الأرض، ولا سمع من أحد أنه رأى مكاناً آخر مثلها، وأن طول المدينة ألفا خطوة وعرضها مثل ذلك، وهي محاطة بسور من الحجر الأسود يحيط بالتل المشرف عليه، وعلو هذا السور عشرون ذراعاً، وسمكه عشرة أذرع، وأكثر حجارته ملتصق ببعضه ببعض من غير طين أو حص، وعلى نهاية كل مائة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السوداء نفسها، وفيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الأصلية^(١).

شغلت المدينة دوراً اقتصادياً مهماً، وقد ساعدها على ذلك قربها من نهر دجلة، فقد توفرت فيها المياه الغزيرة، فساعد على خصوبة أراضيها، فانتشرت فيها البساتين والمزارع، وهذا أدى إلى كثرة حاصلاتها التي كانت تصدرها إلى الموصل، والعراق، والشام، مثل حبوب القمح، والشعير، والأرز، والقطن، والفواكه المجففة^(٢) ولكثرة محاصيلها من الحبوب قام سكانها بإنشاء الطواحين التي انتشرت على العيون لطحن الحبوب^(٣). وعدا عن تميزها بالغنى الاقتصادي فقد تميزت بالموقع الاستراتيجي

(١) مفتاح، علي محمد فريد، التواريخ المحلية لإقليم الجزيرة الفراتية حتى نهاية القرن الثامن الهجري، طبعة

خاصة بالمؤلف، عدن، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٣٢-٣٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١.

المهم، وشكلت حصناً منيعاً منذ القدم. وعندما زارها المقدسي قال عنها: " لا أعرف للمسلمين بلداً أحسن منها ولا ثغراً أجلاً منها" (١).

المطلب السادس - مَيَّافَارِقِينَ:

أشهر مدن ديار بكر، وهي بين الجزيرة وأرمينية، ولها جبل في شمالها وهي في ذيل هذا الجبل (٢). تقع مَيَّافَارِقِينَ إلى الشمال من نَصِيبِينَ وإلى الشرق من مدينة ديار بكر (أَمِدْ) (٣) كما تعرف في يومنا هذا بمدينة العسل والعنب والزيت والحنطة، وتعود أصل التسمية والتاريخ والبناء إلى ما قبل الفتح الإسلامي، ومَيَّافَارِقِينَ اسم أعجمي معرّب. وقيل أن مَيَّافَارِقِينَ تعني بالفارسية "فارقين" أي الاختلاف وقيل اسم شجرة الصفصاف لكثرة أشجار الصفصاف فيها إلا أن للتسمية إسماءً آخر أوردده صاحب الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ابن شداد قائلاً: ومعنى اسم مَيَّافَارِقِينَ (مَيَّا) اسم الأودية بالسريانية (وفارقين) اسم امرأة بنتها فكأنهم يقولون أودية فارقين (٤). وفي مَيَّافَارِقِينَ نهر صغير ينبع من عين تسمى عين حنبوص بين الغرب والشمال من مَيَّافَارِقِينَ تسقي بساتينها وتخترق دورها (٥). وللمدينة أبواب عدة: باب أرزان، باب قلوبح، باب الجبل، باب الريض، باب الفرج والغم (٦).

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٤٠.

(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٧٩.

(٣) علي جان، مدينة مَيَّافَارِقِينَ في العصور الوسطى، ص ١٥.

(٤) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٢٦٠. علي جان، مدينة مَيَّافَارِقِينَ في العصور الوسطى، ص ٤٢.

كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ١٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٦) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، ق ١، ص ٢٦٦-٢٦٨.

المطلب السابع - جزيرة ابن عمر:

أما عن تسمية جزيرة ابن عمر بهذا الاسم، فالواقع أن المصادر والمراجع تشير إلى عدة أسماء متقاربة ينسب إلى كل منها بناء "الجزيرة". فقليل هي منسوبة إلى يوسف بن عمر "أمير العراقيين". ويقول ابن خلكان مضيفاً بأنه: "ظفر بالصواب، وهو أن رجلاً من أهل "برقعيد" - من أعمال الموصل - بناها، اسمه عبد العزيز بن عمر فأضيفت إليه". ووردت أيضاً بإسم جزيرة ابن عمر بن أوس التغلبي. وفي رأي آخر وردت باسم جزيرة ابن عمارة.

أما ابن حجر فقد ذهب في تسميتها بعيداً حيث أطلق عليها اسم "جزيرة ماردين". وذكرها ابن العبري فقال: "أن أول من بناها هم بنو عمر المعديون، وأطلقوا عليها اسمهم "جزيرة ابن عمر" أو الجزيرة. لكن المصادر الأقرب زمنياً إلى تاريخ تأسيس المدينة تشير إلى أنها سميت جزيرة ابن عمر نسبة إلى الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي الذي بناها قبل سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م). ويقول ابن شداد: بأن الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي اختط جزيرة ابن عمر وعمرها، بعد المئتين في أيام المأمون، فعرفت به "جزيرة ابن عمر" (١).

وقد وصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال: جزيرة ابن عمر، بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي وكانت له إمرة بالجزيرة وذكر قرابة سنة ٢٥٠هـ، هذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال (٢). وكان سكانها من جنسيات مختلفة، وعرفت في بعض الأحيان بجزيرة

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ١٤-١٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٨.

الأكراد^(١). وعندما نتحدث المصادر التاريخية عن جزيرة ابن عمر قبل نسبتها لابن عمر فإن المصادر تورد تسمية بأقزدي وبازندي وهي المنطقة التي تقع فيها الجزيرة وهاتان المنطقتان هما كورتين منها. فإذا تم ذكر تسمية بأقزدي وبازندي فإن المقصود هو جزيرة ابن عمر وهي الآن تقع في تركيا وتعرف عند الأكراد بجزيرة (بوطان) وعند الأتراك باسم (جزيرة).



(١) ابن شداد، الأعلام الخطيرة ، ج ٣، ق ١، ص ٢١٣.

الفصل الثاني

الفتوح الإسلامية للجزيرة الفراتية العليا

تمهيد: مفهوم الفتوح وأهدافها.

المبحث الأول: الاستعدادات النبوية الأولى للفتوحات.

المبحث الثاني: الجزيرة الفراتية عشية الفتح الإسلامي

المبحث الثالث: الفتوح الإسلامية في عهد عمر بن

الخطاب رضي الله عنه (فتح مدن الجزيرة).

المبحث الرابع: قادة الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا.

المبحث الخامس: موقف أهل الجزيرة من الفتح.

المبحث السادس: الأسباب والعوامل التي ساعدت على

الفتوح.

المبحث السابع: الثغور الجزرية.

تمهيد - مفهوم الفتوح وأهدافها:

الفتوح جمع فتح، والفتح في اللغة نقيض الإغلاق. ويقصد به افتتاح دار الحرب ودخول دار العدو لنشر الإسلام، وجمعه فتوح؛ كما يأتي الفتح بمعنى النصر والغلبة. وأيضاً بمعنى الحكم ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١) وقد وردت لفظة "الفتح" في العديد من الآيات القرآنية، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٤) ولا يقتصر مفهوم الفتح على الانتصار العسكري فحسب، بل يتعداه إلى الانتصار في مختلف الميادين العسكرية والأدبية والأخلاقية، والتي سببت مجتمعة دخول الأقوام في البلاد المفتوحة عسكرياً في دين الإسلام بقناعة ورضا، مما سبب انتصار عقيدة التوحيد على الشرك في تلك البلدان.

- أهداف الفتوح :

لقد بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بدين الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) وقد وعد الله بنصر

(١) الأعراف، الآية: ٨٩.

(٢) الفتح، الآية: ١.

(٣) الفتح، الآية: ١٧.

(٤) النصر، الآية: ١.

(٥) سبأ، الآية: ٢٨.

هذا الدين وإظهاره في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١)

ومن هذا المنطلق، فإن الرسول ﷺ قد بذل جهده وسعى لتبليغ هذا الدين إلى الناس كافة دون إجبار لهم على الدخول فيه كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٣) ومن أهداف الفتوحات الإسلامية إخضاع الدول غير المسلمة وإدخالها ضمن ولاية الدولة الإسلامية، والأصل في الفتح خروج المسلمين للدعوة إلى دين الإسلام، وهكذا كانت وصية النبي ﷺ لمن يبعث من قادته، فإن دخل أهل تلك البلاد في الإسلام فذاك، فإن أبوا عرض عليهم دفع الجزية، فإن أبوا فالقتال حتى يدخلوا في سلطان المسلمين، ليتمكن المسلمون من دعوتهم إلى الإسلام دون أن يقف في طريقهم أحد، ثم بعد ذلك من شاء منهم أن يدخل في الإسلام فعل، ومن شاء أن يبقى على دينه فعل، ولكن يبقى تحت سلطان المسلمين ويدفع إليهم الجزية، فيعصم دمه وماله.

والفتح الإسلامي لم تكن غايته ضم أهل البلدان إلى الأمة الإسلامية بقصد سلب أموال الأهالي، أو التسلط على ممتلكاتهم أو استغلال مواردهم الطبيعية وخيراتهم المعدنية أو الزراعية، أو إحراز الغنائم، ويدل على هذا كلمة الخليفة عمر بن عبد العزيز الخالدة التي وجهها لبعض ولاته وهي: إن

(١) التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) المائدة، الآية: ٩٩.

الله بعث محمداً ﷺ بالحق هادياً ولم يبعثه جابياً. وقال زهرة بن جوية^(١) لرستم قائد الفرس في وقعة القادسية: " إنا لم نأتكم لطلب الدنيا، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة"^(٢).

المبحث الأول - الاستعدادات النبوية الأولى للفتوحات:

لم يكن التفكير في غزو بلاد الشام وفتحها وليد عصر أبي بكر الصديق ﷺ فقط ولكنه كان وليد تخطيط "استراتيجي" مسبق من قبل الرسول ﷺ وذلك قبيل وفاته بعدة سنوات بدليل السرايا التي كان يرسلها من آن لآخر إلى أطراف بلاد الشام الجنوبية والتي مهدت للفتح لاحقاً فبعد أن استتب الأمن في شبه الجزيرة العربية بعد صلح الحديبية، وذلك بعقد التحالفات مع قريش والقبائل العربية واليهود، دانت الجزيرة العربية لنفوذ الدولة الإسلامية وكان على رسول الله ﷺ الاتجاه للدعوة خارج حدود الجزيرة، فاتجه تفكيره شمالاً وفي هذه الحقبة كان الصراع بين دولتي فارس والروم على أشده، وكان الرسول يتابع ما يحدث على الساحتين الفارسية والبيزنطية من تطورات، هو ومن معه من الصحابة وكان ﷺ يعي تماماً ضرورة السيطرة على هذه المنطقة الحدودية، والتي لها أهمية كبرى كموقع استراتيجي يشرف على عمق دولة العدو، ويشكل درعاً واقياً له، وذلك قبل البدء بغزو بلاد الشام،

(١) زهرة بن حوية بن عبد الله بن قتادة بن مزند بن معاوية بن قطن بن مالك بن أزم بن جشم بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. حوية: بفتح الحاء وكسر الواو، قاله سيف. وقال ابن إسحاق: حوية بضم الجيم وفتح الواو. وقال الدارقطني: وقول سيف أصح. ذكر سيف وابن الكلبي أن ملك هجر أوفده على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم، ثم شهد القادسية مع سعد، وهو الذي قتل الجالينوس، وعاش إلى زمن الحجاج فقتل في وقعة شبيب الخارجي سنة سبع وسبعين. بعثه الحجاج مع عتاب بن ورقاء وهو شيخ كبير فوطنته الخيل، فأخذ يذّب عن نفسه، فمر به الفضل بن عامر الشيباني فقتله، فجاء شبيب فوقف عليه فقال: من قتل هذا؟ فقال الفضل: أنا. فقال: أما والله يا زهرة كيف كنت قتلت على ضلالة. لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه غناؤك، ورب خيل للمشركين قد هزمتها، وقرية من قراهم قد فتحتها، فذكره الطبري عن أبي مخنف. وزعم أبو عمر أنه قتل بالقادسية، وتعبه الرشاطي؛ فأصاب. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٤٩٨.

(٢) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٧م)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٤٥٦.

وكان يعلم أيضاً أن معظم العرب الذين يسكنون منطقة الشام من المنتصرة، إلا أنهم كانوا يعانون من ظلم البيزنطيين وهيمنتهم عليهم. وفي السنة السابعة للهجرة قام الرسول ﷺ بمراسلة بعض القبائل التي تقطن المناطق الحدودية لبلاد الشام وذلك في محاولة منه لاستقطابها، فبعث إلى الحارث بن أبي شمر الغساني عامل الروم على بصرى، وفروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على معان وما حولها، فأسلم فروة وبعث للرسول ﷺ هدية وكتاباً يعلن فيه إسلامه^(١).

فبدأ النبي ﷺ بإرسال الغزوات واحدة تلو أخرى إلى أطراف بلاد الشام فكانت آخر مهمة عسكرية وجهها الرسول قبل وفاته بعثة أسامة بن زيد إلى الشام، والتي قُبض إلى الرفيق الأعلى قبل إنفاذها إلى وجهتها، فقد مرض مرضه الأخير عليه الصلاة والسلام، وأسامة يعسكر بالجند خارج المدينة^(٢). بعد وفاة الرسول ﷺ خلفه الصديق أبو بكر رضي الله عنه، فكان أول عمل قام به إنفاذ بعثة أسامة إلى بلاد الشام، والتي تأجل إنفاذها بسبب وفاة الرسول ﷺ، وكانت تعسكر خارج حدود المدينة المنورة، وقام أسامة بالمهمة التي كلفه بها النبي ﷺ وهي غزو منطقة (الذاروم) من بلاد الشام على أكمل وجه، ثم عاد إلى المدينة المنورة^(٣)، ثم انشغل المسلمون بقيادة أبي بكر في موجة جديدة من القتال والفتح، كانت بدايتها مع المرتدين الذين تركوا الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ. ولما انتهت حروب الردة، اتجهت الجيوش الإسلامية إلى الحدود الفارسية فاتجه المثنى بن حارثة الشيباني، على رأس ثمانية آلاف مقاتل، إلى الحدود الفارسية؛ وشن الغارات، ولما أتم خالد بن الوليد حربه في اليمامة

(١) ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي والشركة الدولية للطباعة، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج ٩، ص ٤٣٨.

(٢) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت: ٢١٨هـ/٨٣٤م)، السيرة النبوية، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٣) ابن عساکر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٦.

ضد مسيلمة الكذاب، توجه بجيشه إلى العراق استجابة لأمر الخليفة وكان قوامه عشرة آلاف مقاتل، ولما وصل إلى العراق، قام بتوحيد الجيوش الإسلامية، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: كانت قيادة القسم الأول للمثنى، وقيادة القسم الثاني لعدي بن حاتم، والقسم الثالث كانت بقيادة خالد بن الوليد، وقد انتهى الأمر بين المسلمين والفرس بعدة وقائع كان النصر حليف المسلمين^(١).

ولما استقر الأمر، قرر أبو بكر غزو بلاد الشام من جديد، فجمع كبار الصحابة وشاورهم في الأمر قائلاً: " ألا وإنني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فما قولكم في ذلك؟" ^(٢) وكان ردهم جميعاً بالإيجاب، فأعلن أبو بكر الجهاد، وأمر بلالاً أن ينادي في الناس لينفروا إلى جهاد الروم، وكتب إلى العرب في سائر أنحاء الجزيرة: مكة ونجد واليمن فلبوا النداء، وكان أول من استجاب له المهاجرون والأنصار، تبعهم قبائل الحجاز، ونجد، وتجمعوا خارج المدينة، وحين رأى أبو بكر عدتهم لم يرتضها للروم فأرسل إلى قبائل اليمن يستنفرهم، فلبت القبائل النداء، وجاءت إلى المدينة قبيلة في إثر قبيلة.

بعد اكتمال هذه الجموع بين يدي أبي بكر الصديق بدأ في توزيعها على أربع مجموعات، وعقد لها أربعة ألوية بقيادة: أبي عبيدة بن الجراح، فوجهه إلى حمص ويزيد بن أبي سفيان وجهه إلى دمشق، وشرحبيل بن حسنة وجهه إلى الأردن، وعمرو بن العاص وجهه إلى فلسطين، وسمى لكل قائد منهم وجهته، واختلفت الروايات فيمن كان القائد العام لهذه الجيوش، ولكن القول الأرجح: أن أبا بكر

(١) أبو ضيف، مصطفى، دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل ظهور الإسلام إلى ظهور الأمويين، مؤسسة الجامعة الإسكندرية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٦٨.

(٢) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٣ م)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج ١، ص ٥.

أمرهم إن اجتمعوا لقتال عدوهم أن يؤمّروا عليهم أمير المنطقة التي يقع فيها القتال^(١) ورغم انطلاق الجيوش إلا أن قدوم الوفود لم ينقطع إلى المدينة، رغبة في الانضمام إليهم.

هذه الجيوش كانت تضم لأول مرة القبائل العربية التي طالما تناحرت فيما بينها قبل إسلامها، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقاوت فيها تحت راية واحدة، وبلغ تعداد جيش المسلمين كما ذكر الطبري في تاريخه واحداً وعشرين ألفاً، إضافة إلى جيش عكرمة بن أبي جهل الذي كان يربط قريباً منهم في ستة آلاف، وزاد هذا العدد إلى ستة وثلاثين ألفاً حين قدم خالد بن الوليد بتسعة آلاف من العراق^(٢) فوقع القتال بين المسلمين والروم ورأوا من الحشود التي جمعها الروم، فأرسلوا إلى أبي بكر يخبرونه بالحشود الكثيرة التي جمعها الروم، ويسألونه المدد، مما دفع أبا بكر لأن يرسل لخالد بن الوليد الذي كان يخوض معارك فتح العراق، يأمره بالتوجه فوراً إلى بلاد الشام، وأن يكون أميراً للجيوش هناك "وإني قد وليتك على جيوش المسلمين، وأمرتك بقتال الروم وقد جعلتك الأمير على أبي عبيدة ومن معه" وذلك لما عُرف به خالد من مكيدة بالحرب.

حين رأى قادة الجيوش الإسلامية التجمعات الهائلة التي أعدها لهم الروم، حزموا أمرهم على الاجتماع في مكان واحد لتدارك الأمر والتشاور، فاجتمعوا بالجابية (مكان قرب دمشق) ولقيهم خالد ابن الوليد هناك وذلك بعد وصوله من أرض العراق، في رحلته الشهيرة مع جزء من جيش العراق، وكُتب النصر بعد ذلك للمسلمين في بلاد الشام وكان من أشهر المعارك التي خاضوها معركة أجنادين واليرموك وفي هذه الأثناء والمسلمون في بلاد الشام توفي أبو بكر ﷺ وتسلم الخلافة عمر

(١) الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله (ت: ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، فتوح الشام، صححه: وليم ناسوليس الإيرلندي،

مدينة كلكتة، ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م، ص ٥٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٤.

بن الخطاب ؓ فقام بعزل خالد ؓ عن إمارة الجيوش في بلاد الشام وولى أبا عبيدة بن الجراح ؓ القيادة العامة للجيوش^(١).

بعد أن تم للمسلمين فتح دمشق، ساروا إلى مدينة حمص بقيادة أبي عبيدة بن الجراح وتبعه خالد بن الوليد فيما بعد، فحاصروا المدينة حصاراً شديداً، حتى جاء الشتاء وأهلها يرفضون الصلح، رغبة أن يصرف البرد المسلمين عنهم، ولكن المسلمين صمدوا رغم الظروف المناخية القاسية، وانقضى الشتاء، وازداد حصارهم لحمص حتى ضج أهلها وخرجوا يطلبون الصلح من المسلمين على ما صالحوا عليه أهل دمشق وتم الصلح وترك أبو عبيدة بها جيشاً كثيفاً حتى لا يعود إليها الروم من جديد، ومضى يريد حلب وأنطاكية، ولكن عمر ؓ أمره بالتوقف عن التوغل في بلاد الروم وذلك لطرده هرقل منها، وكان ذلك في العام الخامس عشر للهجرة. وبعد ذلك تم توجيه الأنظار لفتح الجزيرة الفراتية^(٢).

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ١، ص ٢٢-٢٤.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج ١، ص ١٧٠.

المبحث الثاني - الجزيرة الفراتية عشية الفتح الإسلامي:

كانت منطقة الجزيرة الفراتية قبيل فتحها تخضع لسيطرة إمبراطوريتي بيزنطة وفارس، وقد فرضت كل إمبراطورية منهما سيطرتها على جزء من الجزيرة. ويشير أبو يوسف في كتاب الخراج إلى انقسام الجزيرة بين كل من بيزنطة وفارس قائلاً: "إن الجزيرة كانت قبل الإسلام، طائفة منها للروم، وطائفة لفارس، ولكل فيها في يديه منهما جند وعمال. فكانت رأس العين فما دونها إلى الفرات للروم. ونصيبين وما وراءها إلى دجلة لفارس. وكان سهل ماردين ودارا إلى سنجار وإلى البرية لفارس، وكل جبل ماردين ودارا وطور عبيد للروم". ومما لا شك فيه أن تقسيم الجزيرة بين فارس وبيزنطة الذي جاء في النص الوارد عند أبي يوسف، كان يمثل وضع الجزيرة السياسي بعد سلسلة من الصراعات والحروب التي دارت بين الدولتين المسيطرتين عليها^(١). فقد عانت الجزيرة الفراتية من هذه الحروب التي كان لها تأثير كبير على أوضاعها العامة. وكان آخرها الحرب التي وقعت في أوائل القرن السابع الميلادي حيث دخلت الجزيرة أكبر حرب عرفتتها بين بيزنطة وفارس، وتعرضت الجزيرة للكوارث الطبيعية حتى وصل الأمر إلى غرق بعض المدن مع أهلها ودوابهم من شدة الأمطار.

وقد دفعت هذه الحروب والكوارث الطبيعية وما نتج عنها من قلة موارد الجزيرة الفراتية الأمبراطور البيزنطي موريس (٥٨٢-٦٠٢م)، إلى تخفيض رواتب الجند بمقدار الربع، مما تسبب عنه عصيان الجند، والقيام بمظاهرات عدائية لبيزنطة وأمباطورها، أسفرت عن طرد القائد البيزنطي إلى القسطنطينية. وتعرض الأمباطور البيزنطي موريس نفسه إلى حادثة اغتيال سنة ٦٠٢م، وذلك على

(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٦٩.

يد فوقس (٦٠٢-٦١٠م)، الذي استهل حكمه بالقتل والظلم، وقد ذكر ثيوفانس تفاصيل مافعله هذا الإمبراطور من فظائع تمثلت بقتل بعض البطارقة، وقد عانت الجزيرة في عهده كثيراً بسبب ذلك^(١). لم يرض جميع سكان الجزيرة الفراتية عن التغيرات التي حدثت في الإمبراطورية البيزنطية، فقد ناصب أهل الرها الإمبراطور فوقس العدا، مما دفع كسرى الثاني (٥٩٠-٦٢٧م) إلى استغلال هذه الأحداث لصالحه بحجة الانتقام للإمبراطور المقتول، عرفاناً له بالجميل، لأنه ساعده في الوصول إلى عرش فارس.

وأخفى نواياه الحقيقية وسياسته التوسعية، وبالتالي أدى هذا الحدث المهم في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية إلى انقسام قوات الإمبراطورية البيزنطية في الجزيرة الفراتية إلى قسمين: قسم يؤيد الإمبراطور موريس المقتول، وقد تمكن هذا الفريق الذي تزعمه (درميس) قائد الجيوش البيزنطية في منطقة الجزيرة من السيطرة على الرها، وقام بقتل مطران الملكيين-أتباع الكنيسة الخلقيدونية-، رجماً بالحجارة، على حين أن القسم الآخر شايع الإمبراطور الجديد فوقس، وعمل على تتبع ابن الإمبراطور موريس إلا أن جيش كسرى كان لهذا الفريق بالمرصاد، فجهز الجند وهاجم فوقس وجيشه سنة (٦٠٤م)، وتمكن من الانتصار عليه وطرده^(٢).

بعد أن هزم الفرس البيزنطيين هنا نزلت الآية الكريمة ﴿الم ١٠١ غُلِبَتِ الرُّومُ ١٠٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿١٠٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۚ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٤﴾

(١) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١.

بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(١) عملوا على ضم مدن الجزيرة إليهم، فسيطروا على حرّان، والرّها ، وجميع المدن التي كانت تحت سيطرة بيزنطة، وبالتالي فقد أصبحت منطقة الجزيرة الفراتية تحت سيطرة الفرس، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم اخترقوا بلاد الشام حتى فلسطين، وتجاوزوها إلى مصر، وبلغوا في توسعهم شمالاً آسيا الصغرى، كما غزوا أرمينية وذلك سنة (٦٠٩م).

لم يصبح حال سكان الجزيرة الفراتية تحت سيطرة الفرس أفضل مما كان عليه حالهم تحت سيطرة بيزنطة. فقد مارس الفرس شتى وسائل العنف للضغط على أهالي تلك المدن، وعملوا على فرض ضرائب باهظة عليهم، وأجبروهم على دفعها بالقوة. وساموا الناس سوء العذاب واغتصبوا أموالهم. ويبدو أن أهالي بعض مدن الجزيرة عارضوا سياسة التسلط الفارسي بسبب القوة التي اتبعوها معهم، مما دفع بكسرى إلى تخليّة جماعية لأهلها. ونفيهم إلى فارس، ودخلها مع جيشه وجعلها قاعدة له استعداداً لمواجهة ردة فعل بيزنطة. بقي الأمر على هذه الحال حتى سنة ٦٢٧م. حيث نهض هرقل (٦١٠-٦٤١م) مستغلاً اضطراب الأوضاع في فارس^(٢) لوضع حدّ للحرب الفارسية البيزنطية، فحاول في البداية عقد صلح مع كسرى الثاني أبرويز (٥٩٠-٦٢٧)، فرد كسرى عليه بقوله: "لن أدعك أبداً حتى تنبذ وتنتبرأ من هذا المصلوب الذي تقول: أنه الألّه".

جهز هرقل جيوشه، وزحف نحو الجزيرة لاستعادة ما سلبه كسرى من مدنها. وتجاوزت جيوشه منطقة الجزيرة، حتى المدائن عاصمة الفرس، وذلك سنة ٦٢٧م، وتقابل مع جيوش كسرى في موقعة نينوى الشهيرة، حيث تمكن هرقل من هزيمة الفرس هزيمة نكراء، نتج عنها صراع داخلي في فارس أسفر عن خلع كسرى عن العرش، وزجه في السجن، وتولى ابنه شيرويه العرش، الذي ما لبث أن قتل أباه سنة (٦٢٨م).

(١) سورة الروم، الآية: ٤١-٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٢.

وبهذا استطاع هرقل استرجاع الأقاليم التي استولى عليها الفرس، وهي أرمينية، والجزيرة، والشام بما فيها فلسطين، ومصر، واستقبلته العاصمة بيزنطة بالفرح، وحمل الناس أعواد الزيتون، والشموع المضئية، وأنشدوا الترانيم الكنسية تعبيراً عن فرحة النصر.

كانت الحرب الفارسية البيزنطية مدمرة، نشرت الخراب في منطقة الجزيرة الفراتية وغيرها، كما أنهكت الإمبراطوريتين، ولم تكن فارس أو بيزنطة في موقف يسمح لهما بمواجهة الأخطار الطارئة، فقد كان البيت الفارسي الذي تعرض جيشه للهزيمة يعاني من انشقاق أسري، كما كانت بيزنطة تعاني من ضائقة مالية سببتها تلك الحروب الطاحنة التي استنزفت المال والبشر.

لم يكن الفرس والبيزنطيون قد استراحوا بعد من هذه الأحداث المتتالية، حتى بدأت حركة الفتوح الإسلامية. وبذلك فإن هرقل لم يتمتع بانتصاره على الفرس طويلاً لانتقال السيطرة على الشام والجزيرة إلى العرب المسلمين.

هكذا كانت أوضاع الجزيرة الفراتية في المرحلة التي سبقت الفتح الإسلامي، تعيش في فوضى سياسية، بسبب الحروب المستمرة التي دارت على أرضها، تسببت في عدم استقرار أوضاعها السياسية، والاجتماعية، مما أنتج متاعب اقتصادية دفع ثمنها أهالي الجزيرة الفراتية^(١).

(١) المرجع نفسه، ص ٧٣-٧٤.

المبحث الثالث - الفتوح الإسلامية في عهد عمر بن

الخطاب (فتح مدن الجزيرة):

المطلب الأول - روايات فتح الجزيرة:

تابعت الجيوش الإسلامية انطلاقها في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكانت الفتوح تسير في وقت واحد في اتجاهين هما الشام، والعراق، حيث خضعت أغلب المناطق في هاتين المنطقتين للخلافة الإسلامية، وبدأ في عهد عمر (رضي الله عنه) فتح شمال إفريقيا وكانت بداية مع مصر حين استأذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) لفتح مصر، ثم تلتها مدن أخرى وفتحت الجزيرة في عهده سنة ١٨ للهجرة، ونقل ابن الفقيه الهمداني عن الزهري قوله: "لم يبق موضع قدم بالجزيرة إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد عياض بن غنم الفهري (١)".

وتشير إحدى روايات البلاذري إلى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أمر عياض بن غنم (رضي الله عنه) بغزو الجزيرة (٢)، بينما تشير رواية الطبري إلى أن عمر قد طلب من سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) أن يعين عياضاً قائداً لجيش الجزيرة، وأن يخرج في بداية الأمر نحو حمص لإمداد أبي عبيدة الذي حاصره جيوش بيزنطة فيها (٣). فسار عياض نحو حمص، وبعد هزيمة جيوش بيزنطة هناك بعث أبو عبيدة عياضاً إلى الجزيرة لفتحها (٤).

(١) الواقدي، محمد بن عمر (ت: ٨٢٠٧/٨٢٢ م)، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، تحقيق:

عبدالعزیز فیاض حرقوش، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٨.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

لقد حاصرت جيوش المسلمين التي خرجت من الكوفة - بأمر من عياض - مناطق في الجزيرة الفراتية، لمنعها من إرسال امدادات لجيوش البيزنطيين، واستمر حصارها حتى فتحت حمص، فخرج عياض بن غنم^(١) من حمص ليقود الجيوش المحاصرة للجزيرة^(٢).

وبهذا يمكن القول بأن فتح الجزيرة بدأ بعد فتح حمص مباشرة. واختلفت الروايات حول تاريخ فتح الجزيرة. وقد أشارت رواية البلاذري إلى أن فتح الجزيرة قد بدأ بعد فتح حمص مباشرة وقبل وفاة أبي عبيدة^(٣) أي سنة ١٧هـ/٦٣٨م^(٤)، بينما وردت روايتان مختلفتان عند الطبري إحداهما هي رواية ابن إسحاق تشير إلى أن الجزيرة " افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة " ^(٥)، بينما تتفق الرواية الأخرى وهي رواية سيف بن عمر مع رواية البلاذري التي تقول بأن الجزيرة فتحت بعد فتح حمص، وهي الأرجح لأن عمر بن الخطاب^(٦) استخلف عياضاً على حمص وقنّسرين والجزيرة بعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح سنة ١٨هـ/٦٣٩م^(٧). وكان قد أتم فتح الجزيرة.

ومع هذه التواريخ التي ذكرت عن فتح الجزيرة الذي تم بقيادة عياض بن غنم^(٨)، يمكن القول بأن هناك مناطق في الجزيرة الفراتية فتحت قبل هذا التاريخ، فقد فتحت هيت، والأنبار، وهما من الجزيرة جغرافياً سنة ١٢هـ/٦٣٣م، وفتح حصن الموصل سنة ١٦هـ/٦٣٧م^(٩)، أما الفيالق التي وجهها عياض لفتح الجزيرة ثم لحق بها فهي:

- فيلق سهل بن عدي الذي سلك طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة فحاصرها، وتداول أهلها الرأي فيما بينهم، فانتهوا إلى أنهم بين جيوش المسلمين في العراق وجيوشهم في الشام، وأنهم لا

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٧.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٨. غونيش، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عبيد، ص ٨٩.

(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤١-٤٢.

طاقة لهم على حرب كليهما، فبعثوا إلى القائد العام للفيالق وهو عياض بن غنم رضي الله عنه الذي كان قد انتهى من حمص وعاد إلى الجزيرة، وتمركز في منطقة متوسطة منها، فطلبوا منه الصلح فقبله عياض منهم، وطلب من قائده على الفيلق سهل بن عدي أن يعقد لهم صلحاً على لسانه^(١) جاء فيه ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عياض بن غنم رضي الله عنه أهل الرقة يوم دخلها، أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، لا تخرب، ولا تسكن إذا أعطوا الجزية، ولم يحدثوا مغيلة وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة، ولا يظهروا ناقوساً، ولا صليباً، شهد الله وكفى بالله شهيداً". ففتح أهالي الرقة أبواب مدينتهم، وأقاموا للمسلمين سوقاً على أحد أبوابها وهو باب الرُّها^(٢).

- فيلق عبد الله بن عتبان الذي خرج إلى الجزيرة عبر دجلة حتى انتهى إلى الموصل، فعبر إلى بلد ومنها إلى نصيبين، فقابله أهلها بطلب الصلح دون مقاومة، فعقد لهم صلحاً على مثل صلح الرقة بأمر من عياض^(٣).

وتشير إحدى روايات الطبري إلى مشاركة أبي موسى الأشعري، وعمير بن سعد. ويبدو أنهما انضما إلى فيلق عبدالله بن عتبان الذي خرج من الكوفة نحو الجزيرة^(٤).

- فيلق الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقد خرج هذا الفيلق لمواجهة عرب الجزيرة من ربيعة وتتوخ وإياد^(٥). فهربت إياد إلى الأراضي البيزنطية، إلا قلة وطلبت بقية القبائل الصلح فيما عدا تغلب من

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٩. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ٩٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١. دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص ٣٦.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٢.

ربيعة التي امتنعت عن تسمية ما تدفعه للمسلمين بالجزية، ووافقت على مضاعفته، على أن يكون صدقة.

- فيلق حبيب بن مسلمة الفهري وكان قد سُرح إلى عجم الجزيرة، ثم وجهه عياض ومعه صفوان بن المعطل إلى سُمَيْسَاط. فغلبا على قرى وحصون من قراها وحصونها فصالحهما أهلها على مثل صلح الرُّها^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن عياضاً وجه فيلق حبيب بن مسلمة الفهري إلى سُمَيْسَاط عند خروجه إلى حرّان. ويبدو أن حبيب بن مسلمة ومن معه واجهوا مقاومة من أهل سُمَيْسَاط، مما أخرج فتحها إلى ما بعد فتح الرُّها، لذلك طالبوه بمثل صلحها^(٢).

- فيلق أمير القتال عياض بن عَنَم رضي الله عنه، وهو الفيلق الذي كان قاعدةً لجميع الفيالق التي انطلقت نحو مدن الجزيرة لفتحها، فبعد أن وجه عياض كل فيلق نحو مهمته، اتجه من الرقة إلى الرُّها، ومنها اتجه بنفسه مع فيلقه نحو مدينة حرّان، فنزل بإحدى مناطقها الواقعة قرب حرّان، وبعث بمقدمة فيلقه إلى حرّان، فأغلق أهلها أبوابها دونهم. ثم لحق عياض بمقدمة فيلقه فبعث إليه أناساً من أهل حرّان يعلمونه أن في أيديهم طائفة من المدينة، ويسألونه أن يصير إلى الرُّها فما صالحوه عليه من شيء قنعوا به، وخلوا بينه وبين النصارى حتى يصيروا إليه. وبلغ النصارى في حرّان ذلك فأرسلوا إليه بالرضى بما عرض عليه أهل حرّان فأتى الرُّها، وقد جمع له أهلها للحرب فرموا المسلمين ساعة، ثم

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٤-٥٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٩-٢٤٠.

خرجت مقاتلتهم، فهزمهم المسلمون حتى ألجؤوهم إلى المدينة فلم ينشؤوا أن طلبوا الصلح والأمان، فأجابهم عياض، وكتب لهم كتاباً^(١).

أما عهد الصلح الذي أبرمه عياض لأهل الرُّها فقد جاء نصه كالتالي: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عياض بن عَنَمٍ ﷺ لأسقف الرُّها، فأنتم آمنون عن أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين، شهد الله وكفى بالله شهيداً".

ويذكر البلاذري أن عياض بن عَنَمٍ ﷺ بعد أن أبرم معاهدة الصلح مع أهل الرُّها، أتى حرَّان، وصالحهم على مثل صلح أهل الرُّها. وجعل الرُّها قاعدة يغزو منها ثم يرجع إليها. ولم يختلف كتاب الصلح الذي عقد لأهل حرَّان عن ذاك الذي كان قد كتبه عياض إلى أهل نَصِيبِينَ^(٢).

المطلب الثاني - فتح مدينة الرُّها و حرَّان من بلاد الجزيرة:

روى البلاذري في فتوح البلدان في فتح الرُّها وحرَّان فقال: ثم سار عياض إلى الرُّها وأهل الرُّها قد بلغهم يومئذ خبر عياض بن عَنَمٍ وفتح الرقة فجزعوا لذلك جزعاً شديداً، وقد جمعوا الأطعمة والأشربة والأعلاف إلى مدينتهم وهم على خوف شديد من المسلمين، قال: وقد هَيَّئُوا العَرَادَاتِ^(٣) على أبرجة المدينة وقد جمعوا الحجارة وعزموا على حرب المسلمين. قال: فلم يشعروا إلا والخيل قد وافتهم بالتكبير والتهليل، فلما سمع أهل الرُّها ذلك أخذهم الخوف وهم في ذلك يتجلدون ويتشجعون، قال: وتقاربت خيل المسلمين من المدينة، قال: وتقدمت الرايات والألوية، فجعل أهل الرُّها يقول بعضهم لبعض: القوم في عشرين ألفاً أو يزيدون وما نظن أن لنا بهم طاقة. قال: وأقبل عياض بن عَنَمٍ

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٧-٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٩-٢٤٠. قوينجو، مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة، ص ١٣٦. غونيش، مسيرة

الفتح الإسلامي في طور عبيد، ص ٨٤.

(٣) العَرَادَاتُ بالتشديد: شيءٌ أصغرُ من المنجنيق، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٢٩٨.

والكتائب عن يمينه وشماله يتلو بعضهم بعضاً، حتى نزل وضرب عسكره على الباب الأعظم من أبواب الرُّها وهو الباب الذي يخرج منه إلى أرض الروم. قال: والتحم الأمر بين الفريقين، فاقتتلوا خمسة عشر يوماً لا يَفُرون ليلاً ولا نهاراً. قال: وجعل أهل الرُّها ينظرون إلى رجال أبطال فرسان في متون الخيل، فعلموا أنه لا طاقة لهم بالمسلمين، فاستعاثوا إلى بطريقهم الأكبر - واسمه ميطولس - فقالوا: أيها البطريق إنه لا طاقة لنا بهؤلاء العرب، فإما أن تصالحهم كما فعل أهل الرقة وإلا سلمنا إليهم المدينة.

قال: فلما نظر البطريق إلى الجزع والفشل أرسل إلى عياض بن غنم يسأله الصلح على أن يعطيه ما أعطاه أهل الرقة، فأجابه عياض إلى ذلك، فكتب له ولأهل المدينة كتاباً بالصلح وأشهد عليه المسلمين^(١).

وهذا نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم الفهري لأسقف الرُّها أنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إلي ديناراً عن كل رجل ومدي قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم، وعليكم إرشاد الضال، وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيداً " ^(٢) ثم نادى عياض في عسكره: ألا إن أهل الرُّها في ذمتنا وعهدنا، فلا تؤذوهم ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن. قال: فكفَّ المسلمون عن محاربة أهل الرُّها، وأخذ عياض منهم ما صالحهم عليه، وأعجبته المدينة وأقام بها أياماً^(٣).

(١) ابن الأَعمش، الفتوح، ج ١، ص ٢٥٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٣٩. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣. أوزتورك، عائشة غول، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفرات، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ الإسلامي، ألابيغ، ٢٠١١م، ص ٣١.

öztürk. Aysegül, hz.ömer döneminde güneydoğu anadolu'daki fetih hareketleri, yüksek lisans tezi, firat üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, elaziğ, ٢٠١١, s٣١.

(٣) ابن الأَعمش، الفتوح، ج ١، ص ٢٥٣.

في هذه الأثناء سمع عياض بن غنم أن الروم قد جمعوا جيشاً في حرّان يقدر بعشرين ألف رجل فأمر منادياً ينادي في الجيش بالاستعداد ثم سار به إلى أطراف حرّان فوقع الرعب في قلوب الأهالي فأرسلوا إليه شخصاً يطلب الصلح فأجابهم إليه على النحو الذي صالح به أهل الرقة والرّها. وكتب لهم بذلك عهداً ثم فتحت بوابة حرّان ودخل المسلمون البلد^(١).

وروى الواقدي في فتوح الشام فقال: حدثنا ربيعة بن هيثم عن عبد الله التتوخي عن ابن عطية قال: ما أسلم في بداية الأمر من أهل الجزيرة إلا حرّان، فلما رأهم أصحاب رسول الله ﷺ قد دخلوا في الإسلام، قالوا: اللهم ثبتهم على دينك ولا تمكن من بلدهم عدواً. وأعادوا الكنائس مساجد وجوامع وسلموا الصحابة ما حول حرّان والرّها تسليماً^(٢).

ونقل ابن الفقيه الهمذاني عن الزهري قوله: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب ﷺ على يدي عياض بن غنم ﷺ ففتح حرّان والرّها الرقة وقَرْقِيسِيَا ونَصِيبِينَ وسنْجَارَ، وأجمع المؤرخون أن جيش عياض فتح بالس والرقة وماردين ورأس العين وكان عياض بن غنم ﷺ قائداً عاماً لفتوح الجزيرة وأن جيشه افتتح ما بيد الروم بالجزيرة صلحاً وعنوة.

وفتح عياض بن غنم ﷺ مَيَّافَارِقِينَ وكَفَرْتَوْتَا و نَصِيبِينَ عنوة في حين فتح آمِدْ صلحاً وكذلك طور عبيدين وماردين ودارا على مثل صلح الرّها^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٢٠.

(٣) الواقدي، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، ص ٨.

المطلب الثالث - فتح رأس العين والخابور:

أتى القائد عياض بن غنم رضي الله عنه رأس العين فامتعت عليه فتركها، فكتب الخليفة عمر رضي الله عنه إلى القائد عياض بن غنم رضي الله عنه يأمره أن يوجه عمير بن سعد رضي الله عنه إلى عين الوردة فوجهه إليها، فأصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشي العدو، وبعد اشتباك دام مدة من الوقت اطلع بطريق من بطارقة مدينة رأس العين لفض القتال وطلب الصلح، فصالحهم المسلمون على أن الأرض تبقى لهم ووضع الجزية على رؤوسهم ومقدارها على كل رأس أربعة دنانير ولم تُسَبَّ نساؤهم ولا أولادهم، وقيل اكتشف أهالي مدينة رأس العين بعد قتال شديد قوة المسلمين وشدتهم وثباتهم، لذا أرسلوا شخصاً بطلب الصلح إلى عياض فأجابهم إليه بشرط أن يدفعوا نقداً ثلاثين ألف دينار وعلى كل شخص منهم الجزية أربعة دنانير تؤدي في وقتها، وعلى هذا تم الصلح وكتب لهم بذلك وثيقة^(١).

قال الواقدي: ولم يؤخذ من ديار بكر بالسيف إلا رأس العين. قال: وأخرج الخمس من المال وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتب له كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عياض ابن غنم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سلام عليك فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على نبيه. أما بعد: فإن الله قد فتح علينا ما كان عسيراً وكان لعدة الفتيان شعاع يخطف العيان، فلما تضايقوا أمامي وازدحموا قدامي عاينت جيشاً كثيفاً وسداً منيفاً قد أقبلوا من الأفواج وتتابعوا كالأمواج وتتاصروا من كل صوب واشتهروا في كل ثوب، والحديد يتألق كالحرير، وقد تطايرت السيوف فللاً والأرماح كعوباً وانقضت المدة وقد وضعت الحرب أوزارها وانطفأت نارها بعدما قتل المسلمون أهل الطغيان الفاسقين، ونصر الله الكفاة وخُذلت العتاة وولت الأعداء الأدبار وأراحنا الله من مضرتهم وظهرت البلاد من كفرهم وكان زعيمهم الخائن، وملكهم أول مخذول، وأهون مقتول،

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢.

وبعد ذلك فتحنا رأس العين ونحن بعد ذلك معولون على ديار بكر والله المعين وبه نستعين والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وأقرأ سلامنا على قبر سيد المرسلين ﷺ.

ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه مع الخمس لعبد الله بن جعفر الطيار وضم إليه مئة فارس من المهاجرين والأنصار فسار عبد الله ومن معه، وأقام المسلمون على رأس العين شهراً^(١).

وبعد ذلك استدعى عياض بن غنم ميسرة بن مسروق العبسي وسلمه ألف فارس من نخبة الجيش وأرسله إلى ولاية الخابور. فسار ميسرة إلى تلك الناحية وفتح المواضع التي في طريقه وأرسل الأموال التي حصل عليها إلى عياض حتى أتم فتح تلك الناحية ووصل إلى سواحل الفرات، ونزل عند مدينة قَرْقِيسِيَا، ووقعت معارك بينه، وبين أهل القلعة، وقتل من الطرفين عدة رجال. وفي النتيجة استولى على البلد وقتل المقاتلة ثم عفا عنهم وقبض منهم ثلاثة آلاف دينار وأقرّ عليهم الجزية^(٢).

المطلب الرابع - فتح قلعة ماردين:

لقد كانت ماردين من أحسن مدن الجزيرة وأهمها وأحصنها وأغناها، وإن الاستيلاء عليها - وعلى غيرها من المعاقل المتقدمة كسنجار مثلاً - كان ضرورة حربية ملحة لتأمين فتوح المسلمين للشام. قد ذكرت فتوح ماردين في العديد من المؤلفات وكتب الفتوح وسنستعرض بعض ماكتبه المؤرخون: - فخليفة بن خياط، واليعقوبي، والدينوري والطبري، وابن كثير وغيرهم ممن أرخوا، هؤلاء جميعاً اتفقوا على أن فتح سائر مدن الجزيرة، تم على يد عياض بن غنم الفهري^(٣)، وهؤلاء أيضاً كانوا قد

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٤١. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٣٥.

(٢) ابن الأعمش، الفتوح، ج ١، ص ٢٥٨.

عدّوا المدن بأسمائها إلا ماردين حيث عدوها من الجزيرة الفراتية. ومن بين المدن التي ذكروها على سبيل المثال لا الحصر: الموصل، نَصِيبين، رأس العين، دارا، بلد، حرّان، آمد، الرقة، الرُّها، سَرُوج... إلخ^(١).

أما الذين ذكروا ماردين بالاسم في فتوح الجزيرة، فهناك بعض ما أورده بهذا الخصوص:

- فالقاضي أبو يوسف في كتابه الخراج، في حديثه عن الجزيرة أفاد قائلاً: " إن الجزيرة كانت قبل الإسلام طائفة منها للروم، وطائفة منها لفارس، فكانت رأس العين فما دونها إلى الفرات للروم، و نصيبين وماوراءها إلى دجلة لفارس، وكان سهل ماردين ودارا إلى سنجار وإلى البرية لفارس، وجبل ماردين ودارا وطور عبيد للروم، فلما انتظم الأمر واستقام، وجه أبو عبيدة شرحبيل بن حسنة إلى قنسرين ففتحها، ووجه عياض بن غنم الفهري^(٢) إلى الجزيرة وافتتح عياض ما كان بيد الروم إما صلحاً أو عنوة^(٣).

والواقدي في روايته عن فتوح قلاع ماردين، ذكر أن مارية بنت أرسوس بن جارس صاحب ماردين من قبل الروم- من قبل الإمبراطور هرقل- أتت عياضاً لتفك أسر خطيبها عمودا من أيدي المسلمين إثر الهزيمة التي مني بها أبوها وقومه وذهبت واتصلت بأمر المسلمين في تلك الناحية، فأنت عياضاً، فوقفت بين يديه وقدمت له الهدايا، وهمت أن تسجد له، فنهاها... إلخ^(٣).

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٤٥-٤٦.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٣٩-٤٠.

(٣) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١١٣.

- والبلاذري في كلامه عن فتوح عياض بن غنم رضي الله عنه في الجزيرة أوضح قائلاً: " وفتح عياض أمْدُ بغير قتال" على مثل صلح الرُّها وفتح مَيَّافَارِقِينَ وفتح حصن كَفَرْتوثا ونَصِيبِينَ بعد قتال وفتح طور عَبدِينَ، وحصن ماردين ودارا على مثل صلح الرُّها^(١).

- وفتح عياض لماردين ولسائر مدن الجزيرة أكدها ابن الفقيه الهمداني بقوله: قال الزهري: لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يدي عياض بن غنم رضي الله عنه، فتح حرَّان، والرقّة، وقَرْقِيسِيَا، و نَصِيبِينَ، وسنجار، ومَيَّافَارِقِينَ، وكَفَرْتوثا، وطور عَبدِينَ، وحصن ماردين، ودارا وباقرْدَى وبازَنْدَى وأرزن^(٢).

- وأيد جهود عياض في تلك الفتوح كل من ابن الأثير، وابن العبري، وابن شداد، وابن كثير، وابن خلدون، وأمثالهم، ويستخلص مما ذكره هؤلاء المؤرخون، أنه لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر الخلافة (٦٣٤-٦٤٤م/١٣-٢٣هـ)، أوفد إلى أبي عبيدة أن يعقد عقداً لعياض بن غنم رضي الله عنه، ويجهز معه الجيوش إلى ديار ربيعة وديار بكر، فعقد له عقداً على ثمانية آلاف مقاتل، وسار عياض يريد الجزيرة. ففتح بالسن والرقّة. ورأس العين وجميلين وماردين... وغيرها، ثم أرسل الوليد بن عقبة فجمع بني تغلب النصاري في تلك الديار وطالبهم بالإسلام فأسلموا، في حين أطبق النعمان بن المنذر الغساني على الملك شهرباض صاحب رأس العين من قبل الروم وفاجأه بطعنة فقتلته. ثم حمل المسلمون على قَرْقِيسِيَا، وملكوها، وكذلك استولوا على ماكسين والشماسية وعربان والمجدل والخابور. أما أرسوس بن جارس صاحب ماردين من قبل الروم فيقال إنه انهزم إلى حرَّان، وأن المسلمين

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢.

(٢) الهمداني، ابن الفقيه، أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٣٠٢هـ/١٩٠١م، ص ١٣٢.

استولوا على ولايته وقلاعها عنوة^(١). ثم ملك المسلمون آمِدْ وميافارقين حتى أمست ديار الجزيرة برمتها في قبضتهم وتبعهم في المذهب معظم نصارى بلاد ربيعة وديار بكر ومضر.

وحسبما أورده كل من القاضي أبي يوسف، وأبي عبد الله الواقدي، فإن ماردين أي المدينة فقط كانت عشية دخول المسلمين إليها تحت سيادة الروم البيزنطيين وبيد الملك أرسوس بن جارس النصراني، أحد عمال هرقل في الجزيرة، أما كيف توصل أرسوس إلى تملك ماردين والملابسات التي رافقت فتحها من قبل المسلمين، فالواقع أن ما ذهب إليه الواقدي في روايته يعطينا صورة واضحة وكاملة عن ذلك. ورغبة في الإيضاح، وتثبيتاً للرأي وجد الباحث أنه لا بد من الأكمل إدراج تلك الرواية بنصوصها كاملة.

قال الواقدي: حدثني سوار بن كثير، عن يوسف بن عبد الرزاق، عن الكامل، عن المثني بن عامر، عن جده، قال: لما فتحت مدائن الخابور صلحاً، بلغ ذلك الملك شهرياض صاحب أرض ربيعة وعين وردة ورأس العين، فعظم عليه وكبر لديه، فجمع أرباب دولته وهو نازل على منطقة أرض الطير وقال لهم: هذه ثلاث مدائن من بلادنا قد ملكت، وقلعتان والعرب المنتصرة قد مضت عنا. فقال له البطريق توتا: أيها الملك أنه لا بد للعرب منا ولا بد لنا منهم، ويعطي الله النصر لمن يشاء، غير أنه كان من الرأي أنك لو زوجت ابنك عمودا الملكة مارية بنت أرسوس بن جارس صاحب قلعة ماردين وقلعة المرأة ولأعانتنا قلعة المرأة. قال الراوي: وكان السبب في بناء القلعتين المذكورتين أن هذا الرجل أرسوس كان من أهل طبرزد، وكان بطلاً مناعاً، وكان أول من بنى مملكة بأرمينية، وكان منفرداً بطبرزد، وكان يغير في بلاد الروم حيث شاء حتى كتب أهل تلك البلاد إلى الملك الأعظم يستغيثون به من يده، فأرسله الملك هرقل من انطاكية إلى ديار ربيعة وقال له: ابن لك

(١) أرملة، القصارى في نكبات النصارى، ص ٧-٨.

حصناً تسكن فيه. فلما توسط أرض ماردين نزل تحته ونظر، وإذا على قمة الجبل موضع نار، وكان فيه عابد من عباد الفرس وكان مشهوراً عندهم بالعبادة. وكانت الهدايا تقبل إليه من أقصى بلاد خراسان والعراق، وكان اسمه دين. فلم يمر به أرسوس حتى صادقته وكان يحمل إليه الهدايا والتحف. وكان العابد لا يحتجب عنه. ولم يزل معه حتى وقع به منفرداً فقتله وغيبه. ثم أن أرسوس بنى بيت النار وجعله حصناً. وكانت له ابنة يقال لها مارية. فلما رأت أباه بنى له مكاناً تحصن فيه، بنت أيضاً قلعة بإزائه وحصنتها، وجعلت فيها أموالها وذخائرها ورجالها، وكانت كلما خطبها أحد تراه دونها، لأنها من بيت المملكة.

وكان بالقرب من قلعتها دير بسفح الجبل. وفي الدير راهب انقطع فيه. وكان من أجمل الناس وجهاً. وكان اسمه خرما. قال: فأنت إليه، فحملت منه، فلما تكامل حملها ولدت خفية ولداً ذكراً، فسلمته إلى دايتها وقالت لها: انظري كيف تفعلين بهذا الغلام، فإني أحبه ولا أريد قتله، لأنه إن علم أبي بقصتي قتلني. ثم أخرجت له ذخائر نفيسة، وجعلتها في قماطة، وخيطة عليها وقالت: من وقع به ينفقها على تربيته. ثم أنها تفقدت بدنه، وإذا على خده اليمين شامة سوداء بقدر الظفر، ورأت أذنه اليمنى فيها زيادة، قال: فأخذته الداية ونزلت به ليلاً ومعها خادم. فأنت به أسفل القلعة في الطريق الأعظم. وهناك عمود من رخام، وغالبه غائض في الأرض وقائم على رأس ذلك العمود قاعدة من الرخام، فوضعت ذلك المولود على القاعدة خوفاً عليه من الوحش أن يقربه فيأكله، ثم رجعت هي والخادم إلى القلعة.

قال الراوي: وكان من قضاء الله وقدره أن صاحب الموصل الملك الأنطاق، قد بعث رسولاً لشهرياض ثم إلى أرسوس بن جارس صاحب ماردين، فسلط الطريق الذي فيه العمود فسمع بكاء الطفل، فدنا منه وهو على جواده. فأخذه وسلمه إلى جارية كانت معه في السفر، وقال لها: احتفظي

بهذا المولود، فلا شك أن له شأنًا، ثم أوصل الرسالة إلى صاحب ماردین، وارتحل إلى رأس العين، وأعاد الجواب إلى الملك شهرياض. وأجرى الله على لسانه بأنه حدّث الملك شهرياض بقصة الطفل الذي وجده عند العمود. فقال أعطني إياه فإنه ليس لي ولد يرثني ويخلفني في ملكي. فدفعه إليه، فأخذه الملك ودفعه للخواص والدائيات.

فربّوه إلى أن ركب الخيل، ونشأ وترعرع فسماه الملك (عمودا). وسماه الناس ولد الملك، وتربى في النعمة، وتعلم طريقة الملوك، من ركوب الخيل والرماية والقتال وأكثر زمانه في الصيد والقنص وبني له قصر على رأس المغارة يأوي إليه وسمي القصر باسمه عمودا، وليس عند أمه خبر بما فعله الزمان به.

وانقضت الأيام واندرجت الأعوام، حتى قدم عسكر المسلمين يريد فتح الجزيرة، فلما شاور الملك أرباب دولته في أمر العرب، أشار عليه توتا البطريق أن يزوج ولده عمودا من الملكة مارية فإنها لا تصلح إلا له وهي بكر، وقد خطبها الملوك، وأبناؤهم فلم ترض بهم لأنها تراهم دونها.

وأنت إذا طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك أبوها فأجابه إلى ذلك. وبعث إلى أرسوس هدية عظيمة وقال لتوتا: كن أنت الواسطة في ذلك، فسار توتا إلى أرسوس وسلم عليه وتحدث معه فأجابه إلى ذلك، وطلب منه الصداق المهر مئة ألف دينار، ومدينتي البارعية وجمليين. وعشرين من فرسان العرب يقتلهم يوم زفافها قرباناً للمسيح، فأجابه توتا إلى ما طلب. وركب أرسوس إلى قلعة ابنته، ودخل عليها، وأعلمها فرضيت، فخرج من عندها وجمع القساوسة والشمامسة وخطب ابنته لعمودا، وليس عندهم خبر من أحكام القدر^(١).

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٠٨-١٠٩. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردین، ص ٤٠-٤٢.

قال الراوي: ورجع توتا إلى شهرياض وأعلمه بما اشترط عليه أرسوس ففرح وأنفذ الأموال وقال: إذا زفت إليه سلّمتُ إلى أبيها القلعتين والبارعية وجمليين، ثم إنه طلب عمودا، وأخبره بما تم وقال له: اعلم يا بني إن من جملة الصداق عشرين من فرسان العرب. فتجهز وخذ العسكر واقصد العرب. وأمر أن يخرج معه توتا والوزير رودوس صاحب حرّان. ومضوا في عشرين ألفاً^(١).

وأنت عياضاً عيونه وأخبرته بما جرى. وأنهم أقبلوا إليك: هم ورودوس صاحب حرّان، وصاحب كفرتوثا، وعمودا ابن الملك في عشرين ألفاً فاستيقظوا لأنفسكم، قال: فجمع عياض وجوه الصحابة واستشارهم واحتاط للأمر وأرسل عيونه للاستطلاع. واقتربت حشود عمودا وتوتا ورودوس من عسكر عياض بنحو من عشرة فراسخ، حيث عسكر كل منهم، وراح يستعد للحرب. ثم ما لبث أن بدأ القتال^(٢) وانهزم عمودا وأتباعه وقتل وأسر العديد من عساكره. وأخذ عمودا وتوتا ونحو من أربعة آلاف أسرى. ونحو من ألف وسبعمائة شخص قتل، وولى الباقيون الأدبار. ووصلوا إلى شهرياض فتضايق وانزعج. فأحضر من بقي من أرباب دولته واستشارهم فيما يفعل. فحدثوه بالانتقال إلى داخل البلاد ونصحوه في ذلك. فأجاب وارتحل من رأس العين إلى مرج رغبان.

وأما عياض ومن معه من عساكر المسلمين، فإنهم لحقوا بشهرياض إلى أن نزلوا بمرج رغبان، قال: فنزلوا في مقابلتهم، قال: واتصلت الأخبار بأرسوس صاحب ماردين بأسر عمودا، فأحضر ابنته وقال لها: أي بنية اعلمي أن بعلك قد أسر، وهو ابن الملك، ونحن نخاف العار بأن يقال أن مارية بنت أرسوس ما كانت موافقة على ابن الملك، وأنه لما تزوج بها أسر وقد حرت في أمري.

(١) عمر بن محمد، تاريخ ماردين من كتاب أم العبر، ص ٣١.

(٢) الواقي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١١٠.

فقال له مارية: يا أبت وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلمت بالصدق فما عندك من الرأي قال لها: وما عندك أنت قالت: أريد أن أتتكر وأدخل إلى عسكر المسلمين وآتي أميرهم وأقول له إني قد أتيت أسلم على يدك لرؤيا رأيته وهو أني رأيت المسيح في النوم ومعه الحواريون وكأنني أشكو للمسيح ما نزل بنا منكم وكأنه يقول لي أسلمي فإن القوم على الحق وقد جئتمكم لأسلم وأملككم قلعة أبي وتتركوني أنا في قلعتي فإذا قال أميرهم: كيف تملكينا قلعة أبيك وهي أمتع الحصون وأحصن القلاع فأقول له: يرسل معي من فرسانهم مئة فارس من صناديدهم وأدخلهم في قلعتي وأجعلهم في صناديق وأرسلهم إلى قلعة أبي وأسير معهم إلى والي قلعة أبي وأقول هذه الصناديق فيها أموالي وأريد أن أجعلها في خزانة أبي فإذا حصل القوم عندي رميتهم في المطامير وأقول لهم لست أدعكم حتى ترسلوا إلى أميركم يرسل إلي بعلي.

فقال لها أبوها: إنك تريدان أن تلقى نفسك في الهلاك وإن العرب لا تتم عليهم الحيل لأنهم هم أربابها.

فقال لها: دبري ما تريدان فلعل أن يكون فيه المصلحة. قال: فوافقها والدها وذهبت واتصلت بالأمير فأتى بها عياضاً، فوقفت بين يديه، وقدمت له الهدايا، وهمت أن تسجد له فنهاها وسألها من أنت؟ قال: أنا مارية بنت أرسوس صاحب ماردين والذي بأيديكم أسيراً هو بعلي ولا أصبر عليه وهو عمودا وأخبرته، أنها أتت لتتبع دين الاسلام، وتسلم القلعتين - قلعة أبيها وقلعتها - على أن تبقى في قلعتها لتقيم فيها مع بعليها. ولتكون الحاكمة على أهل بلدها. قال: فتنبسم عياض من قولها وقال: يا مارية أما إنك أتيت إلينا لتتصبين علينا بسبب بعلك، وكيف يكون هذا وهو ولدك وحديثه كذا وكذا. قال: فلما سمعت هذا الحديث امتقع لونها، وتغير كونها وقالت له: ياسيدي ومن أين لك هذا وأن عمودا ولدي وهو ابن الملك شهرياض؟ قال لها: رأيت رسول الله ﷺ الليلة وحدثني بذلك كله. فقالت:

إنني أريد أن أراه فإن كان ولدي فإن لي فيه علامة، فأمر عياض بحضوره فأتي به وتثبتت من القول، فصاحت صيحة عظيمة أذهلت من حضر. وقالت صدق محمد ﷺ في قوله. ثم أسلم عمودا وتبعته أمه^(١). فقال عياض بن غنم ومن حضر من المسلمين: تقبل الله منكما إسلامكما ووفقكما واعلما أن الله قد طهر قلوبكما وغفر ذنوبكما فاستأنفا العمل ولكن كيف السبيل إلى هذه القلعة المنيعه. ثم حدثته بما حصل من أمر المسلمين في حرّان. فقالت: أبشر فإن أصحابكم أسروا عند حرّان وقد وجههم شهرياض إلي لأفدي بهم منكم هذا الغلام عمودا وقد سيرتهم إلى قلعتي وها أنا أسير إليهم وأحصلهم في قلعة أبي وأفك أسرهم وأملك بهم القلعة إن شاء الله تعالى. فوافق عياض على ذلك شرط أن تترك ولدها، وسارت من ليلتها إلى ماردين، فوجدت أباهما قد نزل إلى خدمة الملك شهرياض إلى مرج رغبان. ووجدت الراهب (ميثا) الذي كان معه الأسرى قد أوصلهم إلى قلعة أبيها وتركهم تحت قبضته. وكان هذا الراهب من عقلاء الناس ممن قرأ التوراة والإنجيل والزبور، عامل الأسرى معاملة لائقة وحادثهم وحادثوه في شؤون الدين والدنيا فارتاح لهم وارتاحوا إليه فلما سمع الراهب ميثا كلام الصحابة عن دين الإسلام قال: أشهد أنكم على الحق وأن دينكم حق وقولكم صدق وعلمت مارية من الراهب أن الصحابة في قلعة أبيها. فقلقت على مصيرهم، ثم سألتهم عنهم: ما الذي صنعت بالعرب؟ قال: استوثقت منهم حتى يرى الملك فيهم رأيه. فقالت: والله ما قصرت لكن اجعلهم معنا في البيعة حتى يروا حسن عبادتنا وقراءتنا، فلعلمهم يدخلون في ديننا. فأجابها في ذلك ولما اجتمعت بالأسرى وميثا تحادثوا في شؤون دين الإسلام، وأثنى ميثا على دين الإسلام، وأنه دين الحق، ثم أسلم وانفقت مع ميثا على قتل الوالي، على أن يقوم بذلك الصحابة المسلمون، وأن يتم ذلك عند مجيء الوالي وأصحابه إلى الصلاة في بيت المذبح. وهكذا حدث، فلما أن أقبل الصبح وأتى

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١١٢-١١٣. عمر بن محمد، تاريخ ماردين من كتاب أم العبر، ص ٣٦-٣٩.

أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٣٥-٣٦.

الوالي وخواصه، وضربت لهم النواقيس، حتى فتح باب المذبح، وخرج عبدالله بن غسان وأصحابه الأربعين أسيراً فكبروا تكبيرة واحدة ارتعدت لها القلعة وما فيها، وبذلوا السيف فيهم فقتلوه من آخرهم، واستولوا على القلعة قلعة أرسوس أي قلعة ماردين وما فيها. وسمع أهل الرض التكبير، فعلموا أنهم ملكوا القلعة فولوا هاربين، وعلمت مارية بذلك وأغلقت أبواب قلعتها وأرسلت من تثق به إلى عياض، وأخبرته بما جرى، في حين وصل الهاريون إلى الملك شهرياض وأعلموه أن قلعة ماردين ملكها العرب، فصعب عليه، وأيقن بتلف ملكه، ووقع الرعب في قلبه وقلوب عسكره. وبلغ أرسوس الخبر أن قلعته وخزائنها قد أخذت، فكتب أمره إلى الليل، وأخذ من يثق به وصار يطلب حرّان فوصل إليها وملكها..."^(١).

وهكذا وبهذه الطريقة تم فتح ماردين من قبل المسلمين وأزيح أرسوس بن جارس آخر ملوكها من عمالة الروم البيزنطيين، ودخلت ماردين النصرانية في حوزة المسلمين. وأسلم من أسلم من أهلها، واستمر الباقيون على نصرانيتهم، يدفعون الجزية والخراج أسوة بغيرهم من سكان المدن الجزرية الأخرى.

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١١٦-١١٧. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٤٣-٤٦.

المطلب الخامس - فتح ديار بكر (آمد):

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يقول له: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عامر بن الجراح سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه محمد صلوات الله عليه أما بعد: فقد أجهدت نفسك في قتل الكفار وسارعت إلى رضا الجبار، وقدمت لك ما تجده يوم عرضك ولم نر منك يوماً معرضاً عن أداء فرضك وقمت بسنة نبيك وجاهدت في الله حق جهاده تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك، فإذا قرأت كتابي هذا فاعقد عقداً لعياض بن غنم وجهز معه جيشاً إلى أرض ربيعة وديار بكر، وإني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يفتحها على يديه، وأوصيه بتقوى الله والجهاد والاجتهاد في طاعته، ولا يلحقه التواني في الجهاد ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل عليه رب العالمين ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (١).

والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته. ثم كتب كتاباً آخر إلى عياض بن غنم رضي الله عنه بالولاية والمسير إلى أرض ربيعة الفرس وديار بكر (٢).

ثم أرسل عياض مالك بن الأشتر النخعي وأعطاه ألف فارس وأرسله إلى ناحية آمد وميافارقين، وحين وصل مالك مع الجيش إلى آمد تبين له أن القلعة حصينة جداً، فأخذ يفكر بالأمر وأن مقامه سيطول هناك. ولما اقترب من آمد وعاین بنفسه قوة الحصن، أمر الجيش بأن يكبروا معاً تكبيرة واحدة بأعلى صوت. فخاف أهل آمد وتزلزلت أقدامهم وظنوا أن المسلمين يبلغون عشرة آلاف وأنهم لا قبل لهم بحربهم، فأرسلوا شخصاً إلى الأشتر فأجابهم الأشتر إلى الصلح، وتقرر أن يدفعوا خمسة

(١) التوبة، الآية: ٧٣.

(٢) الواقي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٤٩. كافاك، تاريخ منطقة طور عبيد من الفتح حتى الحكم السلجوقي، ص ٩٣-٩٤.

آلاف دينار وعلى كل رجل أربعة دنانير جزية، ورضي حاكم البلد بهذا الصلح وفتحوا الأبواب ودخلها المسلمون صباح يوم الجمعة، فطافوا فيها ساعة ثم خرجوا وأقاموا على بوابة البلدة. وبعد أن قبض الأشر المأل اتجه نحو مِيَّافَارِقِينَ ولما وصل إليها أرسل إليه (بطريق) البلد ويسمى (فطوس) أرسل شخصاً إلى الأشر يلتبس الصلح على أن يدفع ثلاثة آلاف دينار والجزية المقررة فصالحه الأشر على ذلك وكتب له عهداً وبعدما قبض المال سار إلى عياض ؓ الذي كان مشغولاً بحصار نَصِيبِينَ وسلمه الأموال التي قبضها^(١).

ويذكر الواقدي رواية أخرى لفتح أمِّد مفادها: أنها كانت مدينة محصنة بالأسوار المنيعة، وقد استعصت على الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد ؓ، ولم تفلح المفاوضات صلحاً مع حكامها الروم، فضرب الجيش الإسلامي عليها الحصار خمسة أشهر بعد أن تعاهد أفرادها على فتحها مهما كلفهم ذلك من وقت وشهداء، وكان خالد في كل يوم يدور حول أسوار المدينة بنفسه يعاينها باحثاً عن نقطة ضعف فيها، فإذا أتى الليل عاد إلى خيمته، فيصلي المغرب ويركن إلى التفكير في خطة لفتح المدينة.

وكان لخالد غلام اسمه (همام) يخبز له في كل يوم أقراص خبز من شعير ويتركها في خيمته ليفطر عليها بعد صلاة المغرب لأنه كان دائم الصيام، فإذا صلى المغرب أفطر على تلك الأقراص. حدث أن خالدًا في أحد الأيام بعد صلاة المغرب لم يجد الأقراص في الخيمة، فظن أن غلامه قد سها عنها، وتكرر ذلك ثلاث ليال، فعاتب غلامه قائلاً: " أنت يا ولدي ما عندك ما تفرني عليه وأنتك ثلاث ليال لم تصنع لي شيئاً؟"، فاستغرب همام وأكد لخالد أنه يصنع الأقراص ويضعها في موضعها كل يوم وما شك في أنه يأكلها، فتبسم خالد مكتفياً بما ذكره لغلامه، وقد أحزن ذلك همام وسعى إلى

(١) ابن الأعمش، الفتوح، ج ١، ص ٢٥٩.

معرفة من يأخذ الأقراص من خيمة سيده، لذلك في الليلة الرابعة صنع الأرغفة ووضعها في الخيمة واختبأ في مكان لا يرى فيه ليعرف من يأخذ الأقراص، فإذا هو بكلب قد أقبل من ناحية آمد فدخل الخيمة وأخذ الأقراص بفمه وخرج، فتبعه همام، وإذا به يدخل من مسرب ماء جانب السور.

عاد خالد إلى خيمته في تلك الليلة وصلى المغرب وطلب من غلامه أن يأتيه بأقراص الخبز ليفطر عليها، فاعتذر همام وشرح لخالد كيف أن كلباً يسرق الأرغفة، وأنه تتبّع الكلب فوجده يدخل في مسرب ماء جانب الأسوار، واستمهل سيده وقتاً قصيراً ليصنع له أقراصاً أخرى، لكن خالد وقف مهتماً وقال: "دعك من الأقراص الآن يا ولدي، خذني إلى موضع المسرب الذي دخل فيه الكلب" فأخذه وأراه الموضع، فعينه معاينة دقيقة وعاد طالباً اجتماع قادة الجيش فوراً في خيمته.

اجتمع القادة وأمراء الجيش مستغربين أن يدعوهم خالد للاجتماع وقد أرخى الليل سدوله، فشرح لهم حكاية الكلب ومسرب الماء الذي دخل فيه جانب الأسوار، وأنه بعد معاينة المسرب يرى أن المسرب يمر من تحت الأسوار حيث مصدر الماء داخل المدينة، وشرح لهم ما ألهمه الله به من خطة لفتح المدينة وهي أن يتسلل بعض الجند من المسرب إلى داخل أسوار المدينة في ليلتهم فيغافلوا حراس الأسوار ويفتحوا الباب الرئيسي فيها، فوافقوه، وتم استتفار الجيش فوراً دون أن يعلم أحد سبب الاستتفار المفاجئ هذا، وقام القادة بانتقاء مئة من المتطوعين لتنفيذ مهمة عسكرية قرر خالد أن يقودها بنفسه.

شرح خالد للمتطوعين المئة مهمتهم، وكانت تنص على ما يلي:

١- التسلل تحت جناح الظلام إلى موضع مسرب الماء قرب الأسوار.

٢- عدم التسلل من المسرب إلى داخل المدينة إلا بعد منتصف الليل حيث يكون أهل أمْد وجنودها وحراس الأسوار قد غلبهم سلطان النوم.

٣- توزيع المهام بعد الوصول إلى ما بعد الأسوار حيث كان خالد خلال مدة الحصار قد حفظ جغرافياً الأسوار وأماكن تموضع جنود الروم عليها، وعيّن أفراداً من قوة المتطوعين تكون مهمتها الأساسية الوصول إلى الباب الرئيسي وفتحه، وبعد فتحه يرفعون أصواتهم بالتكبير إشارة للجيش ليدخل من الباب.

٤- من لا يستطيع من الجنود عبور المسرب يعود إلى مكان تموضع الجيش ويشارك في فتح المدينة. تسلل خالد مع قوة المتطوعين إلى موضع مسرب الماء، وكان ضيقاً مجهول البداية داخل المدينة، وقد خَمَّن خالد أن البعض من جنوده قد يتهيّبون الدخول فيه فكان أول الداخلين مما عزّز الثقة في نفوس جميع الجنود فتبعوه، ونستنتج أن المسرب كان ضيقاً جداً لأن ثمانين مقاتلاً فقط استطاعوا النفاذ منه إلى داخل المدينة بينما تعذر نفاذ عشرين مقاتلاً لضخامة أجسامهم، وكان بإمكانهم العودة إلى الجيش الرئيسي حسب الخطة المقررة، إلا أنهم صمموا على المشاركة مع إخوانهم، فجاهدوا بالحفر في المسرب بأياديهم حتى وسعوا جانبيه وعبروا منه، فكانوا بذلك مئة جندي داخل أمْد بإمرة خالد بن الوليد رضي الله عنه، ثم توزعوا حسب الخطة صاعدين إلى الأسوار حيث فاجؤوا الحراس، بينما كان الموكلون بأمر الباب الرئيسي ينفّذون مهمتهم بدقة، فلما فتحوه باشروا التكبير، وماهي إلا ساعة حتى كان جيش المسلمين داخل المدينة قد سيطر عليها بعد معركة سهلة قُتل فيها عدد كبير

من جنود الروم، وأسر الباقون دون أن يخسر الجيش المسلم أية خسائر تذكر قياساً لفتح مدينة محصنة منيعة كآمد^(١).

المطلب السادس - فتح جزيرة ابن عمر:

عشية الفتح الإسلامي للجزيرة، كانت تخضع للسيادتين الفارسية والرومية البيزنطية، فخضعت الأطراف والجهات الغربية من الجزيرة للسيادة الرومانية البيزنطية. والأطراف الشرقية كانت قد خضعت للسيادة الفارسية. ولما امتدت الفتوحات الإسلامية كانت بيزنطة تمتلك الإقليم الممتد من رأس العين إلى الفرات، والسهل الممتد إلى الجنوب من طور عبيد. وكان الحدُّ يقوم بين نصيبين ودارا عند قلعة سرجة^(٢). وإن المؤرخين الذين تحدثوا عن الفتوح الإسلامية في شمال العراق والجزيرة، يلاحظ في كتاباتهم اسم (بَارْزْدَى وباقِرْدَى) وهي تسمية جزيرة ابن عمر الحالية إلى جانب غيرها من مدن وبلدان الرافدين التي أسهبوا في التحدث عن تاريخ فتحها، فذكروها بلداً بلداً، وحصناً حصناً، فاليعقوبي والطبري وابن خياط، وابن الأثير، وابن شداد وغيرهم ذكروا واتفقوا على أن فتح سائر مدن الجزيرة تم على يد عياض بن غنم^{رضي الله عنه}، وقادته، وذكر معظم هؤلاء هذه المدن بأسمائها بما فيها بَارْزْدَى وباقِرْدَى. وإن مدينة جزيرة ابن عمر عُمِّرَتْ فيما بعد، على أنقاض قرية باقِرْدَى ثم أصبحت بسبب تحول في مجرى نهر دجلة في كورة بَارْزْدَى. فعندما تذكر هاتان البلدتان في المصادر التاريخية فالمقصود منهما هو جزيرة ابن عمر التي سميت لاحقاً بهذا الاسم.

أما ابن الأثير فيقول في أحداث سنة ١٧هـ: "وكان فتح الجزيرة في سنة ١٧هـ على يد عياض بن غنم". والبلاذري، وأبو يوسف، وابن الفقيه، ذكروا أن الجزيرة ومدنها بما فيها بَارْزْدَى وباقِرْدَى، فتحت

(١) ينظر الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٥٠-١٥٢. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في

عهد عمر بن الخطاب^{رضي الله عنه}، ص ٤٨-٤٩.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج ٣، ق ١، توطئة، ص ٤١.

على يد عياض بن غنم^(١)، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب^(٢). غير أن ما أورده ابن خلدون يشير إلى أن فتحها كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان^(٣). ويقول ابن الفقيه الهمداني: "قال الزهري لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح في عهد عمر بن الخطاب^(٤)، على يد عياض بن غنم، فتح حرّان، والرقّة، وقرقيسيا، ونصيبين، وسنجر، و آمد، و طور عبيد، و حصن ماردين، و دارا، و باقردي، و بازندي وأرزن"^(٥).

وإستناداً إلى ما تقدم فإن بازندي، و باقردي فتحت كغيرها من المدن والمناطق في منطقة الجزيرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب^(٦)، وعلى يد القائد عياض بن غنم^(٧)، الذي زحف بجيشه الإسلامي إلى أرض الجزيرة. وهكذا لم يأت عام (٢٠هـ/٦٤١م). حتى دخلت مدن الجزيرة تحت حكم المسلمين، بما فيها من سكان يدينون بالنصرانية، من العرب وغير العرب، إذ إن المسلمين سمحوا لكل من لم يعلن إسلامه البقاء على ديانته شرط أن يكون صاحب كتاب، وفرض المسلمون الجزية على غير المسلمين^(٨).

المطلب السابع - فتح ميّافارقين:

فتح المسلمون ميّافارقين سنة (١٨هـ) وذكر ياقوت الحموي أنها فتحت من قبل عياض بن غنم^(٩). وذكر رواية أخرى تفيد أن " خالد بن الوليد والأشتر النخعي سارا إلى ميّافارقين في جيش كثيف، فنزلاها، فيقال إنها فتحت عنوة، وقيل صلحاً على خمسين ألف دينار، على كل محتلم أربعة دنانير،

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٣٦. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب^(١٠)، ص ٥٢-٥٤.

(٢) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٢.

(٣) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٤٠-٤١.

وقيل دينارين، وقفيز حنطة، والقفيز مكيال كان تكال به الحبوب قديماً وهو يساوي ثمانية (مكاكيك) والمكوك يساوي صاع ونصف^(١).

ومُدّ زيت، ومُدّ خلّ، ومُدّ عسل، وأن يضاف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة أيام، وجعل بها مسلحة من المسلمين وهي لأخذ العشر من المال من الكفار العابرين ببابها والواردين إليها. وكان ذلك بعد أخذ آمِد. وهذا يدل على أن مَيَّافَارِقِينَ كانت أرض الخيرات من الحنطة والزيت والعنب والعسل^(٢).

وذكر الواقدي في كتابه فتوح الشام قصة فتح مَيَّافَارِقِينَ فقال: فأقام عياض على آمِد أربعة أشهر قال: فخرج من جيشه الحكم بن هشام واستأذن عياضاً أن يشن الغارات على مَيَّافَارِقِينَ فأذن له فأخذ معه من الصحابة مئة من المهاجرين والأنصار، فخرجوا بعدما صلوا الظهر وعبروا دجلة وساروا والأرض تطوى لهم فما مضى قليل من الليل إلا وهم على مَيَّافَارِقِينَ، فداروا بها إلى أن وصلوا إلى برج يعرف ببرج الشاة فقال الحكم بن هشام: وددت من الله لو فتح لنا هذه المدينة بلا قتال.

قال فما استتمّ كلامه حتى انفتح لهم باب من حائط البرج فدخلوا وهم يخترقون الطرق إلى وسط المدينة إلى كنيستهم العظمى وتعرف بببيعة ماريّا، وكانت تلك الليلة عيداً عند النصارى فلما أقبلوا إلى صلاتهم في كنيستهم وجدوا أصحاب رسول الله ﷺ وهم نزول على باب البيعة فصاحوا وتسامع الناس فأتى صاحب البلد وكان اسمه أسلاغورس فلما رآهم قال: من أنتم؟ قال له الحكم: نحن

(١) السبتي، أبو العباس أحمد بن محمد العزقي، دراسة وتخريج: محمد الشريف، حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٢٨ و ص ١٣١.

(٢) الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي ابن الأزرق، تاريخ مَيَّافَارِقِينَ، تحقيق: كريم الخولي و يوسف بالوكن، دار نوبهار، إسطنبول، ط ١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٩٨-٩٩.

أصحاب رسول الله ﷺ. قال: ومن أين جئتم؟ قالوا: من عسكرنا. قال: ومتى جئتم؟ قالوا: بعدما صلينا الظهر.

قال: ومن فتح لكم مدينتنا؟ قال له الحكم: فتح لنا من بيده مقاليد الأمور. قال: أو ما تفزعون منا؟ فقال الحكم: وكيف نفزع من مخلوق لا يضر ولا ينفع وهو تحت أحكام القهر؟! وقد قال ربنا في كتابه: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

فقال أسلاغورس: إن دينكم دين محدث وديننا دين قديم والقديم أفضل من المحدث.

فقال له الحكم: إذا كان ما قلته حقاً ففضل إبليس على آدم لأنه أقدم منه. قال: وإن أسلاغورس أمرهم أن يدخلوا البيعة. فقال الحكم بن هشام: وما الذي نصنع في بيتكم قال: تذكرون فيها ربكم. قال: ما كنا ندعى إلى ذكر ربنا فنتأخر عنه.

قال: فربطوا خيلهم ودخلوا كما أراد أسلاغورس وكان قد زخرف البيعة وصور فيها بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة ومحراب دواب ومهد عيسى وصورته وأمه مريم فلما توسطها أصحاب رسول ﷺ قرأ الحكم بن هشام ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِثْلَ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) ورفع بها صوته. فقال: لا والله. وإنما أقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

قال: فوالله لقد ماجت بيعة القوم وتزلزلت وصفت القناديل بعضها ببعض قال: وكان للبيعة شيخ عالم بالأديان والشرائع اسمه عبد المسيح، فلما نظر ما حل بالبيعة والقناديل صلب على وجهه

(١) آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) المائدة، الآية: ١١٦.

وكذلك كل من كان فيها وقالوا لملكهم: أنت ما أردت إلا هلاكنا إذ أدخلت هؤلاء العرب إلينا! أما ترى كيف غضب المسيح علينا؟

فقال البطريق: لا وحق المسيح ما هو إلا توحيدكم لله وذكر نبيهم أظهر لكم من معجزة نبيهم ما رأيتموه، يا ويلكم إذا كان قد فتح لهم باب في السور ودخلوا منه علينا، فكيف لا تهتز البيعة وتصفق القناديل لما دخلوها، وأنا كنت في شك مما ذكرت والآن فيا طوبى لمن كان على دينهم^(١).

قال الواقدي: ووقع جدال بين الحكم وبين البطريق فأقنعه بالإسلام ثم قال: والله ما في دينكم وراء وأنتم على الحق ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببيت المقدس، ثم جئت إلى هذه المدينة وكان عليها وال فمات ووليت الأمر من بعده فرجعت إلى ديني الأول.

فإن أنا تبت إليه ورجعت إلى دينكم أيقبلني على ما ارتكبت من المعاصي فذكر له الحكم حديث صاحب الراحلة: " الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"^(٢).

قال: فلما سمع أسلاغورس كلام الحكم بن هشام دمعت عيناه وأخذهم إلى دار ولايته وقال: والله لقد بان الحق وظهر الصدق فأسلم وحسن إسلامه وطلب جماعته فأسلموا بأجمعهم.

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، كتاب التوبة، حديث رقم ٢٧٤٧، ص ١٢٥٩.

ثم إنه طلب أكابر البلد وأخبرهم بإسلامه وقال لهم: إني أريد منكم ما أريده لنفسي وإن دين هؤلاء يعلو ولا يعلى عليه فمن أسلم منكم أمن في الدنيا والآخرة وهم قد نزلوا على آمِدٍ ولا بد لهم من ديار بكر جميعها فإن أسلمتم لهؤلاء القوم أمنتكم على أنفسكم وأولادكم.

فقالوا: أيها صاحب أمهلنا ثلاثة أيام حتى نرى ما لنا فيه من الصلاح، فتركهم وانصرفوا من عنده فلما كان الليل اجتمعوا وتحالفوا ألا يسلموا للعرب أبداً ولو هلكوا عن آخرهم وأصروا على القتال فبعد ثلاثة أيام طلبهم فلم يأتهم إلا القليل، وأتوا وأخبروه بما عزم عليه أهل البلد ثم لبسوا سلاحهم وأتوا إليه يقاتلونه فخرج إليهم بجماعة ومعه أصحاب رسول الله ﷺ فقاتلوا قتالاً شديداً، فلما جن الليل قال لهم: أرسلوا إلى أميركم ينجدنا، فأرسل واحداً منهم فما بعد عن البلد حتى سمع قرع حوافر الخيل، فلما تبينهم إذ هم من عسكر الموحدين وإذا هم خمسمائة فارس وعليهم ضبة بن عدي وكان السبب في ذلك أن عياض بن غنم رأى النبي ﷺ في المنام وأخبره بقصة ميّافارقين وما جرى لصاحبها من أهل بلده وأمره أن يرسل إليهم جيشاً فاستيقظ من نومه وأرسل إليهم ضبة بن عدي ومعه خمسمائة فارس، وأذن الله للأرض أن تُطوى لهم فوصلوا إليهم في تلك الليلة، فنادى ففتحوا لهم وإذا بصاحب البلد قابلهم فأدخلهم فقالوا له: من أعلمكم بقدومنا فقال صاحب البلد: أعلمني بكم النبي ﷺ رأيته وقد نمت من ضيق صدري بقتال هؤلاء القوم أهل البلد فنمت فرأيت شخصه الشريف فبشرني بقدومكم.

ثم خرج المسلمون فصاحوا بهم: يا أعداء الله قد حل بكم البوار وأحاطت بكم الأقدار من أصحاب محمد المختار ووضعوا فيهم السيف فولوا إلى منازلهم ودورهم ليتحصنوا بها وقد علموا أنه قد نزل بهم ما لا طاقة لهم به فنادوا الغوث.

فقال لهم: من أتى إلينا فهو آمن، فخرجوا فقال أصحاب رسول الله ﷺ: قد أمانكم على جميع مالكم إلا السلاح. قال: فأتوا بجميع ما عندهم من السلاح وسلموه للصحابه.

فلما رأوا منهم صدق القول أسلموا إلا قليلاً منهم وعملوا البيعة الكبيرة جامعاً وأقاموا ثلاثة أيام وتركوا عندهم الحكم بن هشام ومعه عشرة من أصحابه ليعلموهم شرائع الدين، وبذلك كان الحكم بن هشام أول من دخل مَيَّافَارِقِينَ وأول والٍ مسلم عليها وأتى ضبة ومن معه إلى عياض وأخبره بما جرى ففرح بذلك^(١).

المطلب الثامن - فتح مدينة نصيبين:

انتقل عياض وسار نحو نصيبين، ففر الروم من أمامه والتجؤوا إلى قلعة نصيبين. وأمر الجيش بمحاصرة البلد من جهاتها الأربع وكان لها أربعة أبواب، يسمى الباب الأول: بوابة الجبل، والثاني: بوابة السوق والثالث: بوابة سنجار والرابع: بوابة الروم. وعلى كل بوابة استقر فوج من المدافعين، فأنشبو معهم الحرب واجتهد الطرفان في الحرب. ولما رأى عياض أن القلعة حصينة، وقد عجز عن فتحها قرر الإقامة هناك. ومن ثم أرسل عمير بن سعد الأنصاري إلى مدينة سنجار لفتحها، فذهب عمير إلى هناك وقا تل أهل سنجار لمدة يوم واحد ثم طلب منه أهلها الأمان فصالحهم على ثلاثة آلاف دينار نقداً وعلى أن يدفع كل رجل منهم أربعة دنانير. وعاد بعد ذلك إلى عياض.

بعد ما مر عام كامل على محاصرة نصيبين دون أن يتيسر فتحها أخذ عياض في مشاورة رؤساء الجيش حول هذا الأمر، فتقدم رجل من المسلمين ممن كانوا تحت قيادة سعد بن أبي وقاص في العراق وقال له: إني أرى رأياً يمكن لنا بواسطته أن نستولي على المدينة فسأله عياض: كيف؟ فقال: أرسل شخصاً إلى مدينة شهرزور في العراق وهي تحت أيدي المسلمين الآن ومن هناك حيث توجد العقارب بكثرة فليملأ عدداً من الجرار بالعقارب ثم توضع هذه الجرار على المنجنيق وتطلق ليلاً في

(١) الواقدي، فتوح الشام، ج ٢، ص ١٤٧-١٥٠. الواقدي، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، ص ١٧١-١٨٠. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٥٠-٥٢.

داخل المدينة فكل من أصابته هذه العقارب هلك فوراً. فيندهش الناس لهذا الأمر ويقعوا في حيرة. حينئذ يمكن فتح البلد بسهولة.

فوافق عياض على هذا التدبير وأرسل شخصاً إلى شهرزور وملاً عدداً من الجرار بالعقارب مع شيء من التراب. ثم في الليل ألقى بهذه الجرار بواسطة المنجنيق نحو البلد فانكسرت الجرار وخرجت منها العقارب في كل اتجاه، فهلك ناس كثيرون بلسعة العقرب وحين طلع النهار هلك عدد من الناس فأرسلوا إلى عياض يطلبون الصلح فلم يجبه عياض حتى أطلقوا جميع الجرار المملوءة بالعقارب على البلد فانشغل الناس بتعقب العقارب وقتلها بينما عياض شدد في الحرب ذلك اليوم واستولوا على المدينة عنوة، ثم قتلوا المقاتلة، وفي النتيجة طلب الباقون الأمان من عياض، فأعاد لهم عيالهم وأطفالهم وكتب لهم رسالة أمان ووقع عليها عدد من رؤساء الجيش وسلمها إليهم. ثم أرسل خُمس الغنائم إلى أمير المؤمنين ووزع الباقي على المسلمين، وظل عياض في الجزيرة منتظراً وصول إشارة أمير المؤمنين. وحين وصلت رسالة عياض إلى أمير المؤمنين مبشرة بالفتوح ورأى الغنائم الكثيرة صار مسروراً وشكر الله على ذلك^(١).

رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عياض بن غنم رضي الله عنه :

"بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر، أمير المؤمنين، إلى عياض بن غنم. أما بعد، سلام عليك، الحمد لله الذي فتح بلاد الجزيرة على يد المسلمين فأغناهم بعد فقر ووسع لهم في الرزق وإنني منذ الآن لا أخاف الفقر عليهم ولكني أخشى عليهم أن يغتروا بالأموال فيهلكوا. وإنك يا عياض أدبت عملك على أحسن وجه، فجزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيراً. وحين تقف على هذه

(١) ابن الأعمش، الفتوح، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٣٩-٤٠.

الرسالة انتخب أحد وجوه الجيش ممن يعتمد عليه في القول والفعل واجعله نائباً لك ثم توجه نحو الشام فإن يزيد بن أبي سفيان مريض هناك، وأخشى إن هو مات أن تضطرب الأحوال. فالرأي هو أن تعود إلى الشام بأسرع ما يمكن ولا تبق في الجزيرة أكثر مما بقيت...والسلام".

وحين وصل خطاب أمير المؤمنين عمر إليه، دعا عتبة بن فرقد السلمي وعينه والياً على جملة بلاد الجزيرة وجعل تحت إمرته أربعة آلاف فارس ثم اتجه ببقية الجيش إلى الشام وحين وصل إلى حمص غلب عليه المرض، ثم توفي رحمه الله، ورووا أن ذلك اليوم الذي مات فيه عياض لم يكن يملك سوى فرسين اثنتين وجمالاً وضع عليه حوائجه ولم يجدوا في ثيابه وأمتعته ديناراً واحداً. مع كل تلك النعم والأموال التي عادت إليه من الجزية. فقد تصدق بها كلها ولم يترك شيئاً^(١).

المطلب التاسع - القبائل التي رافقت جيوش الفتح الإسلامي للجزيرة

الفراتية:

كانت القبائل التي رافقت جيوش فتح الجزيرة جزءاً من تلك التي رافقت جيوش فتح الشام والعراق، فقد خرج عياض بن غنم^(٢) من الكوفة بعد أن أسندت قيادة جيش فتح الجزيرة إليه. وأوكلت إليه مهمة نجدة المسلمين في حمص أولاً، وبعد انتهاء مهمته في حمص توجه نحو الجزيرة وانضم إلى الجيش الذي رافق عياض بن غنم^(٣) من الكوفة قسم من جيش يزيد بن أبي سفيان. وقد تشكل جيش يزيد من عدة قبائل هي: باهلة، وضبة، وعدي، ونمير، وفزارة، وكندة، وعامر، ومرة، وبعض من الأنصار، إضافة إلى من خرج من أهل الكوفة لفتح الجزيرة. ومن المحتمل أن غالبية هذه القبائل

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦١.

التي ذُكرت قد استقرت في الجزيرة لورود ذكرها في الأحداث التالية مثل: عدي، ونمير، وفزارة، وكندة، ومرة، إضافة إلى الأنصار.

لم تحدد المصادر أسماء القبائل التي خرجت من الكوفة لفتح الجزيرة، والتي لا شك أنها من القبائل التي شاركت في فتوح العراق، واختطت منازلها بالكوفة، والتي ورد ذكرها عند الطبري، فكان منها: كنانة، وجديلة، ومذحج، وحمير، وهمدان، وبجيلة، وخثعم، وكندة، والأزد، وأسد، وغطفان، ومحارب، والنمر، وضبيعة، وتغلب، وإياد، وعك، وعبد القيس، وتميم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قبيلتي تغلب، وإياد، كانتا من سكان الجزيرة الفراتية المستقرين بها وعلى أطرافها قبل الفتح الإسلامي، وقد انضم بعضهم إلى جيوش المسلمين بعد فتح حصن الموصل سنة (١٦هـ/٦٣٤م)، واعتنق بعضهم الإسلام. وكان لدعوة قائد جيوش فتح الموصل عبدالله بن المعتم لهم أثر في انحيازهم إلى صفه، فبعد أن قاوم هؤلاء الفتح الإسلامي مع الملك الأنطاق ملك الموصل، للوقوف في وجه المسلمين، ودفعهم عن مدينة الموصل، عادوا وانضموا إليه، ويمكن أن نعزو سبب ذلك إضافة إلى دعوة عبد الله بن المعتم التي وجدت صداها عندهم، شعورهم بتفوق المسلمين الذين بدت بوادر انتصارهم واضحة، وتحرك نوع من العصبية العربية في نفوسهم^(١).

(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١٠٥-١٠٦.

المطلب العاشر - استقرار العرب في منطقة الجزيرة الفراتية بعد

فتحها:

استقر العرب المسلمون في بعض مناطق الجزيرة بعد فتحها مباشرة، فقد ذكر البلاذري بأن عياضاً عندما انصرف من خلاط^(١) متجها نحو الجزيرة بعث إلى سنجار ففتحها صلحاً وأسكنها قوماً من العرب، ويذكر البلاذري أيضاً في روايته عن فتح رأس العين أن المسلمين امتلكوا الأراضي التي جلا عنها أهلها وازدروها بإقطاع^(٢). وهذا دليل على استقرارهم في المدينة بعد فتحها.

وإذا كان العرب قد استقروا في بعض مدن الجزيرة بعد فتحها، فإن غالبيتهم سكنوا في مناطق خارجها. يتضح ذلك من الأمر الذي أصدره الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واليه على الشام والجزيرة أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى، ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق فيها لأحد. ولعل ما قام به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من ترتيبات يعود إلى رغبته في توفير عامل الاستقرار في الجزيرة، ويمنع القبائل المستقرة حديثاً من الاحتكاك مع التي سبقتها من جهة، وشحن المدن والقرى القريبة من الثغور بالجند لحفظها والدفاع عنها^(٣).

وإذا كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يسمح للمستقرين الجدد بالنزول في المدن والقرى القديمة فإنه قام بتمصير الموصل، والحديثة، وأسكنهم فيها وجعل لكل قبيلة خطة تستقر فيها.

والمرجح أن القبائل التي نزلتها هي: سليمة التي نزلت الموصل وكان باب سنجار بيدها، كما نزلت أيضاً وادي الثرثار وكان لها به خطط وضياع منها تل خوسا، وذوتا، إضافة إلى نزول مذحج،

(١) خلاط: مدينة من مدن أرمينية. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٢٢٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٣.

(٣) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١٠٧.

وحمير، وهمدان، والأشعريين وعك، في تلك الخطط^(١). كما انتقلت بعض الجماعات من الأزدي، وطبيء، وكندة، وعبد القيس، إلى الموصل، واستقروا بها في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ونزل بنو فهد، وبنو عمران، وبنو دوس بن عدنان، بأرض الموصل^(٢).

نزل الموصل واستقرَّ بها أيضاً عشائر متعددة من الأزدي منهم بنو الحشاش وكانت خطتهم مع بني سليمة، وكان منهم بنو بريضة، وهناك بعض القبائل التي أشارت بعض المصادر إلى أنها نزلت الجزيرة على عهد عثمان كبنو تميم الذين نزلوا الرابية، ونزل خلاط من قيس، وأسد، وغيرهم^(٣).

وتتابعت هجرات القبائل إلى أرض الجزيرة، فنزلت فيها جماعة من بجيلة في خلافة علي رضي الله عنه، خرجوا من الكوفة مع زعيمهم جرير بن عبدالله البجلي، واستقروا بقرقيسيا، ولحقت بهم جماعة أخرى من نفس القبيلة. فنزل بعضهم الرُّها، والبعض الآخر نزل الرقة، واستقر بها. كما استقر بعض بني خزيمة بن لؤي وعم بنو عبيد في الموصل، وكان منهم علي بن مسهر بن عمير قاضي وفقه الموصل، ونزل بعضهم منطقة ديار بكر، وخالطوا بني ذهل بن شيبان بن بكر. واستقر ولد أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس في الرقة، ومنهم الوليد بن عقبة وولده، وغيرهم. كما نزل مسلمة بن عبد الملك وبنوه في منطقة الجزيرة، قرب حرَّان، وسكن أبناؤه في الثغور^(٤).

ويؤكد الهمداني كثرة ربيعة، ومذحج، في الموصل في النص الذي قال فيه: "وأكثر أهل الموصل مذحج هي وربيعة، فإن تياسرت منها وقعت إلى الجبل المسمى بالجودي، يسكنه ربيعة وإن تيامنت

(١) الأزدي، أبو زكريا محمد بن إياس، تاريخ الموصل، تحقيق: الدكتور علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٩٠-٩٢.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٥.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٧٢.

(٤) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١١٠-١١٢.

من الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة، وجبل بارمًا ثم السن، والبوازيح بلاد الشُّرّة وهو فرقة من الخوارج في ديار ربيعة"^(١).

إضافة إلى هذه الهجرات التي قدمت إلى الجزيرة الفراتية، فإن الخليفة عبد الملك بن مروان عندما ولى أخاه محمد بن مروان الموصل نقل إليها بعض الأزد، وربيعه من البصرة.

ونزل بنو معن بن فهم باب سنجار من الموصل، وأنشؤوا خططهم في منطقة الثرثار. وكانت لهم ضياع، منها تل خواسا، وذواتها. وورد عند الأزد ذكر النزول بعض بني همدان بباب فخاري. وبعض بني زبيد بقرى الموصل يدل على ذلك ورود اسم أحد فرسانهم وهو الأغنم في المنطقة. ونزلت عنزة في حزة بين نصيبين، والموصل، ورأس العين.

كما تتابعت هجرات بعض بطون قيس لمساندة القيسية المستقرّين بها، فنزل بعضهم بني سليم بقرقيسيا في عهد عبد الملك، فيما نزلت بطون أخرى منهم في منطقة الخابور، وزاحموا تغلب على أراضيها في تلك المنطقة. أما البعض الآخر من سليم فقد نزلوا الرها. وقد يكون بعض بني سليم موجودين في المنطقة قبل الفتح. ونزلت جشم بكفر توثا، ولحقت دفعات أخرى من ربيعة ببقية قبائلها، فنزلت بعض تغلب في دارا. ونزلت النمر بن قاسط أطراف الجزيرة وعانة، مع بقية من سبقها منهم. وقد يكون هؤلاء من الذين نقلهم عبد الملك بن مروان حين ولى أخاه محمد بن مروان الجزيرة والموصل^(٢).

ويبدو أن سيل الهجرات إلى منطقة الجزيرة ظل مستمراً فقد عدد ابن حوقل بعض القبائل العربية التي استقرت في الجزيرة، والتداخل الذي حدث نتيجة ذلك وأثره على الاستقرار القبلي فقال: "كان

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٧.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١١٠-١١٢. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٦٥.

يسكنها [الجزيرة] قبائل من ربيعة، ومضر أهل خيل، وغنم، وإبل قليلة، وأكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها، منهم بادية، وحاضرة، فدخل عليهم من بطون قيس الكثير من بني قشير، وعقيل، وبني نمير، وبني كلاب، فأزاحوهم عن بعض ديارهم، بل جلها، وملكوا غير بلد وإقليم، منها حرّان، وجسر منبج، والخابور، والخانوقة، وعَرَبان، وقَرْقِيسِيَا، والرحبة، في أيديهم يتحكمون في حضائرها ومراققتها"^(١). كما ذكر بأن الموصل أهلها عرب وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة، وكان لهم بها خطط^(٢).

لقد تسبب نزول القيسية في المناطق المجاورة لمنازل تغلب إلى امتداد بطون قيس على حساب أراضي بني تغلب، باتجاه نهر الخابور، مما أدى إلى توتر العلاقات بين القبيلتين، ونشوب الصراع بينهما. وبالتالي يمكن القول بأن سيل الهجرات المتتالية إلى منطقة الجزيرة زاد من غلبة الجنس العربي فيها، الأمر الذي جعل منطقة الجزيرة الفراتية تقسم تبعاً لغلبة القبائل العربية فيها، ذلك التقسيم الذي ورد ذكره عند جغرافيين المسلمين، ليسهل تحديد مناطق نزول البطون الكبرى للعرب، ومن دخل ضمن ديارهم من العناصر السكانية الأخرى المستقرة بالمنطقة من القبائل التي رافقت جيوش الفتح. نتيجة لتتابع الهجرات العربية المستمرة إلى منطقة الجزيرة، حدث تداخل في مناطق استقرار القبائل فيها، وظهرت العصبية القبلية مرة أخرى بعد أن هدأت مع ظهور الإسلام. وبدأت المعارك تنشب بين قبائل الجزيرة نتيجة لهذا التداخل في الأراضي، وألحقت هذه المعارك بأيام العرب التي وقعت في الجاهلية، فعُرفت بالأيام أيضاً، وكان لهذه المعارك نتائج عكسية على الأوضاع السياسية. ومما هو واضح من جيش فتح الجزيرة أن القبائل القيسية كانت تشكل مجموعة لا بأس بها في الجيش الفاتح، ثم تتابعت بطون قيس في الخروج نحو الجزيرة للحاق بمن سبقها منهم، وكان

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

لزيادة أعداد قيس في منطقة الجزيرة دور في تداخل أراضي مضر وتغلب، مما أدى إلى الخلافات التي نشبت بينهما^(١).



(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١١٠-١١٢.

المبحث الرابع - قادة الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا:

المطلب الأول - عياض بن غنم الفهري رضي الله عنه:

المقصد الأول - نسبه وإسلامه:

هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو سعد، وقيل: أبو سعيد الفهري القرشي^(١).

أسلم عياض بن غنم الفهري القرشي قديماً قبل الحديبية، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول ﷺ^(٢).

المقصد الثاني - جهاده في العراق:

كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد رضي الله عنهما بعد معركة اليمامة: "إن الله فتح عليك، فعارق حتى تلقى عياضاً". وكتب إلى عياض وهو بين "النباج، والحجاز": "سر حتى تأتي المصيخ" فأبدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها، وعارق حتى تلقى خالدًا"، أي أن أبا بكر كتب إلى خالد بن الوليد إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها، وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق أيضاً أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى "الحيرة"، فأيهما سبق إليها فهو أمير على صاحبه.

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٩٧٨. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٢٣٤.

(٢) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٥، ص ٩٤.

واستمد عياض رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه، فأمدّه برجل واحد وهو عبد بن غوث الحميري وهو من أبطال العرب، كما أمد خالد رضي الله عنه برجل واحد أيضاً هو القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه، وكتب إليه إلى خالد رضي الله عنه: "استنفروا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يغزو معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي"، فلم يشهد الأيام مرتد (١).

وسار عياض رضي الله عنه إلى "دومة الجندل" ليخضع أهلها المتمردين، ثم يسير منها شرقاً إلى هدفه، ولكنه لم يستطع فتح "دومة الجندل"، فكتب إلى خالد رضي الله عنه بعد أن عجز عن فتحها يستمده على من بإزائه من العدو، وكان خالد رضي الله عنه حينذاك قد فرغ من فتح "عين النمر"، فسار سيراً حثيثاً نحو عياض رضي الله عنه، فلما وصل "دومة الجندل" وجد عياضاً قد حاصر أهلها وحاصروه، وقد أخذوا عليه بالطريق وأشجوه وشجوا به، فجعل خالد "دومة الجندل" بين عسكره وعسكر عياض رضي الله عنه.

وخرج أهلها لقتال المسلمين، ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا إلى الحصن، فلما امتلأ أغلق من فيه أبوابه دون أصحابهم وتركوهم عرضة للقتل والأسر.

وأطاف خالد رضي الله عنه بباب الحصن، ثم أمر به فافتلح. واقتحم المسلمون على من فيه وقتلوا كافة المقاومة إلا أسارى بني كلب الذين أمنهم بنو تميم.

وعاد خالد رضي الله عنه ومعه عياض إلى الحيرة، فاستخلفه عليها عندما خرج للقاء عدوه في "المصيخ"، لأن الحيرة أصبحت القاعدة المتقدمة للمسلمين وحمايتها ضرورية لأمن قواتهم المقاتلة في ساحات القتال (٢).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) خطاب، محمود شيت، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص ٤٢٦-٤٢٧.

المقصد الثالث - جهاده في الشام:

استصحب خالد عياضاً رضي الله عنهما إلى أرض الشام عند نقله من منصب القائد العام في العراق إلى منصب القائد في الشام، فشهد مع خالد رضي الله عنه كافة معاركه في طريقه إلى الشام، وكان على أحد كراديس الميسرة في معركة اليرموك.

وفي معركة فتح دمشق كان عياض رضي الله عنه على الخيل، كما شهد مع أبي عبيدة رضي الله عنه كافة معاركه في أرض الشام، وكان معه في فتح "حلب" على المقدمة، وكان هو الذي أبرم الصلح مع أهل "حلب"، فأنفذ أبو عبيدة رضي الله عنه صلحه.

وعاد عياض رضي الله عنه إلى العراق، وكان على الخيل عند تقدم المسلمين إلى "المدائن" وشهد فتحها كما شهد معركة جلولاء^(١).

المقصد الرابع - الفاتح:

لما قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ومن معه من المسلمين "بحمص"، كتب أبو عبيدة إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "انذب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم، فإن أبا عبيدة قد أحيط به، وسرح سهل بن عدي إلى "الرقّة"، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص". وأمره أن يسرح عبدالله بن عبدالله بن عتبان رضي الله عنه إلى "نصيبين" ثم ليقصد "حرّان" و"الرّها" وأن يسرح الوليد بن عقبة رضي الله عنه على عرب الجزيرة من ربيعة وتتوخ، وأن يسرح عياض بن غنم رضي الله عنه، فإن كان قتال فأمرهم إلى عياض رضي الله عنه.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢٧-٤٢٨.

وخرج عياض رضي الله عنه وأمراء الجزيرة، فأخذوا طريق الجزيرة وتوجه كل أمير إلى المنطقة التي أمر عليها، فأرسل سهل بن عدي رضي الله عنه إلى الرقة فحاصرها، فطلب أهلها الصلح وبعثوا في ذلك إلى عياض رضي الله عنه، فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة، كما فتح عبدالله بن عبدالله بن عتبان رضي الله عنه "نصيبين" صلحاً، إذ كتب أهلها بذلك إلى عياض رضي الله عنه، فقبل منهم وعقد لهم.

وتوجه عياض رضي الله عنه بعد أن ضم إليه سهياً وعبدالله رضي الله عنه إلى حرّان فأجابه أهلها إلى الجزية، فشرح سهياً وعبدالله إلى الرها، فأجابوهما إلى الجزية أيضاً، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً^(١).

وبعد فتح الجزيرة على يد عياض حتى لم يبق بها موضع قدم إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢)، رجع سهل وعبدالله إلى الكوفة، والتحق عياض بأبي عبيدة الذي كتب إلى عمر يسأله أن يضم إليه عياضاً، فوافق عمر وصرفه إليه، واستعمل حبيب بن مسلمة الفهري رضي الله عنه على عجم الجزيرة والوليد ابن عقبة رضي الله عنه على عربها^(٣).

ولم يقتصر عياض على فتح الجزيرة، بل دخل "الدرب"^(٤) وأجازه إلى بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها وانتهى إلى العين الحامضة من أرمينية، ثم عاد إلى الرقة ومضى إلى حمص، فكان عياض أول من أجاز درب عبر الجزيرة إلى بلاد الروم، وبذلك مهد للفتح الإسلامي في أرمينية^(٥).

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤.

(٢) الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٣٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥. دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص ٣٦.

(٤) الدرب: الطريق ما بين طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرج.

(٥) خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٣٠.

المقصد الخامس - شخصيته:

كان عياض عليه السلام ممن نزل الشام من صحابة رسول الله ﷺ، فلما مات أبو عبيدة استخلف عياضاً على حمص وفي رواية أنه استخلفه على جند حمص.

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من استخلف أبو عبيدة؟". فقالوا: عياض بن غنم، فأقره قائلاً: "لا أبدل أميراً أمره أبو عبيدة" وكتب إليه: "إني قد وليتك ما كان أبو عبيدة يليه، فاعمل بالذي يحق الله عليك"، ورزقه حين ولاه حمص كل يوم ديناراً وشاة ومداً، وبقي بمنصبه هذا حتى توفاه الله بالشام سنة عشرين للهجرة ٦٤٠م وهو ابن ستين سنة، أي أنه ولد سنة أربعين قبل الهجرة ٥٨٣م ودفن بحمص. مات عياض ولم يترك مالاً ولم يكن عليه دين، إذ أنفق أمواله بسخاء في سبيل الله، فقد كان كريماً، وكان يقال له: زاد الراكب، لأنه كان يطعم رفيقه ما كان عنده، وإذا كان مسافراً آثرهم بزاده، فإن نفذ نحر لهم جملة^(١).

وكان سمحاً يعطي ما يملك، فكلّم فيه عمر، فقيل: "يبذر المال"، فقال: "إن سمأه في ذات يده، فإذا بلغ مال الله عز وجل لم يعط منه شيئاً، ولا أعزل من ولاه أبو عبيدة".

وفي أحد أيام إمارته على أرض الشام، قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته، فلقاهم بالبشر وأنزلهم وأكرمهم، فأقاموا أياماً ثم كلموه في الصلة، وأخبروه بما لقوا من المشقة في السفر رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة، فردوها وتسخطوا ونالوا منه، فقال "أي بني عم والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بعد شقتكم، ولكن والله ما حصلت على ما وصلتكم به إلا ببيع خادمي وبيع ما لا غنى بي عنه، فاعذروني". قالوا: "والله ما عذرك الله، فإنك والي نصف الشام

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٩٧٨.

وتعطي الرجل منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله؟" ، قال: "فتأمروني أسرق مال الله، فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلي من أن أخون فلساً أو أتعدى" قالوا: " قد عذرتك في ذات يدك، فولنا أعمالاً من أعمالك تؤدي ما يؤدي الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون، وأنت تعرف حالنا، وإنا لسنا نعدو ما جعلت لنا"، قال: " والله إنني لأعرفكم بالفضل والخير، ولكن يبلغ عمر أني وليت نفرّاً من قومي فيلومني"، قالوا: " قد ولاك أبو عبيدة وأنت منه في القرابة بحيث أنت، فأنفذ ذلك عمر، فلو وليتنا لأنفذه"، قال: "إنني لست عند عمر كأبي عبيدة"، فمضوا لائمين له^(١).

المقصد السادس - القائد:

كان حازماً يحرص غاية الحرص على غرس روح الضبط والطاعة في نفوس رجاله، فقد ذكروا أنه جلد عياض بن غنم صاحب داريا حين فتحت فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه ثم قال هشام لعياض ألم تسمع النبي ﷺ يقول إن من أشد الناس عذاباً أشدهم عذاباً في الدنيا للناس فقال عياض بن غنم يا هشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له وإنك يا هشام لأنت الجريء إذ تجترئ على سلطان الله فهلا خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله تبارك وتعالى^(٢).

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **صفة الصفوة**، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٢٤١.

(٢) أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج ٢٤، ص ٤٩، رقم الحديث ١٥٣٣٣.

لقد كان قائداً عقائدياً من الطراز الأول، ولكنه لم يكن يتحلى بروح المباغته والتعرض، فبقي في حصار مسكن حول دومة الجندل مدة طويلة، حتى أنقذه خالد من ورطته بالقضاء على مقاومة أهلها وفتحها بعد ذلك.

لقد كان عياض يثق برجاله ويتقون به وكان موضع ثقة مرجعه الأعلى، فقد وثق به عمر وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، كما كان يحب رجاله ويحبونه بل كان يحب كل الناس ويؤثرهم بزاده على نفسه في أخرج الأوقات، وكان له ماض ناصع مجيد.

ولا تزال رايات الإسلام ترفرف في ربوع الجزيرة، ولا يزال العرب يسكنون هذه المناطق حتى اليوم. كل ذلك يُذكر سكان هذه المنطقة الشاسعة الغنية بالرجل الذي فتحها، بالصحابي الجليل، القائد الإنسان، عياض بن غنم رضي الله عنه وأرضاه^(١).

المطلب الثاني - سهل بن عدي بن مالك الأنصاريؓ:

المقصد الأول - إسلامه:

واسمه سهل بن عدي بن مالك بن حزام بن خديج بن معاوية بن عوف بن الخزرج أسلم سهل بن عدي الأنصاري مبكراً، فقد شهد بدرًا وأحداً وقاتل تحت لواء النبي ﷺ في غزواته الأخرى، فهو من الأنصار الأولين الذين نصرُوا الله ورسوله بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة^(٢).

(١) خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٥٢٩.

المقصد الثاني - جهاده:

كان أحد رجال جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى أرض الشام، فلما عاد أسامة إلى المدينة، جاهد المرتدين حتى عادوا إلى الإسلام، فسار مع الفاتحين إلى أرض العراق، وفي معركة الجسر استشهد أخوه الحارث. وكان إلى جانب سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه في معارك فتح العراق، وقد بذل قصارى جهده في المعارك التي خاضها ممّا رشحه لتولى قيادة أحد جيوش المسلمين، إذ كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: "سرح سهل بن عدي إلى الجزيرة في الجند، وليأت الرقة، فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص"، وكانت الجيوش الرومانية وحلفاؤها قد هجموا على قوات أبي عبيدة ابن الجراح في حمص وفي شمالي أرض الشام.

وخرج عياض بن غنم رضي الله عنه ومن معه من القادة، فأرسل سهلاً إلى الرقة، فسلّك طريق الفراض، وكان قد انفضّ أهل الجزيرة عن حمص إلى مناطقهم للدفاع عنها، وذلك حين سمعوا بمقدم أهل الكوفة إلى أرضهم، فحاصر سهل الرقة حتى صالحه أهلها.

ولما فتح سهل الرقة انضم بقواته إلى قوات عياض، فساروا جميعاً إلى حرّان، فأجابه أهلها إلى الجزيرة، فسرح سهلاً وعبدالله بن عبدالله بن عتبّان إلى الرها، فاجاب أهلها إلى الجزيرة أيضاً، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً^(١).

وعاد سهل إلى الكوفة بعد ذلك، ومن هناك تحرك إلى البصرة، وفيها استلم لواء كرمان^(٢)، فسار بجيشه لفتحها، ولكنه قبل أن يتوجه لفتحها كان له نصيب كبير في مشاغلة القوات الفارسية وقطع إمداداتها وتهديد خط رجعتها حتى يحول دون مساعدتها لأهل نهاوند، ولما انتصر المسلمون في

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤. دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص ٣٦.

(٢) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤.

معركة نهاوند الحاسمة وأكمل سهل متطلبات جيشه وأنجز تحشده قصد كرمان ولحقه عبد الله بن عبدالله بن عتبان مدداً له، فالتقى الطرفان في تخوم كرمان فانهزم الفرس، ولكن المسلمين أخذوا عليهم الطرق، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا غنائم لا تعد ولا تحصى.

ولما كان القتال دائراً في ولاية مكران^(١)، كان سهل على رأس جيشه مدداً للمسلمين، وبذلك رجحت كفة المسلمين على الفرس، ففتح المسلمين مكران أيضاً^(٢).

المقصد الثالث - شخصيته:

كان سهل شاعراً رقيقاً يصف معاركه وصفاً دقيقاً، قال في فتح الرقة:

وصادمتنا الفرات غداة سرنا إلى أهل الجزيرة بالعوالي

أخذنا الرقة البيضاء لما رأينا الشهر لوح بالهلال

وأزعجت الجزيرة بعد خفض وقد كانت تخوف بالزوال

وكان مؤمناً قوياً بالإيمان، حريصاً على الدفاع عن عقيدته، كرس حياته كلها لرفع مكانة الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها، وبذل في سبيل ذلك جهوداً جبارة دون أن يجتني من جهاده مالا ولا عقاراً، مما يدل على أنه كان يعمل لعقيدته لا لجيبه، وأنه استغل نفسه لخدمة الناس ولم يستغل أحداً لخدمة نفسه. وكان وفياً كريماً مضيافاً سمحاً شهماً غيوراً صادقاً في قوله وعمله^(٣).

(١) مكران: ناحية واسعة تشمل على مدن وقرى وهي بين كرمان من غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها والغالب عليها المفاوز والضرّ والقحط. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٨٠.

(٢) خطاب، محمود شيت، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص ٤٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.

المقصد الرابع - القائد:

يمتاز سهل بالقدرة الفائقة في قتال المشاغلة، فقد نجح بمشاغلة عدوه بقوة قليلة، فحال بينه وبين معاونة قواته في المناطق الحربية من مناطق القتال.

وليست مشاغلة العدو في أهداف تعبوية لإجباره على توزيع قواته وصرفها عن أهدافها بالأمر الهين اليسير، إذ هي تحتاج إلى قائد ممتاز يتميز بسرعة الحركة ويعرف متى وكيف وأين يشاغل قوات عدوه لإجباره على الانقياد لرغبات ذلك القائد، فيقضي عليه في الزمان والمكان المناسبين^(١).

وكما نجح سهل في قتال المشاغلة، فقد نجح في هجومه المدبر على القوات الفارسية في ولاية كرمان، فاستطاع بقواته القليلة نسبةً إلى سعة تلك المنطقة أن ينتصر بسرعة ويسر على أعدائه، وهذا يدل على أنه كان قديراً في إعداد الخطط الدقيقة وفي إعطاء القرارات السريعة السديدة، كما يدل على تمتعه بشخصية قوية نافذة وعلى تحمله المسؤولية وعلى ثقته برجاله وحبهم له وعلى ثقته به وحبهم له، وكان ماضيه الناصع المشرف من العوامل التي ضاعفت ثقة قواته به وحبهم له وتقديرهم لقابلياته العالية في القيادة^(٢).

المقصد الخامس - سهل في التاريخ:

كان لنجاح سهل في مشاغلة أهل الجزيرة، أثر حاسم في انتصار أبي عبيدة في حمص على الروم، وفي فتح الجزيرة التي تعتبر المنطقة الدفاعية القصوى للدفاع عن عاصمة الروم: القسطنطينية. وكان لنجاحه في مشاغلة الفرس أثر حاسم في انتصار المسلمين على القوات الفارسية في معركة نهاوند الحاسمة.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

إن نجاحه هذا كفيلاً بتخليده في التاريخ، ولكنه أضاف إلى هذا النجاح نصراً آخر لا يقل أهمية عن نجاحه الأول، وهو فتحه بعض بلدان الجزيرة وفتحه ولاية كرمان الغنية بثروتها الزراعية والصناعية. ولكنه لم يقف عند هذا الحد من النجاح والنصر، بل ساند قائد ولاية مكران في مهمة فتحها. رضي الله عن الصحابي الجليل، القوي الأمين، القائد الفاتح، سهل بن عدي^(١).

المطلب الثالث - عبدالله بن عتب الله بن أنصاري^(٢):

المقصد الأول - إسلامه:

كان عبدالله بن عبدالله بن عتب الله من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكن لا يعرف متى أسلم ولا الغزوات التي شهدتها تحت لواء الرسول القائد، والظاهر أنه كان صغيراً أيام النبي ﷺ، فحرم من شرف الجهاد مع النبي ﷺ ولم يحرم من شرف الصحبة^(٢).

المقصد الثاني - جهاده:

شهد عبدالله حرب أهل الردة، فلما عاد المرتدون إلى الإسلام وشملت الوحدة شبه الجزيرة العربية ثانية، سار عبدالله مع الفاتحين إلى العراق، فجاهد هناك جهاد الأبطال فاستحق لجهاده المشرف تولي قيادة جيش من جيوش المسلمين، إذ كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص: سرح سهل بن عدي إلى الرقة، فإن أهل الجزيرة هم الذين استناروا الروم على أهل حمص، وأمره أن يسرح عبد الله بن عبدالله بن عتب الله إلى نصيبين. ثم ليقتصد حرّان والرّها، فسلك عبدالله الطريق المحاذية إلى مدينة الموصل، وعبر من هناك حتى وصل نصيبين، فصالحه أهلها وعقد لهم عبدالله. ولما

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٠-٤٤١.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٦٩٨. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٩٠٨.

أعطى أهل الرقة الصلح لسهل بن عدي وأهل نصيبين الصلح لعبدالله، ضم عياض بن غنم رضي الله عنه إليه سهلاً وعبدالله، وسار بالناس إلى حرّان وأخذ ما دونها، وعندما انتهى إليها أجابه أهلها إلى الجزية، فسرح سهلاً وعبدالله إلى الرّها فأجابهما أهلها إلى الجزية أيضاً، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً^(١).

وعاد عبدالله إلى الكوفة بعد انتهاء واجبه في الجزيرة، فكان يعاون سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إنجاز مهامه الجسيمة. ولما استدعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعداً إلى المدينة، استخلف سعد على الكوفة عبدالله، فأقره عمر واستعمله، وكتب إليه ليستنفر أهل الكوفة إلى النعمان بن مقرن المزني، فأرسل عبدالله من الكوفة إلى النعمان جيشاً بقيادة حذيفة بن اليمان، فكان لهذا الجيش أثر كبير في انتصار المسلمين على الفرس في معركة نهاوند الحاسمة.

وبعد ذلك وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائداً لفتح منطقة أصبهان وأمدّه بأبي موسى الأشعري من البصرة، فخرج عبدالله من نهاوند فيمن كان معه ومن تابعه من جند النعمان بن مقرن المزني نحو هدفه، فلقيه جيش عظيم من الفرس في ظاهر أصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان على مقدمة الفرس شيخ طاعن في السن هو شهريراز بن جاذويه، وكان من أبطال الفرس المعدودين، فدعا هذا الشيخ المسلمين إلى المبارزة، فبرز عبدالله بن ورقاء الرياحي فقتله، فلما رأى الفرس ذلك فروا من ساحة المعركة، ففتح المسلمون أول رستاق من منطقة أصبهان، وأطلقوا عليه رستاق الشيخ ذكرى للفارس الشيخ الذي خر صريعاً في ابتداء المعركة.

وتراجع الفرس إلى حي يحتمون بأسوار أصبهان المنيعة ويتحصنون بقلاعها الشامخة، فحاصروهم المسلمون وطال الحصار كثيراً، فخرج الفرس واصطف الجيشان للقتال، ولكن قائد الجيش بعث إلى

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤. قوينجو، مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة، ص ١٣٤.

عبدالله يقول: " لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك، ولكن ابرز لي فإن قتلتك رجع أصحابك، وإن قتلتني سالمك أصحابي.

فبرز له عبدالله وقال لقائد الفرس: " إما أن تحمل علي وإما أن أحمل عليك " ، فقال الفارسي: " أحمل عليك "، فوقف له وحمل عليه قائد الفرس وطعنه طعنة أصابت سرج فرسه فكسرتة، فوقع عبدالله ثم استوى على الفرس عرياً من دون سرج وقال لخصمه: "اثبت" ، ولكن خصمه استكان بعد أن عرف أنه الموت الزؤام، وقال لعبدالله: "ما أحب أن أقاتلك فإني قد رأيتك رجلاً كاملاً، ولكن أرجع معك إلى عسكري فأصالحك وأدفع المدينة إليك على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجري من أخذتم أرضه مجراهم ويرجعون، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه"، فأقر عبدالله هذا الصلح على هذه الشروط. وبذلك أنجز المسلمون فتح كافة منطقة أصبهان^(١).

ثم قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يرسله مدداً إلى سهل بن عدي لفتح منطقة كرمان، فكتب إليه: " سر حتى تقدم على سهل بن عدي فتجامعه على قتال من بكرمان"، فأسرع عبدالله برجاله حتى لحق بسهل، ففتحا كرمان بعد قتال^(٢).

(١) خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ١٨٠.

المقصد الثالث - الإنسان:

كان عبدالله شاعراً يعبر شعره عن نفسيته أصدق تعبير، قال في فتح نصيبين:

ألا مَنْ مبلغ عني بجيراً فما بيني وبينك من تعادي

فإن تقبل تلاقي العدل فينا فأنسى مآلقت من الجهاد

وإن تدبر فمالك من نصيب نصيبين تحلق بالعباد

وقد ألفت نصيبين إلينا سواد البطن بالخرج الشداد

لقد لقيت نصيبين الدواهي بدهم الخيل والجرد الورد

لقد كان شجاعاً بطلاً من أشرف الصحابة ومن وجوه الأنصار، وكان كريماً مضيافاً معطاء لم يبق له كرمه الأصيل مالا ولا ملكاً، وكان قد أصاب من غنائم الفتح مالا عظيماً^(١).

وكان شهماً غيوراً صادقاً وفيماً ميمون النقيبة ورعاً غاية الورع، همه من الدنيا نشر عقيدته بين الناس، وقد وفق لنشر الإسلام في منطقة الجزيرة وفي مناطق واسعة من أرض فارس، وكان ذلك أكبر إنجازاته في حياته.

المقصد الرابع - القائد:

كان عبدالله جندياً ممتازاً وقائداً ممتازاً، فقد كان شجاعاً غاية الشجاعة مدرباً تدريباً رائعاً على استعمال سلاحه وعلى الفروسية، لهذا كان مثلاً حياً لرجاله في الشجاعة والإقدام.

(١) خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٤٦.

وإذا كان بعض القادة يكتفون بتنظيم الخطط العسكرية والإشراف على تنفيذها، فإن عبدالله يضيف إلى ذلك مباشرته القتال بنفسه في أخطر المواقف، فيقدم على مبارزة قادة أعدائه وشجعانهم، فيكون انتصاره عليهم عاملاً نهائياً لاستسلام أعدائه للمسلمين.

لقد اجتمعت في عبدالله مزايا الشجاعة الشخصية، والتدريب الراقى، والتجربة الطويلة للحروب، والذكاء اللامح، والماضي الناصع المجيد، والشخصية القوية، والإرادة النافذة، وحبه للمسؤولية، فلا عجب أن تكون قراراته صحيحة تؤدي دائماً إلى النصر المبين.

وعند تطبيق أعماله الحربية على مبادئ الحرب، نجد أنه كان قائداً مغامراً كل معاركه نوعية يعمل على إنجاز تحشيد قواته وبيذل قصارى جهده لكي يديم معنوياتها حتى لو كان ذلك على حساب تعرض حياته للخطر المباشر كما فعل عند مبارزته لقائد الفرس في معركة فتح أصبهان. برز عبدالله في قتال المشاغلة وفي الحصار الطويل وفي الهجوم، وكلها أدلة قاطعة على أصالة قيادته. إن التاريخ يذكر له فتوحاته في الجزيرة وفي بلاد فارس، ويذكر له جهوده لنشر الإسلام في تلك الربوع. رضي الله عن القائد الفاتح، الفارس البطل، الصحابي الجليل عبدالله ابن عبدالله بن عتبان الأنصاري^(١).

المطلب الرابع - عمير بن سعد الأنصاري الأوسيؓ:

المقصد الأول - إسلامه:

صحب عمير بن سعد الأنصاري الأوسي رسول الله ﷺ. وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم، سمع جُلاس بن سويد الصامت الذي تخلف عن غزوة تبوك يقول: "لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٧-٤٤٨.

من الحمر"، فرفع ذلك عمير من قول جُلّاس إلى رسول الله ﷺ، وكان في كنف جُلّاس الذي تزوج أم عمير بعد أبيه، فقال له عمير: "والله يا جُلّاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنه عندي يداً، وأعزه عليّ أن يصيبك شيء تكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحناك، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى" ثم مشى إلى رسول الله ﷺ، فذكر له ما قال جُلّاس، فحلف جُلّاس بالله لرسول الله ﷺ، لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير بن سعد، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(١)، فتاب جُلّاس وحسنت توبته حتى عُرف منه الخير والإسلام، فما زال عمير في علياء حتى مات، ولم يسمع عمير من الجُلّاس شيئاً يكرهه بعدها، وقال رسول الله ﷺ "وفت أذنك يا غلام وصدقك ربك"^(٢) وهذا يدل على أنه كان غلاماً حينذاك، لذلك نال عمير شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء رسول الله ﷺ.

المقصد الثاني - جهاده:

شهد عمير فتوح الشام، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عياض بن غنم يأمره أن يوجه عمير بن سعد إلى عين الوردة وهي مدينة رأس العين، فوجهه إليها وقدم الطلائع أمامه، فأصابوا قوماً من الفلاحين وغنموا مواشي من مواشي العدو، ولكن أهل المدينة أغلقوا أبوابها ونصبوا المجانيق، فقتل من المسلمين بالحجارة والسهام كثيرون.

(١) التوبة، الآية: ٧٤.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٩٦٣. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١١٤٤-١١٤٥.

وكانت رأس العين قد امتنعت على عياض بن غنم رضي الله عنه من قبل، ففتحها عمير وهو والي عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجزيرة بعد أن قاتل أهلها جيوش المسلمين قتالاً شديداً، ولكن المسلمين دخلوها عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلك، ووضعت الجزية على كل فرد أربعة دنانير، ولم تسب نساؤهم ولا أولادهم^(١). ولما فتح عمير رأس العين سلك الخابور وما يليه حتى أتى قَرْقِيسِيَا وقد نقض أهلها، فصالحهم على مثل صلحهم الأول. ثم أتى حصون الفرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت عليه قَرْقِيسِيَا، ففتح ثمانية عانة والناووسة وآلوسة، وفي هيت وجد عمار بن ياسر رضي الله عنه وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة، وقد بعث جيشاً يستغزي المنطقة الكائنة شمالي الأنبار وعليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصاري، فانصرف عمير إلى الرقة^(٢).

وكتب عمير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامي ففتح عانة وسائر حصون الفرات، وأنه أراد من هناك من بني تغلب على الإسلام فأبوه وهموا بالحق بأرض الروم، وسأله رأيهم، فكتب إليه عمر يأمره أن يضاعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل سائنة وأرض، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة وقالوا: "أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج، فإننا نرضى ونحفظ ديننا"^(٣).

المقصد الثالث - الإنسان:

كان عمير زاهداً تقياً ورعاً، وكان بالإضافة إلى ذلك إدارياً حازماً وقائداً مقداماً، لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه معجباً بعمير أشد الإعجاب.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

كان عمر يسميه: "تسيح وحده"، لإعجابه به، وكان يقول عن عمير: "وددت أن لي رجالاً مثل عمير ابن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين"، وقال عمر يوماً لعبد الرحمن بن عمير: "ما كان بالشام أفضل من أبيك".

ولاه عمر الجزيرة فبنى المساجد في ديار مضر وديار ربيعة^(١)، ثم ولاه حمص بعد سعيد بن عامر ابن حذيم^{رضي الله عنه}، وكان عمر بن الخطاب^{رضي الله عنه} يشتد اغتباطه حين يرى عماله يتجردون لخير الرعية ويثني عليهم لذلك أعظم الثناء، فقد كتب إلى عمير وهو على حمص: "أقبل بما جَبَيْتَ من فيء المسلمين"، فلما أقبل عمير سأله عما صنع، فقال: "بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لآتيتك به" قال عمر: "فما جئتنا بشيء؟"، فلما أكد له أنه أنفق كل شيء على أهل حمص قال: "جددوا لعمير عهداً".

وعمر هذا هو الذي قال على منبر حمص: "لا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف أو ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل"، فليس عجيباً وهذا شعاره وتلك مزياه أن يتمنى عمر رجالاً أمثاله ليستعين بهم على أعمال المسلمين.

وكان على جانب عظيم من النزاهة، فقد كتب عمر بن الخطاب^{رضي الله عنه} إلى أهل حمص: "اكتبوا إليّ فقراءكم"، فكتبوا إليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعد وكان أميراً عليهم. فلما قرأ عمر اسمه قال: "من عمير بن سعد؟"، فقالوا أميرنا فقال: "أو فقير هو؟"، فقالوا: "ليس أهل بيت أفقر منه"، فقال عمر: "فأين عطاؤه؟" فقالوا: "يخرجه كله لا يمسك منه شيئاً" فوجه إليه عمر بمئة دينار، فأخرجها كلها إلى الفقراء، فقالت له امرأته: "لو كنت حبست لنا منها ديناراً واحداً"، فقال لها: "لو ذكّرتني فعلت". ومات عمر بن الخطاب^{رضي الله عنه} وعمير على حمص وقنّسرين، ثم مرض في إمارة عثمان

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

بن عفان ؓ فاستغفاه واستأذنه في الرجوع إلى أهله، فأذن له عثمان ؓ وضم عمله إلى معاوية بن أبي سفيان ؓ فمات عمير ؓ في أيام عثمان حوالي سنة إحدى وثلاثين هجرية، وقد استقال من منصبه بحمص خلال هذا العام لإصابته بمرض طال به، أي أن وفاته كانت سنة ٦٥١ م/٣٠ هـ، وقد سكن الشام ومات بها.

روى عن النبي ﷺ وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة، وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والزهّد والكفاءة العسكرية والإدارية، وكان ذكياً نابهاً رزيناً صادقاً وفيّاً كريماً مضيافاً. لقد كان نسيجاً وحده حقاً، كما كان يصفه عمر بن الخطاب ؓ^(١).

المقصد الرابع - القائد:

كان عمير شجاعاً مقداماً ومقاتلاً رهيباً، إذ لم تصده مناعة المنطقة التي يقاتل فيها ومناعة المدينة التي يحاصرها. والأسلحة الفتاكة المتفوقة التي كانت متيسرة لدى عدوه، كما لم تصده استماتة هذا العدو وعناده في الدفاع عن مدينته المحصنة المنيعة، لم يصدّه كل ذلك عن فتح تلك المدينة التي استعصى فتحها على القادة من قبله.

لقد كان صحيح القرار، يتحمل المسؤولية الكاملة، وكان يثق برجاله ويحبهم ويتقون به ويحبونه، وكان ذا شخصية قوية محبوبة وإرادة صلبة نافذة وحزم لا يعرف المداورة واللين، وكان ذا نفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، وكان يتحلّى بمزية سبق النظر وله ماض مشرف مجيد.

(١) خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٧٢-٤٧٤.

وكان يختار مقصده ويديمه، تسيطر عليه روح التعرض والمباغلة ويعمل على تحشيد قوته ويقتصد بالمجهود، وذلك باتخاذ تدابير الأمن لسلامة قواته وتأمين التعاون بينها وبين قوات المسلمين الأخرى وداخل صفوفها بالذات، لهذا كان يعمل على إدامة المعنويات وتهيئة كافة الأمور الإدارية لقواته. وتلك هي أهم مبادئ الحرب الخالدة التي طبقها عمير في حركاته العسكرية. لقد كان نسيج وحده في القيادة أيضاً.

المقصد الخامس - عمير في التاريخ:

يذكر التاريخ لعمير جهاده الطويل المشرف في سبيل عقيدته منذ استطاع حمل السلاح حتى توفاه الله. ويذكر إخلاصه الشديد لعقيدته لا يسكت عن يريدها بضرر أو شر حتى لو كان أقرب المقربين إليه وأكثر الناس فضلاً عليه.

ويُذكر له تفرغه للمصلحة العامة حقاً، فترك المال والقصور والحشم والخدم. رضي الله عن الصحابي الجليل، والإداري الحازم. والقائد الفاتح، الأمير الفقير، عمير بن سعد الأنصاري^(١).

(١) المرجع نفسه، ص ٤٧٤-٤٧٥.

المبحث الخامس - موقف أهل الجزيرة من الفتوحات

الإسلامية:

سارت الفتوحات الإسلامية ومنذ انطلاقتها الأولى على المبادئ والمنهج الذي رسمه الإسلام، وطبقه الرسول الكريم ﷺ وخلفاؤه من بعده في القول والسلوك، هذا المنهج المستند إلى قيم الإسلام جاء منسجماً مع جوهر الذات العربية الراضية للتسلط وللظلم والمقرونة بقيم الوفاء والأمانة والشهامة، وما كان لرسالة المسلمين أن يُكتب لها كل ذلك النجاح، وأن تمتد بهذا الانتشار الواسع في مشارق الأرض ومغاربها، لولا تلك القيم الأخلاقية النبيلة التي حملها المحررون المسلمون.

لقد خاطب الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه طلائع جنود التحرير المتوجهة نحو العراق والشام قائلاً: "أوصيكم بعشر، فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدّمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً فاذكروا اسم الله عليها، وتلقّون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفّوهم بالسيف خفّاء، اندفعوا باسم الله" (١).

لقد كان العرب المسلمون إذا أرادوا أن يدخلوا بلداً وجب عليهم أن يدعوا أهله إلى الدخول في الإسلام، فإن أسلموا كانوا وسائر المسلمين سواء، وإن لم يسلموا دعوهم إلى أن يسلموا بلادهم للمسلمين، ويبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية، فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم،

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٢٦. الصلابي، محمد علي، أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، دار المعرفة، بيروت، ط ٧، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٦٠-١٦١.

وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم، ولهذا يسمّون أهل الذمة، وإن لم يقبلوا الإسلام ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا^(١)، يقول غوستاف لوبون: "لقد عرف الخلفاء كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على الإسلام، وعرفوا كيف يجعلون حسن السياسة رائداً لهم، وقد ابتعدوا خلافاً لمزاعم الكثيرين عن إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون ديانات الشعوب وأعرافها وعاداتها مكتفين بأخذ الجزية مقابل حمايتهم، الجزية الزهيدة التي لم تكن مقارنة بما كانت تدفعه إلى الحكام السابقين من الضرائب شيئاً مذكوراً"^(٢).

بهذه القيم السامية تمسك القادة المسلمون حيثما حلوا، تعاملوا بها مع العرب وغير العرب، وقد تجلت أروع صور التعامل الإنساني في موقف العرب المسلمين من الأديان الأخرى، وخاصة النصرانية.

ومع أن الإسلام جاء ديناً مكماً وخاتماً لكل الأديان السماوية، إلا أنه وقف من الديانة النصرانية موقف الاحترام والود، وهذا الموقف نابع من جوهر العقيدة الإسلامية التي تحترم الأديان السابقة، وتؤمن بالأنبياء الذين جاؤوا قبل محمد ﷺ، وتعد ذلك شرطاً أساسياً لاكتمال إيمان المسلم، وكان شعارهم: لا إكراه في الدين^(٣).

فلا غرابة في أن نجد أن النصارى كانوا قد رحبوا بجيش الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية، وأنزلوا جنوده في البيع والديارات، وكانوا -خاصة رؤساءهم- قد عاضدوا المسلمين في أثناء حركة الفتوح في سورية والعراق والجزيرة، وقد أكدت ذلك المصادر السريانية الأولية، فضلاً على المصادر العربية.

(١) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ١٤٣.

(٣) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ١٢١-١٢٢.

فقد ذكر أن الجثاليق إيشوعياب الجدالي المتوفى سنة ٦٤٧م بعث برسالة إلى أحد أساقفة الفرس يقول فيها: "إن العرب الذين وهبهم الله الملك يحترمون الديانة النصرانية، والقساوسة والرهبان، ويحسنون إلى الكنائس والأديار"، وإن المفريان ماروثا المتوفى سنة ٦٣٩م فتح لجيوش المسلمين قلعة تكريت حقناً للدماء، ورحب بقدمهم، وفي نينوى استقبل (مار آمة) الجيوش الإسلامية، وساعدها وقدم لها المؤونة، حتى إن مواقفه تلك كانت سبباً في رجحان كفته على منافسيه ومع شيخوخته، فانتخبوه جاثليقا على كرسي المدائن سنة ٦٤٥م^(١).

لقد سارت عملية تحرير الجزيرة في تعاملها مع النصارى ومقدساتهم وفق هذا المنهج الذي حرص عياض بن غنم رحمه الله على التمسك به في كل مراحل الفتوحات.

ومع أن أكثر النصارى العرب ساندوا العرب المسلمين الفاتحين، إلا أن بعضهم كان قد وقف موقف المعارض، خاصة في بداية حركة الفتح، وربما وقف بعضهم متردداً، ولم يكن سبب ذلك الموقف حباً بالفرس أو بالروم، وإنما كان خوفاً من بطشهم وقسوتهم، وهم يمثلون أكبر قوتين في ذلك الوقت، ولأنهم تصوروا بادئ الأمر أن مجيء العرب إلى الجزيرة كان مجرد غارات بدوية للنهب والسلب، لكن موقفهم هذا تغير بعد أن انتصر الفاتحون المسلمون، واستقر بهم الحال في تلك المنطقة، ورأوا عظم الفارق بينهم وبين حكم الدولتين المستعمرتين الساسانية والرومية وتسلطهما، فرحبوا بهم، واطمأنوا لحكمهم.

وقد ظل قسم كبير من النصارى العرب على دينهم زمناً طويلاً، وبعضهم إلى يومنا هذا، ومنهم بنو تغلب الذين تمسكوا بديانتهم، ورفضوا دفع الجزية، وعدوا دفعها انتقاصاً من عروبتهم، ومساواتهم

(١) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٢٠.

بغير العرب، فصالحهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على موقف وسط^(١)، وهو أن يدفعوا ضعف صدقة المسلم، على ألا تسمى جزية.

موقف قبيلة تغلب العربية هذا يقابله موقف قومي لهم، يعبر عن حقيقة موقف القبائل العربية من الفتوحات وانتصارهم لها في مواجهة العدو الأجنبي، فعندما حشد الروم جيوشهم في الجزيرة لمواجهة المسلمين انتدب عياض بن غنم رضي الله عنه بني تغلب مع اختلافهم في الدين لنصرة إخوانهم العرب، فلبوا نداءه عن بكرة أبيهم، وحضروا لقتال الروم إلى جانب إخوانهم العرب المسلمين، يذكر الواقدي ذلك فيقول: "واتصلت الأخبار بعياض بن غنم رضي الله عنه، وهو بجانب الرقة، وهو يتروى فيمن يبدأ حربه بشهرياض - وهو الحاكم البيزنطي في الجزيرة، كان متحصناً في قلعة ماردين - وجنوده، أم بحرآن والرُّها؟، فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: أترك جيشاً تهياً واحتفل لقتالك وتمضي لسواه، والرأي أن تلقى هذا العدو، فإذا أنت هزمته وأوقعت الهيبة هناك فاقصد ماشئت من البلاد، فإنها تفتح إن شاء الله، فعول عياض على ذلك، وقد أنته عيونه، وأخبروه أنه قد تهياً لحربكم الملك شهرياض، وصاحب دارا، وصاحب جملين، وأرمانوس صاحب تل سماوى، وآجو صاحب البارعية، ورودس صاحب حرآن والرُّها، وصار عددهم مئتي ألف، وقد ضمنوا للملك لقاءكم، وقالوا: لا نلقى العدو إلا بأهلنا وأولادنا وأموالنا وحريمنا، حتى لا ينهزم منا أحد، وقد تقدم إليكم الأرمن وبعدهم الروم دون الفرات، فلما سمع عياض ذلك بعث الوليد بن عقبة رضي الله عنه، وأوصاه بما أراد إلى بني تغلب، وجمع أمراءهم، وقال: يافتيان العرب اعلموا أن من نظر في العواقب أمن من المعاطب، والصواب أن ترجعوا إلينا، وتكونوا من حزبنا، قال: فأجابوه جميعهم، إلا طائفة من قبيلة إياد، فإنهم ارتحلوا إلى بلاد الروم، ووصل عرب بني تغلب إلى جيش عياض رضي الله عنه، وقال لهم: يامعشر العرب، إن الله سبحانه وتعالى قد

(١) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ١٢٣.

أراد بكم خيراً بوصولكم إلينا"، إن هذا الموقف يعبر عن حالة من التضامن التي كانت سائدة بين عموم القبائل العربية في الجزيرة، وهي تقارع تسلط المحتلين من الفرس والروم^(١).



(١) الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، ص ١٢٣-١٢٤.

المبحث السادس - الأسباب والعوامل التي ساعدت على فتح

الجزيرة:

المطلب الأول - أسباب فتح الجزيرة:

المقصد الأول - الأسباب السياسية والاستراتيجية:

كانت الجزيرة الفراتية قبل فتحها خاضعة لسلطتي فارس وبيزنطة، ومن الصعب تحديد خط فاصل بين منطقة النفوذ الفارسي، ومنطقة نفوذ بيزنطة فيها بشكل دائم، لأن مساحة نفوذ كل دولة منهما كانت تتوقف على قوتها. ففي بداية القرن السابع الميلادي كانت عانة ونصيبين تشكل خط الحدود بين الدولتين، ويبدو أن الفرس بعد هزيمتهم على يد هرقل اضطروا إلى تقليص عدد قواتهم في الجزيرة وحصرها، في سنجار، أو أنهم سحبوا قواتهم من الجزيرة بسبب الاستعانة بها في معاركهم مع المسلمين في العراق، وخاصة بعد يوم القادسية.

حين بدأ المسلمون فتح الجزيرة، لم يكن للفرس وجود عسكري إلا في سنجار التي كانت فيها حامية فارسية، وضعت للدفاع عن سهل ماردين، ودارا. بينما سيطرت بيزنطة على بقية مدن الجزيرة. وجعلوا من الرُّها قاعدة لإدارتها^(١).

لا شك أن وضع الجزيرة الفراتية السياسي وخضوعها لإمبراطوريتين عظيمتين، كان يشكل خطورة كبرى على وضع الدولة الإسلامية التي بدأت تتوسع شرقاً وشمالاً، وأن الفتوح التي حققها المسلمون في بلاد الشام والعراق كان له تأثير كبير في التحرك لفتح الجزيرة لتأمين الحدود من جهة، ولأن

(١) المصدر نفسه، ص ٩٢.

أهلها كانوا أعواناً لجيش البيزنطيين في الشام، من جهة أخرى فقد استتفروهم إمبراطور بيزنطة للانضمام إلى جيوشه لمحاصرة حمص ضد المسلمين^(١)، ويذكر ابن حبيشي أن إمدادات الجزيرة لجيش بيزنطة المحاصرة لحمص قد بلغت ثلاثين ألف جندي وهذا يوضح حجم الإمدادات التي قدمتها الجزيرة لصد العرب الفاتحين، ومقدرة الجزيرة على تجنيد أعداد كبيرة من الجند وقد لفت هذا الوضع الخطير انتباه الفاتحين، ووجهوا اهتمامهم نحو الجزيرة الفراتية لأهميتها السياسية من ناحية، فهي قاعدة مشتركة لإمبراطوريتي فارس وبيزنطة. وأن بقاءها تحت سيطرتها سيعطي الفرصة لهما لمحاولة السيطرة من جديد على العراق والشام بعد أن تستجمعا قواهما لمواجهة الفاتحين المسلمين.

أما الناحية الأخرى، فمنطقة الجزيرة تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، فهي تتوسط في موقعها بين الشام والعراق وبلاد بيزنطة، وفتحها يكفل تأمين حدود بلاد الشام من الشمال والشرق، كما يؤمن العراق من الشمال والشمال الغربي، وفي نفس الوقت تكون قاعدة لانطلاق الجيوش إلى أراضي بيزنطة، وفوق كل ذلك فهي قاعدة لامتداد الفتوح الإسلامية تجاه أذربيجان من ناحية الشرق والشمال الشرقي.

إضافة إلى أهميتها العسكرية. والحقيقة أن المسلمين في جميع فتوحاتهم كانوا يسيرون على خطة تأمين الفتح، أي أن ذلك لم يكن شيئاً يخص منطقة الجزيرة فقط، ففتح الشام وفلسطين سهل فتح مصر، وفتح العراق سهل فتح الجزيرة، وأرمينية وأذربيجان وهكذا^(٢).

المقصد الثاني - الأسباب الاجتماعية:

قد تكون الأوضاع الاجتماعية التي كانت عليها منطقة الجزيرة أحد الأسباب التي أدت إلى فتحها. فمن المحتمل أن لموقف عرب الجزيرة، وعرب الشام من المسلمين الفاتحين - في اليرموك وحمص

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٧-٩.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٩٣.

وغيرهما- كبير الأثر في نفوسهم، خاصة حين وجدوهم يقاتلون في صفوف البيزنطيين، مما دفع إلى العمل على ضم أبناء جلدتهم إليهم وتحريرهم من نير البيزنطيين والفرس، وكسبهم إلى صفوفهم^(١).

ويوضح ذلك المحاورة التي جرت بين خالد بن الوليدؓ وبعض العرب المناهضين للفتوح، والتي جاء فيها: "ويحكم ما أنتم؟ أعرب؟ فما تتقمون من العرب أو من العجم؟ فما تتقمون من الإنصاف والعدل؟ فقال له زعيم قبيلة تغلب عدي بن عدي: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لما تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدي: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية...".

ويبدو أن عبارات خالد قد أثرت في هؤلاء العرب مما دفع بزعيمهم عدي إلى الانضمام وقومه تغلب ومعهم من حالفهم من النمر بن قاسط إلى العرب المسلمين مرددين عبارة: نقاتل مع قومنا، فصالحوهم على مئة وتسعين ألف دينار.

كما نجح الفاتحون في استمالة غيرهم من القبائل العربية التي استقرت في العراق، وفي حدود الجزيرة، وبقي بعضهم على نصرانيته مثل بني تغلب.

إلا أن هذا لم يقف حاجزاً بينهم وبين بقية العرب، ومن المرجح أن استجابة العرب لبني جلدتهم كان مرجعه رغبة هؤلاء العرب المنتصرة في التخلص من الظلم والتعسف اللذين كانا يلقيانه من أباطرة بيزنطة وأكاسرة فارس، وما شاهدوه من حسن معاملة المسلمين لأهالي البلدان المفتوحة، في الشام والعراق^(٢).

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٩٤-٩٥. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطابؓ، ص ٢١-٢٤.

المقصد الثالث - الأسباب الدينية:

وتتمثل هذه الأسباب في حركة الجهاد الاسلامي في سبيل الله، فقد خرجت الجيوش الإسلامية وراء تيار الجهاد وتحت لوائه لنشر الإسلام والجهاد في سبيل الله في الدرجة الأولى، وكانت عبارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين استنفر أهل مكة، والطائف، واليمن، وجميع العرب بنجد، والحجاز، تتضمن الجهاد في سبيل الله والترغيب فيه^(١). وتؤكد معاهدات الصلح التي كتبها المسلمون لأهالي المناطق المفتوحة أن غاية المسلمين من الفتوح هي نشر الإسلام، لأنه المطلب الأول، فإن لم يكن فالجزية لحمايتهم، لذلك يختلط المسلمون بغيرهم، ويبدو تسامحهم علناً، وقد يؤدي تسامح المسلمين مع رعاياهم إلى دخولهم في الإسلام. ثم إن الفاتحين كانوا يستميتون في الدفاع عن الإسلام، ولا يقبلون إلا بالنصر أو الشهادة التي كان يسعى إليها غالبيتهم. وقد أمدهم الإسلام بطاقة من الإيمان كانت عاملاً فعالاً في استمرار فتوحهم، وإحراز انتصارات تجاوزت كل تقدير.

وهكذا يمكن القول بأن الأسباب الدينية كانت من أقوى الدوافع التي دفعت بالمسلمين إلى الانضمام لحركة الفتوح التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية منذ الوهلة الأولى التي كتب فيها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب يستنفرهم للجهاد. فسارعوا إليه ما بين محتسب وطامع في الشهادة في سبيل الله. يحدهم الأمل في متابعة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية^(٢). وقد اتضحت نواياهم في نشر الإسلام من طريقة معاملتهم لأهالي البلاد المفتوحة، ظهر ذلك من معاهدات الصلح التي أبرمت بين الطرفين، وبناء المساجد في كل بلد يتم فتحه.

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥ وص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٥. أوزتورك، حركة الفتح الإسلامي لجنوب شرق الأناضول في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ١٥-١٩.

المطلب الثاني - العوامل التي سهلت على المسلمين فتح الجزيرة:

تذكر بعض المصادر أن الجزيرة الفراتية كانت أسهل البلدان أمراً وأيسرها فتحاً، على الرغم من بعض الصعوبات التي واجهتها جيوش المسلمين في بداية فتحها. ويمكن القول: إن فتح الجزيرة لم يشهد معارك دموية أو خسائر كبيرة في الأرواح، فيما عدا منطقة رأس العين التي استعصت في بادئ الأمر وأغلق أهلها أبوابها، ونصبوا العرّادات عليها، وتسببوا بقتل عدد من المسلمين بالحجارة والسهم، إلا أنها فُتحت صلحاً فيما بعد^(١). ويمكن أن نعزو سهولة فتح الجزيرة إلى عدة عوامل منها:

أ- انحصار أرض الجزيرة بين مناطق تابعة للعرب المسلمين في العراق والشام جعل فتحها ضرورة ملحة، لئلا تبقى منطقة خطر تهدد المسلمين في المناطق المجاورة، وتفصل منطقتين تابعتين للمسلمين عن بعضهما، ولذلك فإن المسلمين استعدوا لهذا الفتح استعداداً كبيراً أدى إلى سهولة فتحها.

ب- حسن معاملتهم لمن انضم إليهم أو دخل في ذمتهم، أو دان بدينهم.

ج- انسحاب القوات البيزنطية من منطقة الجزيرة بعد فتح الشام^(٢)، واعتناق الجند الفرس المرابطين في سنجار للإسلام بعد فتح الجزيرة مباشرة. جعلها خالية إلى حد ما من القوى العسكرية.

د- دخول بعض بطون القبائل العربية في هذه المناطق تحت سيطرة الفاتحين المسلمين بعد فتح الشام والعراق مما دفع ببقايا هذه القبائل القاطنة في منطقة الجزيرة إلى الإلتحاق بمن سبقها، ودخلوا تحت طاعة المسلمين. فقد شعروا بأن الفاتحين ليسوا أعداء وبالإمكان تقبل دخولهم إلى المنطقة،

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.

إضافة إلى أن الفاتحين المسلمين كانوا يرون ضم أبناء جلدتهم من العرب في المنطقة إليهم، وتحريرهم من نير البيزنطيين، فبعضهم استجاب لهذه الدعوة، وآخرون رفضوا الدخول في الإسلام، كما رفضوا دفع الجزية باسمها، لشعورهم بالأنفة والعزة، ولأنهم رأوا في دفع الجزية مذلة لهم^(١).

هـ- معاناة منطقة الجزيرة من الوضع السياسي قبل الإسلام بسبب وقوعها تحت سيطرة دولتين متصارعتين، نشبت بينهما حروب طاحنة أدت إلى خراب أراضيها، ووجدوا في المسلمين المنقذ لهم من تلك الصراعات، مما دفعهم إلى عدم المقاومة، والقبول بعقد الصلح مع المسلمين^(٢).

وخلاصة لما سبق ذكره نستنتج بأن فتح الجزيرة الفراتية قد حدث في الوقت الذي كان سكانها يعانون من الضغوط النفسية، والاضطرابات الاجتماعية التي سببها لهم أباطرة بيزنطة وأكاسرة فارس. فكان هؤلاء الفاتحون المنقذ لهم من الظلم والطغيان اللذين خيما على الجزيرة الفراتية.

وقد كانت أسباب متنوعة سياسية واجتماعية ودينية أدت إلى قيام المسلمين بالفتح، وكانت الأسباب الدينية من أقوى الأسباب التي دفعت بجيوش المسلمين نحو الجزيرة الفراتية لفتحها، استمراراً لحركة الفتوح التي خرجت لنشر الرسالة الإسلامية في أرجاء العالم.

ولا شك بأن هذه الأسباب قد دعمتها عوامل أخرى سهلت على المسلمين عملية فتح الجزيرة، منها رغبة سكان الجزيرة في التخلص من ظلم بيزنطة، بعد أن بلغهم عدل الفاتحين المسلمين من جيرانهم في الشام والعراق، فانضم بعض أهالي الجزيرة وخاصة عربها، إلى إخوانهم المسلمين، فكانوا يعملون كمرشدين للجيش الإسلامي، وعيوناً لهم على بيزنطة، ولما دخل جيش المسلمين إلى الجزيرة، فرضوا على أهلها الذين لم يدخلوا الإسلام الجزية، والخراج.

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٩٨.

رافق جيش فتح الجزيرة العديد من أبناء القبائل بمختلف بطونها، فاستقرَّ معظم من رافق الجيش بأرض الجزيرة في مناطق نائية عن المدن والقرى، وفي الخطط التي أنشئت في بعض مدنها، مثل رأس العين، وفي المدن التي مصرت كالموصل، والحديثة فأصبحت مستقرّاً لهم، فسكن بعضهم في مناطق حددتها لهم الخلافة، والتحق آخرون بقبائلهم، واستقروا حيث كان أسلافهم، كما تملك بعضهم إقطاعات من الأراضي التي لم يكن يملكها أحد، فنزلوا بها، واتخذت الخلافة الإسلامية في إقرارها للقبائل العربية في المناطق، سياسة تجنّب احتكاك القبائل ببعضها، لئلا تحدث منازعات في المنطقة، مع ذلك فإن هذه الإجراءات لم تستطع القضاء على تداخل مساكن القبائل، والتي أدت إلى الكثير من المعارك بين القبائل وخاصة في العصر الأموي.

المبحث السابع - الثغور الجزرية:

المطلب الأول - الثغور الجزرية:

كانت المشاركات السابقة لأهالي الجزيرة في الغزو والجهاد تمثل مشاركتهم في الحملات الدورية سواء كانت حولية أو فصلية. أما مشاركتهم التي ستذكر في هذا الموضع، فهي تمثل مشاركتهم الدائمة والمستمرة، وهي ما تسمى بـ المراقبة في الثغور أي الاستقرار فيها من أجل مجاهدة الأعداء وحماية الأراضي الإسلامية. وقبل الدخول في تفاصيل تلك المشاركة وبيانها تجدر الإشارة إلى بيان لفظة (الثغور) ونشأتها ومهمتها في الدولة الإسلامية.

المقصد الأول - تعريف الثغور:

الثغور: جمع ثغر. ويراد به في اللغة عدة معان، منها ما تقدم من الأسنان، والثلمة في الشيء، وموضع المخافة من فروج البلدان^(١).

وأما المقصود به في الاصطلاح فهو كل موضع يكون قريباً من أرض العدو في بطن واد أو فرجة جبل، يربط فيه جنود المسلمين للجهاد في سبيل الله ولرصد تحركات العدو وإدخال الرعب في قلوبهم^(٢).

ويسمى من يسكن هذه الثغور ويقيم فيها بالمرابطين كما يطلق على الثغور الرُّبَط جمع رباط. فيروي المقرئ في هذا الصدد بقوله: والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ١٠٣.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٠٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩.

الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً وربما سميت الخيل نفسها رباطاً. وأما عن نشأة الثغور في الإسلام فإنها كانت مبكرة، إذ إن الله جلت قدرته قد حث المسلمين على الإعداد والاستعداد للعدو فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(١). فمن معاني رباط الخيل هنا: الخيل المربوطة في سبيل الله والموقوفة على الجهاد في سبيل الله، وقد ورد هذا المعنى في أحاديث عن رسول الله ﷺ منها قوله ﷺ: "من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة"^(٢). وقد ذكر فخر الدين الرازي أن الحكمة من إعداد القوة واحتباس الخيل ووقفها في سبيل الله هو إرهاب العدو وتخويفه وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ في الحث على المراقبة ولزوم الثغور، منها قوله: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها"^(٣).

ولم يقتصر الرسول ﷺ على هذا النوع من الحث، بل لفت نظر أصحابه إلى مناطق الثغور وامتدح أهلها، وذلك فيما روي عنه أنه قال: "أهل الشام وأزواجهم وذرايعهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن نزل منها مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل ثغراً من الثغور فهو في جهاد"^(٤).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م، كتاب الجهاد، باب ٤٥، حديث رقم ٢٨٥٣، ص ٧٠٥.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الجهاد، باب ٧٣، حديث رقم ٢٨٩٢، ص ٧١٣.

(٤) ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (فضائل الشام)، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٢٢٧. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٨٢.

اهتمت الخلافة الراشدة بالشغور المتاخمة لحدود البيزنطيين عموماً، بسبب موقعها الجغرافي، وقاموا بتحصينها، وترتيب حاميات للمرابطة فيها، لتتمكن من الوقوف في وجه البيزنطيين وصد غاراتهم، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدأ يخطط لوضع نظام دقيق لمواجهة استعدادات العدو، وصد عدوانه عن حدود المسلمين. وتابع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعده هذه المهمة، ولم ينته الاهتمام بالشغور في عهد الراشدين، بل مضى خلفاء بني أمية كأسلافهم، فعملوا على تحصين الشغور، وشحنها بالجند، كما تابعوا العناية بمدن السواحل وتحصينها.

والواقع أن مناطق الشغور في عهد الراشدين لم تأخذ شكلاً نهائياً في تعمير الشغور بالحصون والجنود، وما يلزم لذلك، إلا أنها مرت بمراحل كان لها أثرها في نقل حالة الشغور إلى مراحل متطورة. فقد كانت الحملات تجتاز الحدود مع الروم لكنها لا تلبث أن تعود إلى أرض الإسلام بعد أن تحقق الصلح بين المدن وأهالي الحصون على الحدود، أو بعد أن تحقق بعض الانتصار على ما تلتقي به من جنود الروم.

وفي أثناء عودة تلك الحملات يقوم الجنود بتهديم ما يمرون عليه من حصون حتى لا ينتفع بها العدو. ثم خطا قادة تلك الحملات الإسلامية خطوة أخرى وذلك أنهم إذا دخلوا بلاد الروم خلّفوا وراءهم في تلك الحصون التي يمرون عليها جنداً كثيفاً كي يحمي ظهر المسلمين حتى يتم خروجهم من أرض الروم.

ولعل من أوائل من سلك هذه الطريقة في تلك المناطق معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. ذلك أنه حين غزا عمورية سنة خمس وعشرين هجرية، ووجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية فأوقف عندها

جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنّسرين حتى انصرف عن غزاته، ثم بعث معاوية بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسي على صائفة، وأمره أن يفعل مثل ما فعل^(١).

وبعد قيام الدولة الأموية تتابعت الحملات في الصيف والشتاء، وقد أدى انتظام هذه الحملات إلى الشعور بالحاجة إلى إيجاد مراكز عسكرية ثابتة في مناطق الحدود تكون مرتكزاً لتلك الحملات الدورية، ومداداً لها إذ أصبح قادة الدول يرون أن مجرد بعث الحملات لمناوشة العدو، وتخريب الحصون التي بينهم أمر غير كاف لإحراز نصر مؤزر وثابت مع الروم، بل لا بد من الانتقال إلى مرحلة مدّ النفوذ والسيطرة على مواقع الحصون المُنطة على أرض العدو وشحنها بالجند بعد تحصينها. ولهذا كان أمر الثغور موضع اهتمام خلفاء بني أمية جميعاً فبدلوا جهوداً كبيرة لتحقيق كل ما من شأنه أن يجعل إقليم الثغور قادراً على القيام بمهمة التصدي والدفاع عن أراضي المسلمين أولاً، والفتح والغزو ثانياً.

ومن أبرز مظاهر اهتمام الخلفاء بأمر الثغور حرصهم على اختيار القادة والولاة من أصحاب القدرة والصلاح لتولي أمر شؤون الثغور.

ومن هذه المظاهر أيضاً قيامهم بتحصين الثغور ومتابعة شحنها بالجند، وزيادة مرتبات الجنود المرابطين بتلك الثغور ومنحهم الأراضي الزراعية تشجيعاً لهم. ففي عهد معاوية تم تعمير مدينة مرعش وشحنها بالجند^(٢).

وعندما فتح عبدالله بن عبد الملك طرندة^(١) سنة ثلاث وثمانين أسكن فيها مجموعة من العرب المسلمين وأقطعهم المساكن، كما أقطع مسلمة بن عبد الملك الأراضي الزراعية لقبيلة ربيعة^(٢).

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٥-٢٤٦.

المقصد الثاني - تحديد الثغور الجزرية ومهمتها:

ذكر بعض الجغرافيين العرب خط الثغور الإسلامية بوجه عام على أنه الخط الذي يمر بحدود الدولة الإسلامية مع جيرانها في الشرق والغرب. فيذكر ابن رسته أن هذا الخط يبتدئ من الشرق فيمر ببلاد التبت ثم على خراسان، وسر من رأى، والموصل، و نصيبين، وآمد، ورأس العين، وشمشاط والرقّة وقرقيسيا، ويمر على الشمال، ففيه من المدن بالس، ومنبج وسُميساط وملطية وزبطرة، وحلب وقنسرين وأنطاكية وطرابلس والمصيصة والكنيسة السوداء وأذنة وطرسوس وعمورية واللاذقية، ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرص ورودس ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجة وينتهي إلى بحر المغرب^(٣). وإذا كان هناك استدراك على تحديد ابن رسته هذا فإنه يستدرك عليه أمران:

الأول: أن بعض المدن التي ذكر ليست في الحقيقة ثغوراً وإنما هي عواصم كانت تمتد الثغور بالجنود والعتاد.

الثاني: أنه لم يستمر في ذكر الثغور الأندلسية في شمال الأندلس إذ هي من حدود الدولة الإسلامية.

وعلى كل فإن لفظة الثغور تكاد تنصرف إذا أطلقت على مناطق الحدود بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية، والتي تمتد على شكل شريط طويل من القلاع، ويبتدئ هذا الخط من ملطية على الفرات الأعلى إلى طرطوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط.

(١) طرندة: مدينة تبعد عن ملاطية ثلاث مراحل وهي تقع في بلاد الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ط ١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣١٧-٣١٨.

(٣) ينظر ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ٩٧-٩٨.

وينقسم خط هذه القلاع إلى مجموعتين:

إحدهما: تسمى بـ الثغور الجزرية، وهي تمثل الجزء الشمالي الشرقي من هذا الخط، وأهم ثغور هذا القسم: ملطية وزبطرة وحصن منصور والحدث ومرعش وشِمَشَاط...

والثانية: تسمى بـ الثغور الشامية، وهي تمثل الجزء الجنوبي الغربي، وأهم ثغور هذا القسم "المصيصة، عين زربة، أذنة، طرطوس، هرقل، الهارونية، ونقابس، والكنيسة(١)" ويفصل بين المجموعتين فاصل طبيعي هو جبل اللكام(٢).

وما يهمنا دراسته هنا هو مجموعة الثغور الجزرية من حيث تسميتها وذكرها، والمهام المنوطة بها، واهتمام خلفاء بني أمية بها، وما قدمته تلك الثغور من خدمة للإسلام والمسلمين وغير ذلك مما تجدر دراسته ويحسن التنويه إليه.

والعامل الأول في نسبة هذه الثغور إلى الجزيرة الفراتية يعود إلى كون أهل الجزيرة يربطون بها ويعزون منها لقربها منهم. وخلاصة القول: إن أهم الثغور الجزرية وحصونها هي:

أ- ثغر شِمَشَاط: وهو على وادي الفرات الشمالي وقد رابط أهل الجزيرة في هذا الثغر لأهميته واستراتيجية موقعه(٣).

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧١-١٧٢. ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١٠٧. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦١.

(٢) جبل اللكام: هو جبل داخل في بلاد الروم ويظهر في بلاد الإسلام بين مرعش والهارونية وبين عين زربو ويسمى جبل اللكام، إلى أن يجاوز اللاذقية فيسمى جبل بهراء، ثم تتوخ وحمص فيسمى جبل لبنان ويمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم (البحر الأحمر). الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٤٤-٢٤٨.

(٣) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٩.

ب- ثغر ملطية: وهي من أهم الثغور الجزرية المواجهة لبيزنطة^(١). قال عنها قدامة بن جعفر: "و ثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة وأرض واحدة. وكان يواجه هذه الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنة". وتقع ملطية على مفترق طرق وأودية، فكانت أشبه بمفتاح للدخول إلى بيزنطة. وهي تسيطر على الدرب الذي يعرف باسمها درب ملطية، وهي ثغرة جيوش المسلمين إلى بيزنطة ومن ثم إلى الجزيرة الفراتية^(٢). وتتضح أهمية ملطية من كثرة تداولها بين المسلمين والبيزنطيين، واهتمام المسلمين بتحصينها وشحنها بالمرابطين^(٣).

ج- زبطرة: وهي عند البيزنطيين. وتقع في جنوب غرب ملطية، بينها وبين سُميساط^(٤).

د- سُميساط: تقع غربي الفرات من جهتها الشمالية، وهي من الثغور الحصينة. تعرف بقلعة الطين. تداولها البيزنطيون والمسلمون^(٥).

هـ- قلعة الحدث: وهي قلعة حصينة، سميت في العصر الأموي بدرب السلامة^(٦). تقع بين ملطية و سُميساط ومرعش^(٧).

و- قلعة بهسنا: وهي قلعة عظيمة وحصينة تقع على أحد روافد نهر الفرات الذي يصب جنوب سُميساط^(٨).

(١) الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٧٥.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٠-١٩٢.

(٤) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣٤. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦١.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٢.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٧.

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٦. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ

حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١، ص ٣٢٦.

ز- ثغر كيسوم: من أعمال سُميسَاط في جنوب بهسنا على نهر كيسوم، تبعد ثلاثين ميلاً عن الحدث، وسُميسَاط، وملطية، وزيطرة، ومرعش، وغيرها^(١)، وهي على الطريق المتوجه من الرقة إلى الثغور.

ح- حصن طرندة: يقع غربي ملطية ويعتبر من أقوى الحصون^(٢)، نزلهُ المسلمون سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، بعد خراب ملطية على يد البيزنطيين^(٣).

ط- حصن كركر: ويقع بين سُميسَاط وحصن زياد إلى ناحية الشمال^(٤).

ي- حصن منصور: ويقع ما بين سُميسَاط ومرعش، وكان عبارة عن مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران، وقد خربه البيزنطيون، ويذكر البلاذري أن الذي بناه منصور بن جعونة على عهد مروان بن محمد^(٥). وهناك ثغور وحصون أخرى في منطقة الجزيرة نذكر منها:

ك- قلعة كمخ: وتقع على الضفة الجنوبية الغربية لنهر الفرات

ل- ثغر مَيَّافَارِقِينَ وثغر الرُّها وثغر بلد وحصن آمِدْ وحصن دارا، وغيرها...^(٦).

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٩.

(٣) الإصطخري، الأقاليم، ص ٤٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٤، ص ١٢٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٠.

(٦) لسترنج، بلدن الخلافة الشرقية، ص ١٥١.

وتقابل الثغور الجزرية تحصينات دفاعية أقامتها بيزنطة، وكان الهدف من هذه التحصينات إقامة منطقة عسكرية حاجزة غير أهلة بالسكان المدنيين بين إقليم بيزنطة والأراضي الإسلامية. تتمركز فيها الفرق العسكرية.

وعلى أي حال فإن هذه الثغور ارتبطت بالجزيرة في تسميتها وواقعها الحربي والسكاني، وصار ذلك أمراً معتبراً عند جميع الجغرافيين والكتاب في مصادرهم القديمة والحديثة. مما يجعل هذه الثغور والحديث عنها جزءاً لا يتجزأ من الحديث عن الجزيرة الفراتية. وهذا ما نراه واضحاً في كتب الفتوح والوصف إذ يردفون بالحديث عن الجزيرة الحديث عن ثغورها^(١). ومما هو جدير بالذكر أن مرابطة أهل الجزيرة، تعدت المرابطة في الثغور الجزرية، فقد وردت إشارة إلى مرابطتهم في ثغر مرعش المقام في موضع جرمانيقية، وهو من الثغور الشامية^(٢).

المطلب الثاني - أثر الجزيرة الفراتية في حركة الجهاد والغزو:

منذ أن تم فتح الجزيرة الفراتية وهي تضطلع بمهمة الدفاع عن شريط مهم في حدود الدولة الإسلامية. فما كاد أمر الفتح يستقر بها حتى غدت أرضها منطلقاً لجيوش الغزو الخارجي، وغدا أهلها بالإضافة إلى أهل الشام يشكلون السواد الأعظم لتلك الجيوش والمرابطة أمام الأعداء. وإذا كان الشام يعتبر الدرع الذي بقي مركز الخلافة من ضربات الروم وهجماتهم، فإن الجزيرة وثغورها تعتبر الدرع الذي بقي الجزيرة والعراق من هجمات الروم والخزر، ولكي ندرك المكانة الكبيرة التي احتلتها الجزيرة والمهمة التي تحمّلها أهلها في أمر الغزو والجهاد، تجدر الإشارة ولو بقدر مختصر

(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٢٣٥.

إلى الأطراف التي خاضت معها الجيوش الإسلامية سلسلة من الحروب التي لا تهدأ أو تنقطع آنذاك.

فالروم البيزنطيون منذ أن فتح المسلمون الشام وأرمينيا وحصوناً من آسيا الصغرى وهم في كل لحظة يراقبون عن كثب ما يجري داخل الدولة الإسلامية. فإذا ما رأوا ضعفاً، أو انشغالاً من خلفاء الدولة الإسلامية أو جيوشها عمدوا إلى الهجوم على الحصون والتغور الإسلامية القريبة من حدودهم، بل ربما توغلوا بجيوشهم داخل الأراضي الإسلامية.

يضاف إلى ذلك أن أباطرتهم حاولوا كسب مجموعة من القبائل لتوظيفها على حدود الدولة مع المسلمين للقيام بعملية التجسس على الدولة الإسلامية، وإثارة الشغب والفوضى على حدود وأراضي الدولة الإسلامية كلما أُتيحت لهم الفرصة^(١).

أما الطرف الثاني فهم الخزر. والخزر شعب من البلغار ينحدر من أصل تركي^(٢). نشأت لهم دولة كبيرة على أنقاض مملكة البدو التركية في القرن السادس الميلادي.

وقد شغلت دولتهم موقعاً رئيساً مهماً إذ شملت الأراضي الواقعة بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا وشمال جبال القوقاز، وبحر أزوف " Azov ". وكانت مملكة الخزر هذه حليفاً للإمبراطورية البيزنطية في حروبها مع فارس قبل مجيء الإسلام^(٣) وبعد انتشار الفتوحات الإسلامية والقضاء على دولة فارس أصبحت دولة الخزر تشكل القوة الثالثة في العالم آنذاك بعد قوة الدولة الإسلامية ودولة البيزنطيين.

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢١٨-٢١٩.

(٢) كيستر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٢١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣١.

وجاء اشتباك الجيوش الإسلامية الفاتحة مع الخزر نتيجة طبيعية لاستقرار الفتح الإسلامي في العراق، والجزيرة، والشام، وتقدمه نحو أرمينية. إذ أصبحت القوتان متجاورتين مما أدى إلى اشتباكهما في سلسلة من المعارك استمرت أكثر من مئة سنة^(١).

ومما يزيد في ضراوة حروب المسلمين مع كل من الخزر والروم تحالفهما في كثير من الأحيان ضد الدولة الإسلامية. ولعل من أبرز مظاهر ذلك التحالف وجود علاقات مصاهرة بين أفراد الأسرة الحاكمة لكل من دولتي الخزر والروم^(٢).

وقد كان للجزيرة الفراتية مكانة كبيرة، وأثر واضح في المشاركة في تلك الحروب الطويلة التي خاضتها جيوش المسلمين مع كل من الخزر والروم، وحين نتتبع أحداث هذه الحروب مع كل دولة على حدة سنجد أثر الجزيرة الفراتية وأهلها في تلك الحروب واضحاً جلياً.

من خلال ما تقدم من ذكر الحملات الدورية صيفاً وشتاءً الموجهة للخزر أو للروم على السواء، ومن خلال التعريف السابق بمراكز الرباط والمرابطة، ندرك الأثر الكبير الذي قامت به الجزيرة الفراتية في بناء كيان الدولة الإسلامية والدود عن حدودها وحماية أجزاء كبيرة في الدولة الإسلامية من هجمات العدو.

وبالإضافة إلى هذه الجهود الكبيرة التي قدمتها الجزيرة وأهلها إلى الدولة الإسلامية فإنها تأثرت بهذا الغزو الخارجي والمرابطة في سبيل الله في أوضاعها الداخلية في مناح عدة.

أ- ففي النواحي السياسية: كان لمشاركة أعداد ضخمة في حملات الجهاد الحولية، وبقاء كثير منهم في الثغور مرابطاً ومجاهداً، كان لذلك أثر كبير على الأوضاع السياسية والقضاء على الحروب

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٦٧.

الداخلية والصراعات الأهلية في الجزيرة، إذ انشغل الناس بالجهاد وقاتل أبناء القبائل جنباً إلى جنب في صفوف الجهاد فأ مات ذلك ما تبقى من حقد ومشاحنات ترسبت في النفوس نتيجة لقيام الحروب العصبية حيناً من الزمن بين تلك القبائل^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أتاحت مشاركة قبائل الجزيرة الفراتية في حركة الجهاد والغزو الفرصة لبعض هذه القبائل لتتبوأ مكانة كبيرة عند قادة حملات الجهاد، الذين غالباً ما يكونون من أفراد البيت الأموي، وقد أدت هذه الصلة بين قبائل الجزيرة وبين هؤلاء القادة الأمراء إلى مكاسب سياسية لتلك القبائل فنجد أن الصلة بين قبائل قيس وبين مروان بن محمد توثقت في ميدان تلك الحروب واستمرت إلى أن صاروا سنده وعماده حتى تمكن من الوصول إلى الخلافة، ومن ثم نقل مركز الخلافة إلى بلادهم الجزيرة، ونالوا من المكانة السياسية عنده ما لم يكن لغيرهم.

كما أن مناطق الثغور الجزرية أصبحت بمثابة مدرسة عسكرية تدرب فيها أبناء الجزيرة فنون القتال وأساليب الشجاعة.

ب- وفي الجانب الاجتماعي: كان لمشاركة أهالي الجزيرة في الحملات والمرابطة في الثغور أثر بالغ، وذلك أن القبائل اختلط بعضهم مع بعض في ميادين الحرب ومراكز الرباط، ولم يقتصر هذا الاختلاط بين القبائل العربية بعضها مع بعض. بل تم ذلك بينها وبين قبائل أخرى أعجمية مثل الجراجمة وقبائل الزط الهندية. ومما لاشك فيه أن يحدث عن هذا الاحتكاك تأثير وتأثير بين تلك القبائل والأجناس سواء في مجالات التقاليد والأعراف، أو في مجال الحرف والصناعات أو في المجال الثقافي والديني^(٢).

(١) المرجع نفسه، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٦٧-٢٦٨.

ج- ومن الناحية الاقتصادية: فإن لمشاركة الأهالي في تلك الحملات مردوداً اقتصادياً على سكان الجزيرة. فبالرغم من أن التجهيز لتلك المشاركة يقتضي صرف مبالغ من المال، إلا أن ما ينالونه من الغنائم الكبيرة سيعوض ما تم صرفه . ففي بعض المعارك والفتوح تقدر الغنائم بأعداد ضخمة وهائلة. فمثلاً استطاع الجيش الذي انطلق بقيادة مسلمة بن عبد الملك لمحاربة الروم سنة أربع وسبعين أن يحقق غنائم كبيرة في حروبه، وكان والي الجزيرة وجندها على ميمنة هذا الجيش. فبلغت غنائم معركة من معارك هذا الجيش مئة وثمانين ألف مثقال من الذهب والفضة سوى الدواب والأمتعة والرقيق، وفي معركة أخرى له بلغت الغنائم مليوناً وثلاثمائة ألف مثقال من الذهب والفضة والأمتعة والدواب والرقيق وفي وقعة أخرى لهذا الجيش بلغت الغنائم مئتي ألف مثقال من الذهب والفضة سوى الأمتعة والدواب والرقيق. وتعطينا هذه الأرقام صورة واضحة عما يحصل عليه المسلمون في حروبهم مع الروم والخزر من مكاسب مادية. وكما يلاحظ فإن ما غنموه من أنواع أخرى سيكون له أثر في الحركة الاقتصادية في أسواق الجزيرة. فسنجد في تلك الأسواق توفر الخيول بها والدواب والرقيق وسينعكس ذلك على الحياة الاجتماعية من توفر الرقيق والخدم في البيوت وأماكن العمل^(١).

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٦٩.

الفصل الثالث

الأوضاع السياسية والفكرية للجزيرة الفراتية في العديد من الحقب

المبحث الأول: الجزيرة الفراتية في العصر الأموي.

المبحث الثاني: الجزيرة الفراتية في العصر العباسي.

المبحث الثالث: الجزيرة الفراتية في زمن الحمدانيين.

المبحث الرابع: الجزيرة الفراتية بين البويهيين والدولة
الدوستكية الكردية.

المبحث الخامس: الجزيرة الفراتية في العصر السلجوقي.

المبحث السادس: سيطرة المغول على الجزيرة الفراتية.

المبحث السابع: الحركة العلمية والفكرية.

المبحث الأول - الجزيرة الفراتية العليا في العصر الأموي:

المطلب الأول - الوضع السياسي قبيل قيام الدولة الأموية:

بعد أن تمت البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام شرع في مزاولة مهام الخلافة، وكان أول ما قام به هو توجيهه العمال إلى أقاليم الدولة الإسلامية، وذلك ليملك بهؤلاء زمام الدولة في أقاليمها المختلفة، وحينما وجه عماله إلى الأقاليم، وفرقهم على الأمصار، لم يرسل والياً خاصاً لإقليم الجزيرة الفراتية، وهذا يرجع إلى أنها كانت في إدارتها تابعة لوالي الشام منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان عليه السلام، حين جمع الشام والجزيرة لمعاوية بن أبي سفيان عليه السلام، فسار علي عليه السلام على هذا النهج؛ فأرسل والياً من قبله لإدارة الشام والجزيرة معاً^(١). ولما سار والي علي عليه السلام إلى الشام ليزاول عمله لم يتمكن من دخولها حيث منعه من ذلك أهلها، واستمر حكم معاوية عليه السلام على الشام والجزيرة^(٢). وبعد مسير علي عليه السلام إلى العراق، واستقرار أمره في الكوفة بعد موقعة الجمل؛ وجه اهتمامه إلى ضم الشام، وكانت أولى خطواته فصل إقليم الجزيرة من تبعيته لإقليم الشام، وضمه إلى إقليم الخلافة في العراق. واختار علي عليه السلام أحد رجاله المشهورين (الأشتر النخعي)^(٣) ليكون عامله على مجموعة مدن الجزيرة

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣١٦.

(٢) التميمي، سيف بن عمر الأسدي، الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط ٧، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ١٠٠.

(٣) الأشتر النخعي: هو مالك بن الحارث النخعي المعروف بـ"الأشتر" كوفي تابعي، شهد اليرموك، وهو من أصحاب علي عليه السلام وشهد معه حروبه كلها، ولاء مصر ومات قبل أن يدخلها سنة سبع وثلاثين للهجرة. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ١٣١٢.

هي: الموصل، ونصيبين، ودارا، وسنجان، و آمد، وميافارقين، وهيت. بالإضافة إلى ما غلب عليه من أرض الجزيرة^(١).

وإذ كان لإقليم الجزيرة الفراتية أهمية بالغة، ومكانة كبيرة في سياسة علي^{عليه السلام} فإن هذه المكانة لم تقل عنها في سياسة معاوية^{عليه السلام} أيضاً. وكما أرسل علي^{عليه السلام} أكبر رجاله ليكون والياً على الجزيرة، فإن معاوية^{عليه السلام} كان قد ولى عليها رجلاً من أكبر رجاله^(٢) وهو (الضحاك بن قيس الفهري)^(٣).

من خلال ما سبق نستطيع القول أن الجزيرة الفراتية انشطرت في إدارتها إلى شطرين: شطر دخل تحت نفوذ علي بن أبي طالب^{عليه السلام} وشر آخر بقي تحت إمرة معاوية^{عليه السلام} أي أن الجزء الشرقي للجزيرة، والشامي منه، ما يسمى بـ "ديار بكر" وكذلك بعضاً من الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة الفراتية كان تحت نفوذ علي^{عليه السلام}. وأما معاوية^{عليه السلام} فكان نصيبه الجزء الغربي خاصة شماله وهو ما يسمى "بديار مضر" أما "ديار ربيعة" فقد انشطرت هي الأخرى بين القوتين.

وحسب توجيهات الخليفة علي^{عليه السلام} ذهب واليه الأشر ليضم إليه ما تبقى من أجزاء الجزيرة الواقعة تحت نفوذ معاوية^{عليه السلام}، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك، فإنه حينما سار إلى الضحاك في مركزه حرّان التقى به وبمدده من أهل الرقة وعليهم (سماك بن مخزومة الأسدي)^(٤) بموضع يقال له مرج مرينا. وهو موضع بين حرّان والرقة. ودار بينه وبينهم قتال شديد، اضطر معه الضحاك أن يتراجع إلى

(١) ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٠٠.

(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، ص ١٥٤.

(٣) الضحاك بن قيس الفهري: كانت له صحبة، مات النبي^{صلى الله عليه وسلم} وهو غلام يافع، وكان الضحاك مع معاوية بدمشق، وولاه معاوية الكوفة ثم عزله وولاه دمشق. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٧١٠.

(٤) سماك بن مخزومة: له صحبة قدم على عمر في وفود أهل الكوفة، وكان مقيماً بها حتى قدمها علي^{عليه السلام} فهرب منها إلى الرقة ومات بها. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ص ٦١٣.

حرّان، فتبعه الأشر فحاصره بها، فلما بلغ الخبر معاوية ؓ أمده بخيل عليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد رضي الله عنهما، مما أضطر الأشر إلى الانسحاب عائداً إلى الموصل، وفي طريقه مر على أهل الرقة فتحرّزوا منه، ثم مضى ومرّ على أهل قرقيسيا فتحرّزوا منه واكتفى بالبقاء في الموصل لمقاتلة من يقدم عليه من قبل معاوية ؓ^(١).

بعد ذلك استطاع علي بن أبي طالب ؓ أن يضم إليه بعض القبائل في الجزيرة، وأن يجعلها تقف إلى جانبه. فحينما دخل أرض الجزيرة استقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط، وضمهم إلى جيشه كما استطاع أن يكسب ودّ بعض القبائل أيضاً. وقد ترتب على ذلك إسهام تلك القبائل في تسهيل عملية المرور لجيوش علي ؓ ذهاباً وإياباً، كما نجح علي ؓ في الحصول على ولاء بعض المدن التي مرت بها جيوشه، مثل الموصل، ونصيبين، ورأس العين، إضافة إلى من دخل في طاعته من أعراب الجزيرة. وفي المقابل فإن بعض مدن وقبائل الجزيرة وقفت موقفاً سلبياً من علي ؓ، وحدث صدام بينها وبين بعض جيوشه وذلك مثل عانة^(٢)، فإنه عندما وصلت مقدمة جيش علي ؓ إليها وأرادوا العبور إلى الشاطئ الشرقي للفرات حتى يتمكنوا من اللحاق بالجيش مع علي ؓ منعهم أهل عانة، وحبسوا السفن حتى لا يعبروا عليها^(٣). هذه حال الجزيرة قبل موقعة صفين، أما بعدها فإنها لم تكن بأحسن منها قبل الموقعة. ذلك أنه كما شهدت أرضها عبور جيوش علي بن أبي طالب ؓ فقد كانت نقطة التقاء الطرفين. حيث دارت فيها رحى الحرب بينهما، وهذا يعني أن الأنظار في جميع أجزاء الخلافة الإسلامية كانت متجهة إلى تلك المنطقة وما يدور فيها من أحداث. ونظراً لأن موقعة صفين لم تكن حاسمة في القضاء على الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، إذ

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٤.

(٢) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت وهي مدينة عراقية في محافظة الأنبار تقع على ضفة نهر الفرات وتبعد نحو

٢١٢ كيلومتراً غرب مدينة الرمادي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٢.

(٣) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٣١-٣٢.

توقف القتال، وتم الاتفاق على تعيين لجنة تقوم بتسوية الخلافة سلماً بين الجانبين إحتكاماً إلى كتاب الله العظيم، ونظراً لعدم تمكن هذه اللجنة من الوصول إلى حل حاسم في هذه القضية، فإن الدولة الإسلامية استمرت في معاناتها من ألم الفرقة، ومرارة الخلاف وما أدى إليه ذلك من إهدار للطاقات وخسارة في الأرواح والعتاد.

ويعتبر إقليم الجزيرة الفراتية مصداقاً لهذه المعاناة والمقاسات إذ لم تكن حال الإقليم بعد صفين بأحسن منها قبلها، ذلك أنه بعد عودة علي عليه السلام وجيوشه إلى العراق وبعد انتهاء التحكيم ظلت الجزيرة الفراتية منقسمة في ولائها وتبعيتها إلى قسمين قسم يخضع لنفوذ الخلافة ويديره والي الخليفة الإمام علي عليه السلام على الجزيرة الأشتر النخعي ويساعده في ذلك عدد من الولاة على بعض مدن هذا القسم، ومع هؤلاء مجموعة من الجنود كانوا بمثابة حاميات عسكرية، فعلى هيث كميل بن زياد النخعي، وعلى الأنبار أشرس بن حسان البكري. وعلى نصيبين شبيب بن عامر الأزدي.

أما القسم الآخر وهو الملاصق للشام فيخضع لنفوذ معاوية عليه السلام، وأكبر مدنه حرّان والرقّة والرّها وقَرْقِيسِيّا، وكان الضحاك بن قيس على هذا القسم من قبل معاوية عليه السلام^(١).

المطلب الثاني - الوضع السياسي في العهد الأموي:

ما إن استقر الأمر لمعاوية بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، حتى بدأت الأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة الإسلامية تعود إلى أوضاعها الطبيعية تدريجياً، إذ يصور

(١) المرجع نفسه، ص ٣٨-٣٩. قبلان، يوسف، المسيرة التاريخية لقبيلة بكر بن وائل والمثنى بن حارثة الشيباني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أريجيش، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ الإسلامي، قيصري، ٢٠١٥م، ص ٣٤. Kablan, Yusuf, **tarihi süreçte bekir b. vail kabilesi vemüsenna b. harise eş-şeybani**, erciyes üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, kayseri, ٢٠١٥, s٣٤.

لنا اليعقوبي هذا الأمر في ذكره لاستقرار خراج أقاليم الدولة على مقدار معين من الدراهم أو الدنانير مدة طويلة من الزمن، وكان لإقليم الجزيرة نصيب كبير من هذا الاستقرار السياسي.

ومما يدل على هذا الاستقرار قلة الإشارة إلى إقليم الجزيرة، والحديث عنه في المصادر التاريخية إبان خلافة معاوية رضي الله عنه، وما ذلك إلا لأن الأمور تسير في وضعها الطبيعي، وهذا على عكس وضعها خلال مدة الخلاف بين علي ومعاوية، فقد كان الإقليم حافلاً بالأحداث السياسية، مما جعل ذكره يتكرر في المصادر نتيجة لذلك^(١).

بعد ذلك كان لوفاة يزيد بن معاوية سنة أربع وستين للهجرة أثر كبير في تطور الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية، وكان هذا التطور لغير صالح بني أمية حيث تعاضم نفوذ عبدالله بن الزبير، ودخلت تحت طاعته جل أقاليم الدولة الإسلامية. حتى أن أغلب أهل الشام، مركز خلافة بني أمية بايع لابن الزبير، ولم يبق للأُمويين لهم من البلدان إلا القليل، كالأردن، وإلى هذا أشار الطبري بقوله: فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة، ومن بالقبلة من العرب، وأهل الشام، وأهل الجزيرة، إلا أهل الأردن^(٢). وعلى هذا، فإن إقليم الجزيرة الفراتية أصبح تابعاً لعبدالله بن الزبير فسارع هذا الأخير إلى تعيين عامل على الموصل وبعض المدن ليتولى شؤونها نيابة عنه^(٣).

ولكن بني أمية سرعان ما تداركوا أمرهم بعد تنازل معاوية الثاني، فاجتمعوا على مروان بن الحكم وبايعوه بالخلافة في النصف من ذي القعدة سنة أربع وستين للهجرة^(٤).

(١) الخزاعن، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٥٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٤.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٥٩.

وكان أول مقام به مروان في سبيل إعادة حكم بني أمية، استعادة نفوذهم بالشام والقضاء على نفوذ ابن الزبير فيه، وهذا أدى بدوره إلى الصدام بين مروان وأتباع ابن الزبير ويمثلهم في ذلك قبيلة قيس التي دخلت في طاعة ابن الزبير بدخول زعمائها كالضحاك بن قيس الفهري، وزفر ابن الحارث، فالتقى بهم مروان في مرج راهط (٦٤هـ/٦٨٣م)^(١) ودارت معركة كبيرة تمخّضت عن هزيمة ساحقة لأتباع ابن الزبير والسواد الأعظم فيهم من قيس^(٢)، وبذلك تم بسط الحكم الأموي على كامل الجزيرة الفراتية.

المطلب الثالث - مراحل التطور الإداري للإقليم في العصر الأموي:

بعد أن تم فتح إقليم الجزيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصبحت الجزيرة مصراً من الأمصار الإسلامية المعروفة، حيث قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الأمصار سبعة: فالمدينة مصر، والشام مصر، ومصر، والجزيرة، والبحرين، والبصرة، والكوفة. إلا أنها لم تكن مستقلة بوال يتبع الخليفة في مركز الدولة الإسلامية مباشرة، وإنما ظلت تابعة لغيرها من الأقاليم حتى خلافة عبد الملك بن مروان. ففي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تتبع في إدارتها لوالي حمص حيث إن فتحها ابتداء تم على يدي عياض بن غنم رضي الله عنه والي حمص من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣)، وبعد وفاة عياض بن غنم رضي الله عنه قام بإدارة إقليم الجزيرة ولاية حمص من بعده، سعيد بن عامر بن حذيم، ومن بعده عمير بن سعد الأنصاري. ولما كان أمير حمص منشغلاً بالغزو والجهاد استدعى الأمر تعيين من يساعده في إدارة

(١) مرج راهط: بنواحي دمشق في الغوطة، وهو أشهر المروج في الشعر فإذا قالوه مفرداً فأياه يعنون. ياقوت

الخموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠١.

(٢) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٧٠-٧١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٩٢.

الإقليم لاسيما في جمع الخراج وجبي الصدقات، ومن هذا القبيل كان تعيين الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، وحبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة^(١).

وفي عهد عثمان بن عفان ؓ انتقلت إدارة إقليم الجزيرة إلى والي الشام عامة حيث جمع عثمان الجزيرة مع الشام لمعاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية من ينوب عنه في إدارة إقليم الجزيرة فولى عليها حبيب بن مسلمة بن مالك ثم عزله وولى الضحاك بن قيس الفهري ولم يزل والياً عليها إلى أن استشهد عثمان بن عفان ؓ^(٢).

فلما تولى علي بن أبي طالب ؓ الخلافة، بعث الأشتر النخعي والياً على الجزيرة، فلقبه الضحاك فاقتتلا في حران والرقعة فأمد معاوية الضحاك بجيش مما جعل الأشتر يعود إلى الموصل... وقد سبق الحديث عن ذلك.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ؓ أسند إدارة إقليم الجزيرة إلى والي حمص. فقد كان النعمان بن بشير أميراً لمعاوية على حمص، وبالإضافة إلى ذلك كان إقليم الجزيرة تحت إشرافه^(٣).

ومع أن إقليم الجزيرة لم يستقل بعد في إدارته في عهد معاوية، إلا أن معاوية خطا به نحو الاستقلال حيث بدأ يعين على الإقليم والياً يقيم في الإقليم نفسه، ويتعامل في بعض أموره مع الخليفة مباشرة، وعلاوة على ذلك فقد وسع معاوية نطاق إدارة إقليم الجزيرة بإضافة الموصل إلى إدارة إقليم الجزيرة.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٥. قوينجو، مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة، ص ١٣٦. دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ص ٣٦.

(٢) ابن شداد، الأعلام الخطيرة، ج ٣، القسم الأول، ص ١١. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٦٦.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ١١٩٤. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي، أنقرة، ٢٠٠٣م، ج ٢٨، ص ٤٤.

Taştemir, Mehmet "Mardin" Diyanet İslam Ansiklopedisi, Ankara ٢٠٠٣, C. ٢٨, s. ٤٤

فتشير كثير من المصادر إلى تعيين معاوية لعبد الرحمن بن عبدالله الثقفي ابن أم الحكم على الجزيرة والموصل، وقد كان يتعامل مع معاوية مباشرة في إدارة شؤون الإقليم حيث جرت بينهما بعض المكاتبات التي تدل على ذلك^(١)، بينما كانت الموصل قبل ذلك تابعة للكوفة في عهد الخلفاء الراشدين، وكذلك بعض مدن الجزيرة لا سيما الواقعة في الجنوب الشرقي مثل قَرْقِيسِيَا وهيت وعانة، وفي الحين الذي كان فيه ولاية حمص يديرون الجزيرة كان للموصل ولاية يعيّنون من قبل الخليفة أو من قبل والي الكوفة، فمقابل ما نقرأ عن ولاية كل من عياض بن غَنْمٍ^(٢)، ومن بعده سعيد بن عامر، ثم عمير بن سعيد على حمص بالإضافة إلى تبعية الجزيرة لهم، نقرأ أيضاً أن على الموصل عتبة بن فرقد السلمي من قبل عمر بن الخطاب^(٣) ومن بعده عرفة بن هزيمة البارقي، الذي اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرّها، وأقره عثمان بن عفان^(٤) على عمله بعد استشهاد عمر^(٥). وفي عهد يزيد بن معاوية^(٦) لم تزل إدارة الجزيرة على تبعيتها لغيرها، إلا أنه جعل هذه التبعية من نصيب والي قَنْسَرين، حيث جعل على قَنْسَرين والياً واحداً هو سعيد بن مالك بن حدل الكلبي الذي ينسب إليه دير بحدل بالجزيرة، وإلى جانب ذلك أضاف يزيد إلى الجزيرة بعض المدن التي كانت تتبع في إدارتها العراق مثل هيت وعانة، فيذكر أبو حنيفة أنهما من نواحي الأنبار فضمهما يزيد بن معاوية حين ملك إلى الجزيرة^(٧). وخلال الفتنة الثانية بعد وفاة يزيد واعتزال ابنه معاوية انقسمت الجزيرة في إدارتها إلى قسمين: قسم تحت نفوذ ابن الزبير ودار هذا القسم من قبل واليين، والوالي الأول كان على الموصل وأعمالها ونواحيها، ويتبع في إدارته والي العراق^(٨)، والوالي الثاني في قَرْقِيسِيَا وما حولها وهو زفر بن الحارث، وبالرغم من أن علاقته مع ابن الزبير شبه

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٩٤.

(٢) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٨٢.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٦٦-٦٧.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ١١٩.

منقطعة إلا أن الأصفهاني ذكر ما يوحي بوجود نوع من الصلة بينه وبين مصعب بن الزبير في العراق. أما القسم الثاني فكان تحت نفوذ بني أمية وبتبع في إدارته للشام. وحينما استقر الأمر لعبد الملك ودخلت أقطار الدولة الإسلامية وأقاليمها تحت سلطانه نظر إلى إقليم الجزيرة نظرة اعتبار واهتمام، فجعلها إقليماً مستقلاً تدار شؤونه من قبل والٍ مستقل يتمتع بصلاحياته بالقدر الذي يتمتع به ولاية أقاليم الدولة الإسلامية الكبيرة كالعراق ومصر، وغيرها^(١).

وفي سنة ثلاث وثمانين للهجرة، دخلت الجزيرة مرحلة كبيرة من مراحل تطورها الإداري وذلك حين ضم عبد الملك كلاً من إقليم أرمينية وأذربيجان إلى إدارة والي الجزيرة. وبذلك أصبحت مهمة والي الجزيرة الإدارية كبيرة وجسيمة إذ عليه أن يقوم بإدارة أذربيجان وأرمينية وأهم مايقوم به في هذا الصدد تنظيم عملية الغزو والجهاد، ومواصلة الهجوم على الروم والخزر، والاستعداد لصد أي هجوم يمكن أن يقوم به هؤلاء الأعداء. وأمام هذه المهمة الكبيرة كان والي الجزيرة يستعين بالعمال لإدارة تلك الأقاليم نيابة عنه، حيث استخلف محمد بن مروان على أرمينية وأذربيجان عبدالله بن حاتم بن النعمان، فلما مات عبدالله استخلف أخاه عبد العزيز بن حاتم بن النعمان^(٢).

وفي عهد الوليد بن عبد الملك، استمر الوضع الإداري لإقليم الجزيرة على ما كان عليه في عهد عبد الملك دون أي تغيير في مهمة الإقليم الادارية. أما في عهد سليمان بن عبد الملك ومن بعده عمر بن عبد العزيز، فيلاحظ حدوث شي من التغيير تمثل في انتقال المكانة التي كانت الجزيرة تحتلها إلى أرمينية، إذ أصبحت أرمينية هي مركز إدارة الأقاليم الثلاثة: الجزيرة، أرمينية، أذربيجان وأصبح الخليفة يولي الأمير أرمينية، وتكون الجزيرة وأذربيجان تابعة لهذا والي الذي يعين من قبله أو من

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٩٧.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩٨.

قبل الخليفة من يساعده على إدارة الجزيرة نيابة عنه^(١). ولعل ذلك التطور جاء استجابة للوضع القائم إبان تلك الحقبة حيث تكررت غارات الخزر على حدود الدولة الإسلامية المتاخمة لأرمينية وأذربيجان^(٢).

وفي عهد يزيد بن عبد الملك كان هناك ما يوحي بانفصال إقليم أرمينية عن الجزيرة حيث ولى على كل إقليم والياً من قبله منفصلاً عن الآخر^(٣).

وبعدما صارت الخلافة لهشام بن عبد الملك اتخذ من الرصافة مقراً لحكمه واستقر بها، فكان بذلك قريباً من أحداث الجزيرة يراقبها عن كثب وتأتيه أخبارها في أسرع وقت، لذا لم يكن بحاجة إلى وضع والٍ عام على الجزيرة، وإنما كان يعين على أرمينية وأذربيجان والياً من قبله ويجعل إقليم الجزيرة تابعاً له في بعض الأحيان^(٤)، واكتفى في كثير من الأحيان بعمال المدن وولاتها حيث إن انتقاله إلى الرصافة يسهل عليهم عملية اتصالهم به واتصاله بهم. وقد أشار البعض إلى بعض ما دار بين هشام وبعض عماله على مدن الجزيرة من مكاتبات تؤكد ما سبقت الإشارة إليه.

وبعد وفاة هشام وتولي الوليد بن يزيد الخلافة وعودة مركز الخلافة إلى دمشق استدعى الأمر تأكيد صلة إقليم الجزيرة بأرمينية وأذربيجان إدارياً، حيث ولى الوليد بن يزيد مروان بن محمد إدارة هذه الأقاليم نيابة عن الخليفة^(٥)، إلا أن استقرار مروان في أرمينيا بصورة مستمرة أتاحت الفرصة لبعض ولادة المدن ممّا أدى إلى علو شأنهم حتى أطلق البعض عليهم مسمى والي الجزيرة مثل عبده بن

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٤) القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد

الستار أحمد فراج، دار عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٥٠-١٥١.

(٥) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٦٧.

رياح الغساني، إلا أن مروان استقر في الجزيرة بعد مقتل الوليد بن يزيد وتولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي أعطاه ولاية الجزيرة وأذربيجان وأرمينية.

وبقي مروان على ولايته هذه حتى تولى الخلافة، ونقل مركز الخلافة إلى الجزيرة في حرّان، فكانت تلك أعظم مرحلة إدارياً وصلت إليها الجزيرة، إذ أصبحت تحتضن عاصمة الخلافة بعد أن كانت مجرد إقليم من أقاليم الدولة، وبعد أن كانت الأوامر تصدر إلى إقليم الجزيرة، أضحت تصدر منها أوامر الخليفة ورسله إلى أقاليم الدولة^(١).

المطلب الرابع - الخوارج في الجزيرة الفراتية:

المقصد الأول - تاريخ حركة الخوارج في الجزيرة الفراتية:

ظهر حزب الخوارج في منطقة الجزيرة الفراتية إثر معركة صفين، ذلك أن جيش الإمام علي عليه السلام في هذه المعركة ضم بين جنباته أعداداً كبيرة من المقاتلة من قبائل متعددة، وبعد عدة جولات من القتال تم إيجاد مخرج لوقف الحرب، فأشير على معاوية طلباً لتحكيم كتاب الله بينهما^(٢). وكان لهذه الفكرة أثر في إثارة البلبلة في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام. فخرجت فئة منهم تطالبه بقبول التحكيم، ورفضت الاستمرار في القتال، وانقسم جيش الإمام علي عليه السلام بذلك على نفسه، وكاد أن يقع القتال بين أفرادها، فاضطر إلى قبول التحكيم، وبعد قبوله وقفت الجماعة نفسها تعلن رفضها له، وتطالبه بالتراجع عن قبوله مرددة مقولة "لا حكم إلا لله". فكان أول الخارجين أحد بطون ربيعة، وفي مقدمتها

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٣٠٠.

(٢) الصلابي، علي محمد، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الصحابة، الشارقة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٦٤٠-٦٤١.

أعاريب بكر بن وائل، وقد يكون لخروجهم صدئاً في منطقة الجزيرة الفراتية، بسبب وجود بكر فيها^(١).

ويبدو أن تأثير الخوارج بشكل عام بين سكان الجزيرة بدأ بعد معركة النهروان مباشرة، يؤكد ذلك ما جاء في إحدى روايات الشهرستاني التي تقول: "لم يفلت من الخوارج بعد النهروان إلا أقل من عشرة، انهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة الفراتية، وواحد إلى تل موزن، وواحد إلى اليمن، وقد ظهرت بدع الخوارج في جميع هذه المواقع التي قصدها مما يدل على قوة تأثيرهم فيها"^(٢).

ويبدو أن تحديد عدد الناجين بعشرة غير صحيح، وقد يكون عدد زعمائهم، ولكن يتضح لنا من روايته أن الخوارج الذين نجوا بعد معركة النهروان أخذوا يعملون على نشر فكرهم في المناطق التي انهزموا إليها، وقد أثمرت جهودهم، وظهرت بدعهم في تلك المناطق، ومنها منطقة الجزيرة. فبالإضافة إلى أعاريب بكر بن وائل، فإن قبيلة تغلب التي اعتزلت القتال بعد انتهاء معركة صفين، ومالبت أن تأثرت بالخوارج واعتنقت فكرهم وأخذت تعمل مع بكر بن وائل في نشره في المنطقة، فقد أشار الهمداني، إلى الشُرّة من تغلب، ومناطق نزولهم. كما استجاب بعض أفراد قبيلة النمر بن قاسط للفكر الخارجي، وعملوا على نشره حتى بين النصاري منهم، فاستجاب لدعوتهم الخاطار النمري^(٣).

(١) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١٥٢.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج ١، ص ١٠٩.

(٣) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١٥٢-١٥٣.

ومن الملاحظ أن قبيلة بكر بن وائل تولت زعامة خوارج الجزيرة تحت قيادة صالح ابن مسرح، وبعد وفاته تولى رجال من شيبان من بني بكر بن وائل قيادة الجيوش، ولم يتول رجال تغلب القيادة، ولعل سبب ذلك انشغال قبيلة تغلب في صراعها مع قيسية الجزيرة، ولربما لأن بكر بن وائل كانت من أوائل من اعتنق الفكر الخوارجي أو لكلا السببين.

لقد أجمعت الروايات على القول بأن الجزيرة الفراتية كانت مركزاً للخوارج سواء منهم الصفورية، أو أصحاب الأفكار الخوارجية الأخرى الذين انتشروا في بعض مناطقها. من تلك الأقوال ما جاء على لسان أحد رجال السياسة المعاصرين للدولة الأموية وهو محمد بن علي بن عبدالله بن عباس (ت: ١٢٥هـ/ ٧٤٣م) الذي تزعم الدعوة العباسية منذ سنة (٩٨هـ/ ٧١٦م)، ورفض أن يتخذ من منطقة الجزيرة الفراتية مركزاً لدعوته، واختار خراسان عوضاً عنها، فقد أكد على كثرة الخوارج في الجزيرة الفراتية حتى وصفها قائلاً: "وأما الجزيرة فحرورية، مارقة، وأعراب كأعلاج^(١)، ومسلمون في أخلاق النصارى". ويؤكد كثرة الخوارج في الجزيرة من الصفورية وغيرهم ماجاء على لسان بعض المؤرخين عند حديثهم عن الجزيرة، من ذلك ما ذكره ابن عبد ربه عنها قائلاً: "الجزيرة كلها خوارجية لأنها مسكن ربيعة ورأس كل فتنة". أما المسعودي فقد أشار إلى وجود فرق أخرى من الخوارج في الجزيرة غير فرقة الصفورية بقوله: "والصفورية وغيرهم من فرق الخوارج، وبلداتهم من الأرض مثل سنجار، وتل أعفر من بلاد ربيعة، والسن والبوازيح مما يلي بلاد الموصل"^(٢)، وما أورده الحميري من أن الخوارج غلبوا على الجزيرة والموصل وعمان، وسجستان. بينما يشير القشيري إلى وجود فرقة الإباضية بقوله: "إن حرب صفين كان لها أثر في إباضية الرقة".

(١) الأعلاج: العُج الرجل الشديد الغليظ والجمع أَعْلَاج وعُلوْج والعُج الرجل من كَفَّار العجم. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص ١٥٤.

فمن الأقوال السابقة عن الخوارج نستنتج بأن الفكر الخوارجي انتشر بين قبائل ربيعة بشكل كبير إضافة إلى انتشاره بين قبائل أخرى، ولعل ذلك يعود إلى أن ربيعة من أكبر قبائل الجزيرة الفراتية وأوسعها انتشاراً، وتزعم رجال من بطونها قيادة الثورات الخوارجية فيها ضد الأمويين. فبدأ وكأن الربيعيين جميعهم دانوا بالمذهب الخارجي.

وهكذا يمكن القول إن المؤرخين أجمعوا على غلبة الفكر الخوارجي على منطقة الجزيرة في فترة من الفترات وخاصة بين قبائل ربيعة. وهذا يدفعنا لتحري الأسباب التي ساعدت على تقبل سكان المنطقة للفكر الخارجي، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

طبيعة تكوين القبائل التي اعتنقت الفكر الخوارجي، فقد وُصفوا بأنهم أعراب كالأعلاج، وصفهم بذلك معن بن يزيد السلمي أحد رجال معاوية في صفين الذي بعثه إلى الإمام علي رضي الله عنه يستعجله في أمر التحكيم المتوقف بسبب خروج جزء من جيشه عليه، فقال مخاطباً علياً: "لا يلفتك عن رأيك أعراب بكر وتميم". وهذا يعني أن الإسلام لم يصقل نفوسهم. كما وُصفوا من قبل محمد بن علي بأنهم أعراب كأعلاج^(١). وقد يكون هذا الوصف الذي وصفهم به محمد بن علي بن العباسي من منطلق ماجبلوا عليه من اشتهارهم بالجدل الديني الذي تميز به النصاري، وأدّى إلى تعدد مذاهبهم النصرانية. وكذلك حال الخوارج.

كان للتأثيرات الفكرية التي تَمَثَّلُها أهل الجزيرة المسلمون عن طريق اختلاطهم بأهل الكتاب دور في إعادة ما ألغاه الإسلام من الجدل في الدين الذي انتشر حتى بين فئة القراء الذين وصفتهم المصادر بأنهم ممن تفرَّحت جباههم من السجود.

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٥.

ويبدو أن احتفاظ بعض قبائل الجزيرة الفراتية بالأخلاق القبلية، كان من أسباب قسوتهم وإطلاق صفة الأعلاج عليهم، إضافة إلى أن غالبية من أسلم منهم كانوا من النصارى الذين اعتادوا على الجدل الديني، وبعضهم الآخر كان من الفرس الذين اعتنقوا عقائد دينية فلسفية. وقد وجد في هذه الحقبة بعض الجدليين النصارى بين المسلمين، فكان يوحنا الدمشقي (ت ١٤٣هـ/ ٧٦٠م) من أكبر الجدليين وأكثرهم تأثيراً في العصر الأموي. فقد هاجموا النصارى الذين اعتنقوا الإسلام، واعتبروا الإسلام أحد بدع النصارى^(١).

ويبدو أن تأثير يوحنا الدمشقي قد امتد إلى الجزيرة الفراتية وقد أثرت مناقشاته وجداله في آراء خوارجها، وظهر ذلك في معتقداتهم في صفات الله. وكان من معاصريه في الجزيرة الفراتية إيشوعياث الثاني مطران نصيبين، وكان بينهم تشابه في الآراء، والتقوا في اجتماعات للبحث في شؤون الدين، حيث شرح فيه هؤلاء الآباء الكبار تعاليمهم التي أثارت دهشة الرهبان، كما جرت مناقشة في القرن الأول الهجري/ نهاية القرن السابع الميلادي بين أحد أهالي حرّان وبين نصارى الرها^(٢).

ومما ساعد على اعتناق الفكر الخارجي أن بعض أبناء المسلمين، وخاصة ممن كان في المنطقة، واستمروا في الالتحاق بمدارس النصارى الذين سمحوا بتعليمهم التعليم الراقى، وغيرها من العلوم التي تقود إلى الجدل الديني^(٣).

وأيضاً ترسّخ بعض العادات التي ورثها سكان المنطقة من النصارى، والتي كان منها الخروج على طاعة أولي الأمر. وهي من عادات النصارى الذين كانوا دائمي الخروج على حكامهم في المرحلة

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٥٧.

السابقة للإسلام، بسبب اختلافهم في المذهب، فقد وقفوا في وجه هرقل ومنعوه من الدخول إلى كنائسهم وتناول القران. الذي دعاهم للدخول في المذهب الخلقيدوني، نسبة إلى مجمع خلقيدونية انعقد سنة ٤٥١م يُعتبر من أهمّ المجمع، إذ نجم عن هذا المجمع انشقاقٌ أدّى إلى ابتعاد الكنائس الشرقية (القبطية والأرمنية والسريانية) عن الشراكة مع الكنيستين الرومانية والبيزنطية. الكنائس الشرقية رفضوا اصطلاح "طبيعتين" الذي كان يوازي عندهم لفظة (شخصين). وكانوا يفضلون عليها تعابير أخرى وردت عند البابا كيرلس مثل عبارة "طبيعة واحدة" في قولته الشهيرة: "طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد".

وهذا يشابه موقف الخوارج إثر ظهورهم على الإمام علي رضي الله عنه، واختلافهم في مسألة الإمامة، ويمكن القول: إن هذه العوامل مجتمعة، إضافة إلى المناخ الاجتماعي الذي ساد منطقة الجزيرة، ما ساعدت على انتشار الفكر الخوارجي بين سكانها، وتبني آراء فكرية واعتقادية خاصة. وقاموا بالعديد من الثورات في وجه الأمويين منذ سنة (٧٦هـ/٦٩٥م). فانشغلت الدولة الأموية في إخمادها وكانت تفشل تارة، وتنجح أخرى، وإن استطاع بعض الخلفاء الأمويين إخماد ثوراتهم في بعض الأوقات، إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء عليهم نهائياً. فقد استمرت ثوراتهم، وساهمت في القضاء على الحكم الأموي وسقوطه على يد بني العباس سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م).

وخلاصة القول: إن الجزيرة الفراتية أصبحت مركزاً للخوارج الصفورية منذ أواسط العصر الأموي، فهم الذين قاموا بالعديد من الثورات، وكانت هذه الثورات تنشط عند انشغال الخلافة الأموية في شؤونها

الداخلية. وقد قال ابن خلدون: "وشغل مروان بن محمد^(١) بمن انتفض عليه، فخرج بأرض كفرثوثا سعيد بن بهدل الشيباني في مئتين من أهل الجزيرة"^(٢).

لقد أصبح حزب الخوارج الصفورية منذ الربع الأخير من القرن الأول الهجري من أخطر الأحزاب المعارضة للدولة، وقد امتد نشاطهم من الجزيرة الفراتية إلى خارجها، واتصلوا بخوارج أذربيجان. فقد نقل خليفة بن خياط رواية ذكر فيها قدوم أبي عبيد التغلبي من أذربيجان والتحاقه بخوارج الجزيرة، ومن أقوى حركات خوارج الجزيرة وأشدّها ضد الأمويين تلك التي تزعمها الضحاك بن قيس الشيباني^(٣)، الذي نهض في أعقاب مقتل الوليد بن يزيد سنة (١٢٦هـ)، مستغلاً انشغال مروان بن محمد بأمر الشام، فتمكن من السيطرة على الكوفة^(٤).

فالخوارج إذن في الجزيرة، وعلى الأخص في ديار ربيعة حيث بني تغلب. أما من حيث ما قام به هؤلاء من حركات هنا وهناك من أرض الجزيرة، فقد أقلقّت بال السلطة المركزية الأموية، وتسببت

(١) الخليفة الأموي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (٧٢هـ/١٣٢هـ) آخر خلفاء بني أمية ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم كان يصل السير بالسير و يصبر على مكاره الحرب ولد مروان بالجزيرة و أبوه متوليها سنة اثنتين و سبعين و أمه أم ولد و ولي قبل الخلافة ولايات جليلة و افتتح قونية سنة خمس و مائة و كان مشهورا بالفروسية و الإقدام و الرجولة و الدهاء و العسف فلما قتل الوليد و بلغه ذلك و هو على أرمينية دعا إلى بيعة من رضىه المسلمون فبايعوه فلما بلغه موت يزيد أنفق الخزائن و سار فحارب إبراهيم فهزمه و بوع مروان و ذلك في نصف صفر سنة سبع و عشرين و استوثق له الأمر فأول ما فعل أمر بنبش يزيد الناقص فأخرجه من قبره و صلبه لكونه قتل الوليد ثم إنه لم يتهن بالخلافة لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنتين و ثلاثين ومائة فخرج عليه بنو العباس و عليهم عبد الله بن علي عم السفاح فسار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع إلى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان إلى مصر فتبعه صالح أخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل بها في ذي الحجة من السنة اثنتين و ثلاثين ومائة. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحبي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٦، ص٧٤-٧٦.

(٢) العمري، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) الضحاك بن قيس الشيباني: زعيم ثورة الخوارج التي قامت في الموصل ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد من عام ٧٤٥ حتى وفاته في المعركة عام ٧٤٦. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢١٥.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٧٦ وص٣٨١.

في خلق أجواء الفوضى والاضطراب ممّا أدى إلى البؤس والشقاء للسكان المحليين، فنذكر تلك الثورات التي وافقتنا بها المصادر ومنها:

- ثورة الخارجي صالح بن مسرح الشيباني^(١).

- ثورة الخارجي سعيد بن بهدل الشيباني^(٢).

- ثورة الملبد بن حرمة الشيباني.

- ثورة بكر بن حميد الشيباني.

- ثورة الوليد بن طريف الشيباني^(الشاري).

- ثورة الصحصحر الحروري.

- ثورة الفضيل بن أبي سعيد.

- ثورة محمد بن عمر الشيباني.

وحين نقف للتعرف على موقف أهالي الجزيرة من هذه حركة الخوارج نجد أنهم اتخذوا مواقف اختلفت باختلاف مصالحهم وظروفهم. فنجد أن معظم أهالي الجزيرة مع ولأئهم لسلطان بني أمية ويقينهم بعدم شرعية خروج هؤلاء الخوارج، إلا أنهم لم يجرؤوا على محاربة الخوارج والوقوف أمامهم، بل لزموا جانب الحذر والحيلة منهم كما تحصن أهالي كل من دارا ونصيبين، وسنجان^(٣)، ومع ذلك

(١) صالح بن مسرح الشيباني: زعيم الصفرية وأول من خرج فيهم، كان كثير العبادة يقيم في أرض دارا والموصل والجزيرة، وكان له أتباع يقرأ لهم القرآن ويعظهم. فدعاهم إلى الخروج وإنكار المنكر. ابن قتيبة، المعارف، ص ٤١٠.

(٢) شمساني، مدينة ماردين، ص ٦١-٦٢.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٢٠.

فإن الخوارج لا يباليون في قتل مثل هؤلاء مع مسالمتهم وحيادهم، فقد مر شبيب^(١) وأتباعه بجماعة من بني تميم بن شيبان فهرب هؤلاء من وجوهم، وأقبلوا حتى نزلوا دير (خرزاد)^(٢) وهم نحو ثلاثة آلاف وتحصنوا فيه فحاصرهم أتباع شبيب، بينما سار هو مع نفر من أصحابه، فمر بجماعة من بني تميم بن شيبان آمنين في أوطانهم، فحمل عليهم شبيب وقتل منهم ثلاثين شيخاً^(٣).

وبالمقابل نجد أن من أهالي الجزيرة من كان عوناً لهؤلاء الخوارج في قتالهم سواء كان ذلك علناً بالانضمام إليهم، أم كان هذا العون خفية^(٤).

وهناك مشاركات أخرى لبعض القوى المحلية أسهمت في تقديم العون للخوارج، وسهلت تحركاتهم خلال هجماتهم وحروبهم. ومن أبرز تلك القوى المحلية بعض طائفة النصارى، حيث تم إبرام التحالفات بينهم وبين الخوارج، كما قاموا بتمويل حركة الخوارج بما استطاعوا تقديمه لهم من عدد وعتاد، علاوة على ما قاموا به من إيصال بعض المعلومات العسكرية للخوارج بعد جمعها من صفوف أعدائهم^(٥).

(١) شبيب الخارجي (٢٦-٧٧هـ/٦٤٧-٦٩٦م) هو أحد كبار الثائرين على بني أمية. هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك. خرج في الموصل مع صالح بن مسرح على الحجاج الثقفي، فقتل صالح فنادى بالخلافة لنفسه فبايعه حوالي ١٢٠ شخصاً. كاد شبيب أن يهزم الحجاج لولا أن تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سليمان بن الأبرد الكلبى. فر شبيب ولكنه مات، قيل غرقاً. الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) خرزاد: مدينة بنو حاحي الموصل، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٢٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢٤.

(٥) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ١٢٠.

المقصد الثاني - أثر حركة الخوارج على الجزيرة الفراتية:

لقد أدى وجود الخوارج كقوة سياسية وعسكرية ذات فعالية في إقليم الجزيرة، إلى حروب كثيرة بينهم وبين السلطة المركزية والمحلية الأموية، ويُستدل على ذلك من كثرة الخوارج وسيطرتهم في مناطق الجزيرة وأطرافها، وذلك من خلال النصوص التالية:

قال ابن عبد ربه في حديثه عن مذاهب أهل الأمصار: "قال الأصمعي: البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خوارجية، والحجاز سنية". "والجزيرة كلها خوارجية لأنها مسكن ربعة، وهي رأس كل فتنة، وأكثرها نصارى وخوارج"^(١).

وأفاد المسعودي: "والصفورية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الأرض مثل سنجار وتل أعفر من بلاد ربعة، والسن والبوازيح ما يلي بلاد الموصل".

وفي معرض كلامه عن الكور التي غلبت فيها الخوارج ذكر الحميري الجزيرة والموصل وعمان وسجستان.

وإن ما قام به الخوارج في منطقتي بآزبدي وبأقزدي بصورة خاصة، والجزيرة الفراتية بصورة عامة ألقى حكم الأمويين من جهة، وعرض العديد من مدن الجزيرة للأذى من جهة ثانية. وهنا نشير إلى الثورة التي قام بها الخوارج بقيادة مسرح بن صالح، وشبيب بن يزيد، ضد عامل الجزيرة محمد بن مروان الأموي في أرض الجزيرة، وصف بأنه كان رجلاً ناسكاً صاحب عبادة، له أصحاب في بعض نواحي الجزيرة، عمل على إرشادهم وبث روح الانتقام فيهم ضد الأمويين، وطرد عمالهم من الجزيرة، لأنهم كانوا في نظره ونظر غيره من الخوارج مغتصبين للحقوق، وخارجين عن طاعة الله،

(١) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ج٧، ص٢٧٥-٢٧٦.

ومنتهكين لحرمته، وعصاة في الأرض، وسافكين لدماء الأبرياء. وقد استجاب لمسرح جمع غفير، وساروا معه، واستولوا على ما كان للأمير الأموي من دواب ومتاع، وتقووا بها، ثم انتشروا في بعض المدن والقرى، يدمرون وينهبون ويسلبون، ويتلفون المزروعات ويجبون الأموال بالقوة، وأقاموا بأرض دارا مدة، ومنها أخذوا يغيرون على نصيبين وسواها، وبازيدى وغيرها فألحقوا الأذى بأهلها، والخراب بعمرانها، مما اضطر معه الناس إلى ترك منازلهم وهجرة مدنهم وقراهم. كما اضطر الباقون الذين لم يتيسر لهم الخروج إلى إقامة التحصينات لصد هجماتهم، ومنع اعتداءات الخوارج، أو الحد من أخطارهم التي تعاظمت وبخاصة بعد مطاردتهم عدة سرايا قوات الأمير محمد بن مروان إلى ما بعد الموصل. ولكن هذه الأخطار خفت وتلاشت بعد مقتل مسرح على يد القائد الأموي الحجاج بن يوسف. ويمكننا استخلاص ما تركته أحداث تلك المرحلة من إضعاف الحكم الأموي في منطقة الجزيرة، ومن خلال العنف الذي عُرف عن الخوارج وردة الفعل، كانت الدماء تراق من كافة الأطراف^(١).

بالرغم من قضاء مروان على حركة الخوارج في الجزيرة إلا أن هذه الحركة تركت بصماتها على دولة بني أمية بوجه عام، وعلى الجزيرة بوجه خاص، فمن أهم هذه الآثار ما يلي:

أ - كان ظهور الخوارج بالجزيرة سبباً رئيساً من أسباب سقوط الدولة الأموية، ذلك أن الخوارج أشغلوا مروان بقتالهم لمدة طويلة كلفته كثيراً من الجهد وبذل الأموال، علاوة على ما أزهق في هذه الحروب من أرواح كثيرة من جنود بني أمية، ولاشك أن هذا كان سبباً مهماً في إعطاء الفرصة لأعداء مروان خاصة دعاة بني العباس لأن يتحركوا بسهولة، وينظموا أنفسهم بعيداً عن متابعة مروان لهم.

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٣٩-٤١.

ومما يصور ذلك الأثر قول صاحب أخبار الدولة العباسية: "وقد ظهرت الدعوة ثم اشتغل مروان بمحاربة أهل حمص وأهل فلسطين، وخاصة الخوارج والضحاك بن قيس الشيباني وشيبان بن عبد العزيز، فنفّر لهم وقد قوي أمرهم وكثرت جماعتهم، وكل ذلك من أسباب الدعوة وإقامة الدولة"^(١).

ب - كان لقيام حركة الخوارج بالجزيرة في أواخر الدولة الأموية آثار واضحة على إقليم الجزيرة الفراتية من نواح عدة، لعل من أبرزها الجوانب البشرية والاقتصادية؛ ذلك أن حركة الخوارج أسهمت في إضعاف اقتصاد الإقليم، إذ إن قوام الحروب عادة على الأموال والرجال، وكان إقليم الجزيرة مصدراً مهماً لإمداد هذه الحروب، فهم يشكلون السواد الأعظم لجيوش الخوارج ومروان، وهذا يعني الخسارة الكبيرة التي تعرض لها إقليم الجزيرة في موارده البشرية، فعلى سبيل المثال في المعركة التي كانت بين مروان بن محمد والضحاك بن قيس الشيباني قتل حوالي ستة آلاف رجل، وأما الجانب الاقتصادي فإن قادة الخوارج عندما يدخلون بلداً يبعثون بأموالهم إلى زعيم الخوارج ليكون عوناً لهم^(٢)، وإذا أمعنا النظر في حجم المصروفات التي يدفعها قادة الخوارج في حروبهم والمرتبات التي يعطونها لمقاتليهم، فإننا سندرك ضخامة الأعباء الاقتصادية على إقليم الجزيرة، إذ إن جزءاً كبيراً من تلك الأموال كانت من أمواله.

(١) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٠٢.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٧٦.

المبحث الثاني - الجزيرة الفراتية العليا في العصر العباسي:

المطلب الأول - موقف الجزيرة الفراتية من الدعوة العباسية:

بعد انتهاء مروان بن محمد من قتال الخوارج في الموصل عاد إلى مقره حرّان لينعم بفرحة الانتصارات، وليهنأ بمنصب الخلافة بين شيعته من قيس، إلا أن الأحداث لم تمهله ليستريح ولو برهة من الزمن، فقد كُتب على مروان أن يعيش حياته ويقضي خلافته في مقاومة أعدائه، ومحاربة خصومه إذ ما كاد يسعد بفرحة الانتصار على الخوارج والقضاء عليهم حتى اضطرتّه الأحداث أن ينهض من جديد لمقاومة الخطر الكبير القادم من الشرق ألا وهو خطر الدعوة العباسية التي تجمهر حول دعائها خلق كبير في الشرق، فلم يمض وقت قصير حتى تحولت الدعوة إلى ثورة عارمة استولت على المشرق وانحدرت تجاه المغرب للإطاحة بالخليفة نفسه.

إن المتتبع لأحداث ومراحل الدعوة العباسية يدرك أن موقف الجزيرة كان سلبياً من الدعوة العباسية ويبدو أن السبب في عدم دخول دعوة بني العباس في مراحلها الأولى إلى الجزيرة الفراتية يرجع إلى سببين هما:

الأول: أنه عندما بدأ دعاة بني العباس في تنظيم أمر الدعوة في نهاية القرن الأول^(١) كانت الأفكار الخوارجية خاصة في مواطن بني شيان في الموصل وما حولها، وهذا يمنع تقبل الناس للأفكار الجديدة التي سيطرحها دعاة بني العباس، وإذا علمنا أن مما يعتمد عليه هؤلاء الدعاة هو التشهير بخلفاء بني أمية وإبداء مساوئهم^(٢) فإن هذا الأمر ليس بجديد على الناس في هذه المنطقة، إذ ليس

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٥٦٢.

(٢) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٠٥.

هذا بغريب على الفكر الخوارجي الذي يستبّيح قتل الخلفاء فضلاً عن التشهير بهم، وإذا كان من الشعارات التي يرفعها دعاة بني العباس كذلك: الدعوة إلى الرضا من آل البيت، فإن هذه الفكرة أيضاً غير مقبولة لدى الفكر الخوارجي الذي لا يرى حصر الخلافة في بيت معين^(١).

وهذا كله جعل زعيم الدولة العباسية يُعرض عن اختيار الجزيرة ميداناً لنشر الدعوة، فقد جاء على لسانه في توجيهه إلى دعاة بني العباس الذي استعرض فيه الأقاليم وأحوالها لمعرفة ما يصلح منها لدعوتهم فقال عن الجزيرة: "وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى" فهذا يدل على إدراك زعماء دعوة بني العباس ودعاتهم أن لا مكان لدعوتهم مع الفكر الخوارجي على أرض الجزيرة.

الثاني: وإذا كان هناك مناطق في الجزيرة تشبعت بالفكر الخوارجي فإن هناك مدناً في الإقليم نفسه عرفت بميلها الشديد لبني أمية منذ زمن مبكر، وذلك أن سكان هذه المدن عرفوا لبني أمية فضلهم وماقدموه لمدن الجزيرة من إصلاحات في جوانب مختلفة، خاصة تلك المدن التي تولى إمارتها بعض أفراد البيت الأموي كالموصل، وحرّان، والرقّة، هذا بالإضافة إلى اعتماد بعض خلفاء بني أمية على أهالي الجزيرة وتقريبهم إليهم، كل هذا كان له دور في صبغ معظم مدن الجزيرة بالولاء لبني أمية، فمثلاً عرفت مدينة الرقة بولائها الشديد لبني أمية منذ زمن الخلافة بين علي ومعاوية، وفاقّت مدينة حرّان مدينة الرقة في ولائها لبني أمية وهذا مامنع بني العباس من محاولة نشر دعوتهم في الجزيرة^(٢).

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) الخرعان، إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية، ص ٢٠٦-٢٠٧.

المطلب الثاني - معركة الزاب ونهاية الأمويين (١٣٢هـ/٧٥٠م):

بعد أن تسلم أبو العباس السفاح زمام الخلافة، توجب عليه أن يقوم بعدة أعمال مهمة، وأول عمل مهم واجهه هو السعي للقضاء على الخليفة الأموي مروان بن محمد وقواته المرابطة في موقع استراتيجي عند نهر الزاب.

فقد كان لا بد من القضاء على كل نفوذ للأمويين، إذا أريد للدولة الجديدة البقاء. ولكن ما هو موقف الخليفة الأموي من هذه الأحداث؟ لم يكن الخليفة يعلم مدى خطر أبي مسلم الخراساني، وأحس بهذا الخطر بعد إعلان الدعوة، وعلم مروان بأن قحطبة بن شبيب قد أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي من نهاوند إلى شهرزور، فاستطاع أن يهزم عبد الله بن مروان بن محمد الذي عاد إلى حرّان.

لذلك جمع مروان بن محمد جيشاً قُدّر بحوالى مئةٍ وعشرين ألفاً من فرسان الشام والجزيرة، وتوجه نحو حرّان، ثم نحو ماكسين^(١) ومنها إلى الموصل، فنزل على دجلة وحفر خندقاً بالقرب من نهر الزاب الكبير^(٢).

وهكذا فقد تمركز مروان على الضفة الشمالية من نهر الزاب في موقع استراتيجي مثلث، يحميه من جهتي دجلة و الزاب الأعلى، أما الضلع الثالث فكان محمياً بخندق طويل. وتوجه أبو عون نحو مروان، فأرسل له أبو سلمة الخلال عيينة بن موسى ابن كعب والمنهال بن قنان وإسحاق بن طلحة كل واحد منهم معه ثلاثة آلاف جندي مساندة له، وأرسل أبو العباس إلى

(١) ماكسين: تقع على الضفة الخابور الغربية بينها وبين قَرْقِيسيا سبعة فراسخ. وهي قريبة من رحبة مالك.

البغدادي، مرصد الاطلاع، ج٣، ص ١٢٢١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٤٣٢-٤٣٣.

أبي عون سلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربيعي الطائي في ألفين وداس بن نضلة في خمسمائة.

نزل أبو عون على شط الزاب في موضع يقال له: تل كشاف، وعندما علم مروان بن محمد باسم هذا التل قال " كشفنا ورب الكعبة ". أحس أبو العباس بأن عليه أن يقوي مركز جيشه؛ لذلك رأى أنه يجب أن يرسل لمواجهة مروان شخصاً من أهل البيت؛ ليزيد من قوة وعزيمة جنده ولإدراكه مدى الخطر الذي يسببه وجود مروان على رأس جيشه، وهنا تطوع عمه عبد الله بن علي لهذه المهمة، وتوجه نحو أبي عون واستلم بدلاً عنه قيادة الجيش^(١).

بدأ الصدام المسلح بين الجيشين في جمادى الأولى من عام ١٣٢هـ/٧٥٠م، واستمر القتال عشرة أيام، استطاع خلالها عبد الله بن علي هزيمة مروان^(٢).

بعد هزيمة مروان بقي عبد الله في معسكره سبعة أيام، ليجمع ما خلفه الجيش المهزوم، وبعث إلى أبي العباس يبيشه بالنصر.

أما مروان فبعد هزيمته القاسية في الزاب فر إلى الموصل، لكن أهلها منعوه من الدخول، ولم يصدقوا أن خليفتهم يفر منهزماً هارباً، ولم يتركه عبد الله بل لاحقه بجيشه، ودخل الموصل فبايعه أهلها، فاتجه مروان نحو حرّان، حيث أمواله وأهل بيته، وكان عامله عليها أبان بن يزيد فدخلها وبقي فيها عشرين يوماً، وعندما اقترب عبد الله منه فكر أن يلتجئ بأهله وأمواله إلى أراضي البيزنطيين، ولكن أصحابه نصحوه بعدم فعل ذلك لأن البيزنطيين لا يؤمن غدرهم، ولجوءه مع نسائه وأولاده إليهم سيخلف نتائج لا تحمد عقباها، فعدل عن رأيه وتابع فراره وعبد الله يتبعه. وعندما وصل

(١) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٤١٧.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٣٤.

عبد الله إلى حرّان بايعه عاملها وأهلها، وقام عبد الله بهدم قصر مروان وأخذ خزائنه وأمواله، كما هدم البيت الذي سجن فيه إبراهيم الإمام^(١).

وتابع بعد ذلك زحفه باتجاه مروان الذي بدوره توجه نحو قنّسرين ثم حمص فدمشق، ثم توجه إلى فلسطين ومنها إلى العريش إلى أن وصل مصر، ووجه عبد الله بن علي أخاه صالح بن علي نحو مروان، واستعمل صالح شخصاً يدعى عامر بن إسماعيل أحد أبناء الحارث بن كعب، الذي لحق بمروان إلى قرية من قرى مصر تدعى بوصير، وهناك قتله وتم إرسال رأسه إلى الخليفة العباسي أبي العباس السفاح، وكان قتله في آخر ذي الحجة عام ١٣٢هـ/٧٥٠م.

بمقتل الخليفة مروان بن محمد سطرت نهاية الدولة الأموية، وأحس أبو العباس السفاح بأنه تخلص من عبء ثقيل، ولن يستطيع أنصار بني أمية أن يقفوا بوجهه بعد أن قتل خليفته، وبدأ بهذا تاريخ جديد لدولة ستحكم العالم الإسلامي لـ ٥٥٨ سنة لاحقة^(٢).

المطلب الثالث - الثورات في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي:

تسلم العباسيون السلطة بعد أن قضوا على الدولة الأموية وآخر خلفائها مروان بن محمد الذي قتل في مصر.

وأعلنت المدن واحدة تلو الأخرى في الجزيرة الفراتية طاعتها للعباسيين، فظنوا أن الجو قد صفا لهم و أنهم تخلصوا من خصومهم، وبأن البلاد دانت لهم ولن يحدث ما يعكر صفو هذا الإنجاز.

(١) المصدر نفسه، ج٧، ص ٤٤٠.

(٢) حمودي، شبرين سليم، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص ١٠١-١٠٢.

ولكن سياستهم في اتباع القسوة والشدة في القضاء على الأمويين انقلب بشكل عكسي على البيت العباسي، فمنذ بداية تسلمهم السلطة شاركهم الفرس في تسيير شؤون السلطة وتوطيدها، حيث كانوا يعملون على قتل من يمت بصلة لبني أمية ونش قبور قادتهم، فقد قام القادة العباسيون كعبد الله بن علي وصالح بن علي على نبش قبور بني أمية مثل قبر هشام بن عبد الملك وأخيه سليمان باستثناء قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز الملقب بالخليفة الراشدي الخامس.

بالإضافة إلى قيامهم بجمع من تبقى من بني أمية وقتلهم بشكل جماعي دون رحمة أو شفقة. وكان للشعراء دورٌ أساسيٌّ في تحريض العباسيين على التخلص من بني أمية، من خلال القصائد التي كانوا يلقونها على مسامعهم يذكرونهم بماضي بني أمية وما فعلوه بآل البيت ويحثونهم على قتلهم. وشارك العباسيين في هذه المجازر الفرس فقد وجدوها فرصة لهم لينتقموا من العرب تحت شعار الدعوة والثأر لآل البيت، وبناء على هذه السياسة قامت ثورات وتمردات في الجزيرة الفراتية ضدهم ومن أهمها:

المقصد الأول - ثورة أبي الورد الكلابي (١٣٢هـ/٧٥٠م)(١):

إن سياسة العنف والقسوة التي اتبعها العباسيون لم تثمر بالنتائج المرجوة، فقد أشعلت المناطق غضباً، وانتشرت الثورات ضد العباسيين دفاعاً عن الدم العربي المهدور في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وقد كانت منطقة الموصل من أكثر المدن التي قامت فيها الثورات والتمردات ضد العباسيين،

(١) مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي القيسي، ويكنى أبا الورد، من رؤساء القبائل القيسية في الشام، ومن حلفاء مروان بن محمد، آخر الخلفاء الأمويين. ثار على بني العباس في قنسرين، وقتل عاملهم فيها، وانضم إليه أهل حلب، ثم انضم إليه زياد السفيناني، والذي كان قد ثار سابقاً على بني أمية متحالفاً مع قبائل كلب اليمانية (المنافسة للقيسية)، ومع أهل تدمر، وهذا هو التحالف الأول للقيسية، واليمانية ضد بني العباس، فكانت نتيجة التحالف هزيمة جيش يقوده عبد الصمد بن علي العباسي، فكان أن ساعد أخوه عبد الله بن علي العباسي بجيش هزم الثائرين في مرج الأجم (قرب حلب)، وقتل أبو الورد في المعركة. الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٢٧٩.

كونها منطقة تجارية واستراتيجية مهمة لم يتمكن العباسيون من فرض سيطرتهم بشكل كبير عليها. فبعد عام واحد من خلافة أبي العباس السفاح خلع أهل حلب و قَسَّرين طاعة العباسيين، ورفع لواء الثورة أبو الورد الكلابي (مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي)، وكان من فرسان مروان بن محمد وقد دخل في طاعة عبد الله بن علي بعد هزيمة مروان في الزاب، ولكنه ثار بعد مدة من ذلك، فما هو الدافع القوي الذي جعل أبا الورد يثور؟.

يقال بأن أولاد مسلمة بن عبد الملك و نساءه كانوا مجاورين لأبي الورد في منطقتي بالس والناعورة وقد تعرضوا للإهانة والإذلال من قبل قادة وجنود من الفرس، فقد توجه أحد قواد عبد الله بن علي (ويظن بأنهم من الفرس) ومعه مئة وخمسين فارساً، فأساؤوا معاملة ولد مسلمة ونسائه بشكل فظيع، حتى إن أحد جنود الفرس خطب لنفسه واحدة من النساء، وهنا توجه أولاد مسلمة نحو أبي الورد وشكوا له الإهانة التي تعرضوا لها، فتوجه أبو الورد بنفسه نحو القائد الفارسي وقتله، وأعلن عودة طاعته لبني أمية ورفع شعارهم الأبيض وخلع طاعة العباسيين.

ودعا أهل قَسَّرين وبالس والناعورة للتبويض والعودة إلى طاعة بني أمية، واجتمع مع أبي الورد أعداد كثيرة حوالي سبعة آلاف رجل، واشتعلت مناطق بلاد الشام بالثورة، ووصلت حتى حمص ودمشق وحران وحلب^(١).

بعد أن علم عبد الله بن علي بما فعله أبو الورد، توجه نحو قَسَّرين لقتاله، وحدث لقاء بين الطرفين تمكن من خلاله عبد الله من قتل أبي الورد، وأعطى عبد الله الأمان لأهل قَسَّرين وبالس والناعورة على أنفسهم وأموالهم مما اضطرهم لمبايعته مرة أخرى^(٢).

(١) حمودي، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون، ص ١٦٢-١٦٤.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٤٣-٤٤٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٤٣٣.

المقصد الثاني - ثورة إسحاق بن مسلم العقيلي (١٣٣هـ/٧٥١م):

كان لثورة أبي الورد الكلابي ردود أفعال كثيرة في الجزيرة الفراتية، حيث كانت عاملاً مشجعاً لآخرين للانتفاضة ضد الحكم العباسي الجديد والمتسلط الذي خيب آمال الكثيرين، وكان على رأس الثائرين الجدد إسحاق بن مسلم العقيلي عامل الخليفة الأموي مروان بن محمد على أرمينية، حيث توجه من هناك إلى الجزيرة وتسلم قيادة الثورة، بعد أن نقض أهل الجزيرة بيعة العباسيين، وأعلنوا عودة الطاعة للبيت الأموي، ورفعوا الأعلام البيض وتوجهوا من جميع مدن الجزيرة وحاصروا والي حرّان موسى ابن كعب في مقر إقامته كما منعه وجنوده من الحركة.

استمر الحصار حوالي شهرين واجتمع تحت إمرة مسلم حوالي مئة ألف مقاتل من جميع مدن الجزيرة^(١).

عندما علم أبو العباس السفاح بما فعله أهل الجزيرة، خاف على نفسه من اجتماع هذه الأعداد الكبيرة من العرب ضده بعد عام واحد من تسلمه السلطة، ولهذا قرر إرسال أخيه أبي جعفر المنصور ليوقف في وجه هذا المد العربي.

وبالفعل توجه أبو جعفر بجيش جرار نحو الجزيرة حتى وصل قَرْقِيسِيَا، فوجد أهلها قد رفعوا الرايات الأموية البيضاء، فتوجه نحو الرقة ولم يستطع دخولها أيضاً بسبب موقف أهلها، وكان عاملها بكار بن مسلم العقيلي أخا إسحاق، فتابع المنصور سيره نحو حرّان، مما اضطر إسحاق لفك الحصار

(١) حمودي، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون، ص ١٦٤-١٦٥.

عن موسى، وتوجه إسحاق نحو الرُّها، أما موسى فقد توجه مع حوالي ثلاثة آلاف جندي نحو المنصور وانضموا إليه^(١).

عندما وصل إسحاق إلى الرُّها توجه إليه أخوه بكار ومن معه من عرب الجزيرة، وقاما بإرسال البعوث إلى قبائل ربيعة في دارا وماردين يطلبان المعونة، فالتحق بهم أعداد كبيرة ووقف الجميع ضد أبي جعفر، وهكذا توجه إسحاق بما اجتمع لديه نحو سُمَيْسَاط وتحصن بها مدة سبعة أشهر. وحدث بين أبي جعفر والقبائل العربية بقيادة إسحاق معارك عدة لم يتمكن فيها أبو جعفر من تحقيق النصر، فتوجه نحو الرُّها وقا تل بكاراً ولم يستطع هزيمته، واستطاع بكار أن يصمد مدة طويلة.

عندما علم أبو العباس السفاح بما يحدث قرر إرسال عمه عبد الله بن علي ليكون عوناً لأبي جعفر على حرب أهل الجزيرة، فتوجه عبد الله ومعه ستون ألف جندي، وشارك أبا جعفر في حصار إسحاق، وطال الحصار ولم يستطع إسحاق الاستمرار، فراسل أبا جعفر يطلب منه الأمان، فاستشار المنصور أخاه السفاح فوافق على الأمان له ولمن معه من الأهالي، وهكذا كتب الأمان بين الطرفين واصطلح الحال في الجزيرة، وعادت لطاعة الدولة العباسية.

وبعد انتهاء ثورة إسحاق قامت بين السفاح وأخيه المنصور وإسحاق علاقة مودة وثقة قوية، ونتيجة لنجاح أبي جعفر في القضاء على ثورة أهل الجزيرة عينه أبو العباس والياً عليها وعلى أرمينية و أنربيجان^(٢).

كانت انتفاضة أهل الجزيرة في غاية الخطورة، فهي لم تكن ثورة عادية ضد الحكم، بل كانت ثورة عربية محضة ضد تسلط الفرس وقتلهم وسفكهم لدماء العرب دون أي سبب يذكر.

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٤٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٤٤٦-٤٤٧.

فقد قامت القوى العربية في كل أنحاء الجزيرة في حرّان والرّها وقرقيسيا والرقّة ونصيبين وماردين ودارا ضد العباسيين والأعاجم على حد سواء.

وكانوا يعزّون سبب ثورتهم بقولهم "إننا لم نناصر دعوة آل البيت ونبائع بني العباس لتسفك دماء العرب بسيف العلوّج" (١).

وعندما استلم إسحاق بن مسلم قيادة هذه الثورة كان يردد قوله: "في عنقي بيعة، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قتل" (٢).

وبعد مدة من الحصار المفروض على إسحاق أرسل إليه أبو جعفر بأن مروان بن محمد قد قتل، فرد إسحاق: حتى أتيقن، وبعد أن تأكد من أن مروان قتل طلب الصلح وتم له ذلك (٣).

وهكذا وبناء على أقوال إسحاق يمكن القول: بأنه لم يرفض بيعة بني العباس ولم يرد سلطة أو مال، بل ما دفعه إلى ذلك هو البيعة التي بايعها لمروان بن محمد ولا يستطيع أن يتركها، بل الارتباط والحفاظ على البيعة مع مروان بن محمد، فالمعاملة السيئة التي عومل بها أولاد مسلمة بن عبد الملك من قبل الجنود الفرس بشكل خاص، وسفك دماء بني أمية العربية بشكل عام هو ما أثار هذه المناطق بوجه العباسيين.

(١) حمودي، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون، ص ١٦٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٤٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٤٣٥.

المقصد الثالث - ثورة أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (١٣٣هـ/٧٥١م):

عادت الثورة لتشتعل من جديد في منطقة الجزيرة بعد مدة قصيرة من القضاء على ثورة إسحاق بن مسلم العقيلي، وهذه المرة كان قائدها أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، والذي ألف جيشاً تعداده أربعة آلاف جنديٍّ من خيرة القادة والجنود الذين كانوا مع إسحاق.

وهنا سارع القائد عبد الله بن علي للقضاء عليه حيث كان في منطقة الجزيرة يقود صائفة متوجهاً نحو الأراضي البيزنطية، فأرسل جيشاً لملاقاة أبان على مقدمته حميد بن قحطبة والعباس بن زبيد، ولم يحدث قتال كبير بين الطرفين، إذ سرعان ما انهزم أبان وأصحابه وتحصنوا في حصن كيسوم، فتوجه إليه عبد الله فطلب أبان الأمان له ولأصحابه، فأمنهم عبد الله بن علي، لكن أبان لم يثق بالأمان الذي أعطاه له عبد الله فهرب إلى غار، إلا أن عبد الله استطاع أن يعلم مكانه، فقبض عليه وقطع يديه ورجله ثم ضرب عنقه^(١).

(١) حمودي، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون، ص ١٦٧-١٦٨.

المبحث الثالث - الجزيرة الفراتية العليا في زمن الحمدانيين:

بنو حمدان: من قبيلة تغلب بن وائل، كانوا من أهل ديار ربيعة بالجزيرة^(١)، فيها نشؤوا. وبها أقاموا أول ما أقاموا إمارتهم، والذي تجب ملاحظته هنا هو أن تعبير الجزيرة الذي ينطبق على العهد الحمداني لم يكن مقصوراً على العراق الأعلى الواقع بين دجلة والفرات، أو الإقليم الذي أطلق عليه ميزوبوتاميا "Mesopotamia" الاسم اليوناني القديم. أي بلاد ما بين النهرين^(٢)، وتشتمل على ديار ربيعة ومضر، بل إنه يمتد كما تبين من خلال أحداث هذه المرحلة ووقائعها ليشمل مناطق أوسع تقع بين جبال أرمينية وكردستان شمالاً وشرقاً حتى الخط الذي يصل عانة وحديثة وتكريت على دجلة جنوباً. تلك هي المساحة التي كانت مجالاً لنشاط الحمدانيين وتحركاتهم. وكانت لهم فيها من وقت لآخر سيادة جزئية أو كلية. والذي يسرّ للحمدانيين حكم هذه المنطقة والاستقلال بها، هو خطر المنطقة نفسها، وعدم استقرارها، وحاجتها إلى أمير قوي، لأنها كانت منطقة الثغور المجاورة للروم الأقوياء، الذين دأبوا على الإغارة عليها، كما أنها كانت هدفاً لثورات الخوارج والقرامطة وجميع الخارجين على السلطة المركزية، فإمرتها كانت محفوفة بالمتاعب. ولم يستطع مواجهة ذلك إلا رجال هذه الأسرة الذين كانوا كما وصفتهم المراجع محاربين مشهورين بالشجاعة والفروسية وروح المغامرة، ولأجل هذه الخصائص نالوا رضى الخلافة فقربتهم إليها.

(١) طوكوش، عمر، الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية عند الحمدانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حرّان، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، أورفة، ٢٠٠٦م، ص ١٧.

Tokus, Ömer, hamdanîler, siyasi, içtimai, ilmi ve kültürel hayat, yüksek lisans tezi, harran üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, ٢٠٠٦, s. ١٧.

(٢) شمساني، مدينة ماردين، ص ٩١-٩٢.

(٣) بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٧.

ومن المدن التي كانت على علاقة متينة مع الحمدانيين، وارتبطت بتاريخهم ارتباطاً وثيقاً، في ديار ربيعة بعد الموصل وهي قصبتها، نذكر: رأس العين، ماردين، دُنَيْسَر، كفر توثا، نَصِيبِينَ، أذمة، برقعيد، سنجار، الحسنية، جزيرة ابن عمر، بلد، الحديثة، الموصل، أربيل، بالإضافة إلى العديد من الحصون والقلاع والمواقع العسكرية التي انتشرت في هذه المناطق^(١).

وكانت ماردين- التي أسماها الحمدانيون بالباز الأشهب^(٢) من أهم مدن الجزيرة في تاريخهم، حيث كانت من أهم مواقعهم العسكرية لسيطرتها على المناطق الواقعة على دجلة والفرات من جهة، ولكونها ممراً مهماً للشمال، وطريقاً ميسوراً إلى الموصل عبر نَصِيبِينَ، وإلى آمِدْ ورأس العين، لذا وضعوها تحت نفوذهم المباشر، وكانت مركزاً ومعقلاً لأمرائهم. وفوق هذا وذاك كانت من الديار التي عاشوا فيها بالإضافة إلى نَصِيبِينَ والموصل وبرقعيد^(٣).

ومن خلال تاريخ الإمارة الحمدانية وعلاقتها بالسلطة المركزية العباسية، يلاحظ أن حكم الحمدانيين لتلك الديار لم يكن حكماً متصلًا، وإنما كانت هناك مراحل يصبح معها الأمير أو الحاكم الحمداني مطاردًا معزولاً، إما لعدم الوفاء بدفع أموال الضمان ونقض شروط العقد المبرم مع الخلافة أو مع المتسلطين عليها، وإما للاستئثار بأرض جديدة على حساب أملاك الأمراء والحكام الآخرين، أو على حساب أملاك الخلافة الخاصة. ومع ذلك فإننا إذا تَبَّعْنَا تسلسل ولاية الموصل وديار ربيعة ومنها ماردين منذ سنة (٢٩٣هـ/٩٠٦م)، أي منذ بداية ظهور الحمدانيين فعلاً على مسرح السياسة في الجزيرة والعراق، فإننا لانجدهم في أكثر الأحيان من غير نطاق أسرة بني حمدان: هذا يعزل ليحل

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٩١-٩٢. قبلان، المسيرة التاريخية لقبيلة بكر بن وائل والمثنى بن حارثة الشيباني، ص ٢٥.

(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ١٥٧. بوزكورت، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، ص ٧.

(٣) شمساني، مدينة سنجار، ص ٧٤.

أخوه محله، وهكذا حتى تقلد إمرة البلاد الإخوة جميعاً على وجه التقريب. ومن الذين قلدوا إمارة ديار ربيعة "التي ضمنها ماردين"، من حمدانيين أو نواب للحمدانيين خلال الحقبة التي نحن بصددتها الآن نورد:

حمدان بن حمدون - الحسن بن حمدان - عبدالله بن حمدان - عثمان العنزي - داوود بن حمدان - الغضنفر أبو تغلب^(١).



(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٩٢-٩٣.

المبحث الرابع - الجزيرة الفراتية بين البويهيين والدولة

الدوستكية الكردية:

ب وفاة عضد الدولة بن بويه (٣٧٢هـ/٩٨٢م) تفرقت أملاك الدولة البويهية بين أبنائه وتفرق اجتماع كلمتهم، ودخلوا في منازعات ومشاحنات فيما بينهم، وتناحرت قوات الأميرين، صماصم الدولة الذي تولى الإمارة بعد أبيه في بغداد، وشرف الدولة أمير فارس الذي "أظهر مشاققة أخيه صماصم الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة"^(١).

بالطبع هذا الانقسام إضافة إلى تفرغ أمراء بني بويه إلى تصفية الخلافات فيما بينهم بالسيف أدى إلى حالة من الضعف العام أصابت الدولة، وهذا ما فتح الباب على مصراعيه أمام الطامعين والطامحين إلى الإمارة والملك. ومن بين هؤلاء الطامعين والطامحين رجل من رؤساء الأكراد الحميدية المقيمين بنواحي الموصل هو الأمير باد بن دوستك الكردي (٢٧٣هـ-٣٨٠هـ/٨٨٢-٩٩٠م) الذي كان في بداية أمره يرعى الغنم، وقد وصفته المصادر بأنه كان رجلاً عظيم الخلق وله بأس وشدة وكان كريماً جواداً، وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس، فظهر عنه اسم الجود، فاجتمع الناس عليه، وصار يقطع الطريق، وكلما حصل له شيء أخرجه فكثر جمعه، وصار يغزو، ثم إنه دخل أرمينية فملك مدينة أرجيش وهي أول مدينة ملكها فقوي بها. وسار منها إلى ديار بكر فملك مدينة آمد، ثم ملك مدينة مَيَّافَارِقِينَ، وغيرها من الجزيرة الفراتية...^(٢)

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) الفارقي، تاريخ مَيَّافَارِقِينَ، ص ٤٤٩.

ورغم أن مدينة مَيَّافَارِقِينَ كانت أقلّ مناعة وحصانة من مدينة آمِدْ، إلا أن الأمير باد بن دوستك اتخذها عاصمة له، وذلك بسبب توسطها بين البلاد^(١).

بالطبع كان لا بد من قيام الحرب بين القوات الكردية بقيادة الأمير باد بن دوستك، وقوات البويهيين الذين لم يرضوا بزيادة نفوذ باد في الجزيرة الفراتية وديار بكر، فهم أصحاب البلاد، ولكن استطاعت قوات باد أن تنتصر على قوات البويهيين في معركتين: النصر الأول كان على القوات التي يقودها أبو سعيد بهرام بن أردشير، الذي لقيت قواته هزيمة ساحقة أمام قوات الأمير باد، وأسر جماعة كبيرة من عساكره؛ أما النصر الثاني، فكان على القوات البويهية التي يقودها والي الموصل سعيد بن الحاجب عام (٣٧٣هـ/٩٨٣م) بباجلاء على خابور الحسنية من بلدة كواش (شرقي الموصل) حيث قتل كثير من الديلم ووقع بيد القوات الكردية كثير من عساكر الديلم أسرى.

بعد انتهاء المعركة لاحقت قوات باد قوات سعيد الذي سارع إلى دخول الموصل، ولكن العامة من أهل الموصل قاموا بالثورة على سعيد بن الحاجب وجنوده لسوء سيرة الديلم فيهم، فنجا منهم بنفسه ودخل باد إلى الموصل واستولى عليها، وقويت شوكته وحدث نفسه بالتغلب على بغداد وإزالة الديلم عنها، وخرج من حد المتطرفين، وصار في عداد أصحاب الأطراف فخافه صماصم الدولة وأهمه أمره وشغله عن غيره، وجمع العساكر لقتاله^(٢).

في العام التالي (٣٧٤هـ/٩٨٤م) استطاع القائد البويعي الأمير زياد بن شهرأكويه هزيمة قوات باد عند الموصل، ووقع أكثر أصحابه أسرى بأيدي العسكر البويعي، وأخذوا إلى بغداد وطيف بهم في شوارعها، ودخل زياد بن شهرأكويه الموصل، أما باد فقد انسحب بما تبقى معه من قوات إلى ديار

(١) الفارقي، تاريخ مَيَّافَارِقِينَ، ص ٤٥٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤١٥-٤١٦.

بكر وجمع خلقاً كثيراً وأراد زياد متابعة حملته العسكرية إلى ديار بكر للقضاء على باد الكردي ولكن تمرد العسكر البويهى وامتناعهم عن القتال حال دون إتمام ذلك.

هذا السبب هو الذي دفع البويهيين على الاستعانة بالأمير سعد الدولة بن حمدان صاحب حلب في محاربة باد بن دوستك والقضاء عليه، على أن يتم تسليم ديار بكر إلى ابن حمدان إقطاعاً من صماصم الدولة، ولكن بالرغم من حصار جيش ابن حمدان لميَّافارقين معقل باد إلا أنه لم يستطع الانتصار عليه، ولذلك لجأ إلى الحيلة لقتل باد، وكلف رجلاً للقيام بهذه المهمة وهي قتل باد غيلة، وتمكن الرجل من التسلل لخيمة باد ليلاً ولكنه بدلاً من أن يضرب رأسه، ضرب ساقه بالسيف فصاح باد وهرب الرجل، وأصيب باد بجرح بالغ أشرف منه على الموت ولكنه برئ من جرحه^(١).

وهكذا فشلت جميع المحاولات التي بذلها البويهيون للقضاء على الأمير باد بن دوستك الكردي، مما أوجد حالة من اليأس والقنوط في نفوس القادة البويهيين، وبالذات لدى الأمير صماصم الدولة بن عضد الدولة البويهى، أما بالنسبة لباد فبالرغم من صلابته قواته وتماسكهم ووقوفهم خلفه إلا أن محاولة الاغتيال الفاشلة التي دبرها ابن حمدان لقتله قد تركت في نفسه أثراً عظيماً، ولذلك وجد أن الصلح مع البويهيين أفضل بالنسبة إليه، ولو أدى الأمير إلى التنازل عن بعض الأراضي والمناطق التي نجح في السيطرة عليها، وهكذا كانت هناك رغبة لدى كلا الجانبين في الصلح وقد وقع بالفعل، وتم الاتفاق على أن تكون جميع ديار بكر والنصف من طور عبيد للأمير باد الكردي، ونصيبين وجزيرة ابن عمر لصماصم الدولة^(٢).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤١٨.

(٢) الفارقي، تاريخ ميَّافارقين، ص ٤٥١.

بعد ذلك استطاعت قوات الحمدانيين وأنصارهم من بني عقيل حصار باد وقواته، عندما أراد باد الانتقال إلى الجبل اختلط أصحابه وأدركه الحمدانيون، وقتل حاجبه عبد الله الملقب بعروس الخيل ففجع به وانزعج لفقده، ولما أراد الانتقال من فرس إلى أخرى سقط على الأرض وأصيب بكسور في ظهره، ولم يستطع ابن أخته أبو علي بن مروان حمله على الركوب فتركه واحتوى بالجبل، وبقي باد طريحاً جريحاً في أرض المعركة حتى تعرف عليه بعض الأشخاص، فقتلوه وحملوا رأسه إلى ابن حمدان^(١).



(١) المصدر نفسه، ص ٤٥٢.

المبحث الخامس - الجزيرة الفراتية في العصر السلجوقي:

دخل الأتراك السلاجقة بغداد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) وسيطروا على الخلافة العباسية وأصبحوا حماة المذهب السني، فقد انتصر السلطان طغرل بك^(١) على الأمير التركي أبو الحارث أرسلان البساسيري وقضى على حركته، كما أعاد الخليفة القائم بأمر الله إلى بغداد وأعاد الخطبة على المنابر للعباسيين، وكان السلاجقة عازمين على بسط سيادتهم على كافة الأراضي التي كانت تتبع الدولة العباسية في سابق عهدها بما فيها منطقة الجزيرة الفراتية، وبلاد الشام ومصر، وتوحيدها تحت زعامة الخليفة العباسي، وباعتبارهم من أهل السنة وحماة لها، فقد أعلنوا الجهاد ضد الكفار الذين هم في نظرهم البيزنطيون والفاطميون^(٢).

ولتحقيق هذا الهدف فقد عملوا على الاستيلاء على منطقة شمالي الجزيرة وديار بكر باعتبارها حلقة الوصل بين شمال العراق، وشمال الشام، ثم بين شمال العراق وآسيا الصغرى، ومن هذا المنطلق فقد أسرع السلطان السلجوقي طغرل بك إلى إرسال أميرين من أصحابه هما: بوقا وناصغلي في عام (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) وكانا من كبار القادة الأتراك على رأس حملة قُدر عددها بعشرة آلاف فارس، إلى مناطق ديار بكر وميافارقين، ومنحها لهما كإقطاع، فدخلها وأغاروا على البلاد ونهبها، ونزلا على باب ميافارقين التي أغلقت أبوابها أياماً في وجههم وامتنعت عليهما، وحاول ابن مروان إبعادهما عن بلاده في مقابل دفع ضريبة بلغت خمسين ألف دينار، إلا أنهما رفضا هذا العرض واستمرا في حصارها، وحدث ذات ليلة أن قامت بين القائدين مشاجرة كبيرة انتهت بقتلهما، ولما علم

(١) ركن الدين طغرل بك بن سلجوق (٣٨٥-٤٥٥ هـ/٩٩٥-١٠٦٣م) كان ثالث حكام السلاجقة قام بتوطيد أركان

الدولة السلجوقية وبسط سيطرة السلاجقة على إيران وأجزاء من العراق. اعتلى السلطة في عام ١٠١٦ م. مجموعة

من المؤلفين، الموسوعة العربية، ج ١٢، ص ٥٦٩.

(٢) الرشيدي، تاريخ آمد وحضارتها، ص ٣٩.

عسكرهما بذلك اضطربت أحوالهم، وكانت هذه فرصة ذهبية استغلها ابن مروان وخرج في عساكره، ونهبوا ما كان معهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأسروا جماعة منهم وغنموا أموالهم وما كان معهم^(١).

ثم بعد ذلك عزم السلطان السلجوقي طغرل بك على الاستيلاء على كامل الجزيرة الفراتية وإخضاع المناطق التي يحكمها بنو مروان لسيادته كجزء من سياسة السلاجقة التي كانت ترمي إلى توحيد العالم الإسلامي تحت ظل دولتهم، ولتحقيق ذلك توجه السلطان طغرل بك على رأس حملة عسكرية في شهر ذي القعدة سنة (٤٤٨/١٠٥٦م) إلى الجزيرة الفراتية من أجل إخضاعها لسلطانه.

وقد ضرب السلطان طغرل بك حصاره حول جزيرة ابن عمر لمدة من الزمن إلا أنه ما لبث أن رفع عنها الحصار وتركها بعد أن استعطفه أهلها وبذلوا له الأموال، وفي أثناء ذلك وجه بعض العسكر إلى مدينة مِيفَارِقِينَ وعندما علم ابن مروان بذلك رحل إلى مدينة أَمْدُ واحتفى بها بسبب مناعة أسوارها، وقد نهب عسكر السلطان مِيفَارِقِينَ، فانزعج ابن مروان واستشفع (بإبراهيم ينال) أخي طغرل بك، وحاول أن يتقرب إلى العسكر السلجوقي بما كان يبعثه لهم من هدايا، كما قدم لطرغل بك بعض الأموال التي فُدرت بحوالي مئة ألف دينار، وأخذ يذكر له ما هو بصدد من حفظ ثغور المسلمين وما يعانیه من جهاد الكفار^(٢).

اكتفى السلطان السلجوقي بما حققه من نجاح عسكري، ودخل بني مروان تحت طاعته، فقد كسر حالة الحياد التي ميزت سياسة المروانيين تجاه الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، كما أفشل محاولة الفاطميين التي كانت ترمي إلى كسب الأمير المرواني إلى جانبهم على يد المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، وقد عاد السلطان طغرل بك بعد أن خضعت له مناطق شمال

(١) الفارقي، تاريخ مِيفَارِقِينَ، ص ٤٩٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٣٣٤.

الجزيرة بما فيها آمدُ وميَّافارقين وجزيرة ابن عمر، خضعت لطاعة السلاجقة والخليفة العباسي وترك
أخاه ينال والياً عليها مقيماً في الموصل سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م)^(١).



(١) الرشيدى، تاريخ آمدُ وحضارتها، ص ٤٠.

المبحث السادس - استيلاء المغول على إقليم الجزيرة الفراتية:

ثم كان أن ظهر المغول على مسرح المشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلاد، وكان وصولهم إلى إقليم الجزيرة حسب ما ذكر ابن الأثير في عام (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) وذلك خلال ملاحقتهم للسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، الذي انهزم أمام جيوشهم، فلاحقوه من بلد إلى آخر حتى وصلوا إلى آمد، وفيها هزموه شر هزيمة، وتفرق عنه جنده، وهناك اختفى أثره.

ولما دخل المغول البلاد نهبوا سواد آمد وأرزن وميافارقين، ثم توجهوا إلى مدينة أسعد، فقاتلهم أهلها وحاصروها مدة خمسة أيام، ثم أعطاهم المغول الأمان، ولما وثقوا بهم واستسلموا نكثوا بهم وقتلوا الغالبية العظمى منهم، حتى بلغ عدد القتلى ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل.

وفعلوا مثل ذلك بالمدن والقرى التي مروا عليها يقتلون وينهبون ويأسرون، حتى وصلوا إلى ماردين فنهبوا واحتلوا صاحبها وأهلها وأهل دُنَيْسَر بقلعة ماردين، وانضم إليهم أهل المدن والقرى المجاورة، ثم وصلوا سيرهم إلى نَصِيبِينَ وجزيرة ابن عمر وسنجار ومنطقتي الجبال والخابور وعربان، فنهبوا أموال أهلها وقتلوا من وجدوه من أهلها وسارت مجموعة منهم إلى قرية المؤنسة على طريق الموصل فنهبوا، واحتلوا أهلها بخان فيها فقتلوا كل من فيه.

ويورد ابن الأثير كثيراً من الروايات والقصص عن حالة الخوف والهلع التي وصلت إليه نفوس المسلمين من جراء غزوات المغول، وقد وصلت مجموعة منهم طريقها إلى إربل فقتلوا من التقوا به في طريقهم من التركمان والأكراد وغيرهم، ولما دخلوا إربل نهبوا قراها، وقتلوا من ظفروا به من أهل

تلك النواحي وارتكبوا جرائم لم يُسمع بها من قبل، وخرج إليهم صاحب إربل مظفر الدين كوكبوري بعساكره وعساكر الموصل، فلما علم بعودتهم إلى أذربيجان رجع عنهم^(١).

وفي عام (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) عاودوا الغزو مرة ثانية على المنطقة، فاكثسحوا نينوى فنهبوا وقتلوا كثيراً من أهلها، وفي العام التالي زحفوا على إربل وضربوا عليها الحصار، ونصبوا المجانيق على سورها حتى نقبوه، واقتحموا المدينة ونهبوها، وقتلوا كثيراً من أهلها، وسبوا كثيراً من النساء والأطفال، وامتنعت عليهم قلعتها وكان بها نائب للخليفة العباسي المستنصر بالله ولما أرسل الخليفة جيشاً لإنقاذها رحلوا عنها، وذكر ابن العبري أن أهل إربل تحصنوا بقلعتها: "وحاصروها أربعين يوماً ثم أعطوا ما لا فرحلوا عنها".

وفي عام (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) عاودوا الكرة على إقليم الجزيرة الفراتية، حيث وصلت مجموعة منهم إلى مَيَّافَرِّقِينَ وفر صاحبها شهاب الدين غازي الأيوبي منهم تاركاً البلد لهم، فعبثوا في ديار بكر أشد العبث واستولوا على حرَّان والرُّها عنوة، وعلى ماردين صلحاً، بينما ذكر آخرون أن ذلك كان في عام (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، ومنها زحفوا على رأس العين وسُروج وغيرها، وقتلوا أكثر من عشرة آلاف من أهلها.

ثم كان أن سقطت بغداد في أيديهم سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) فقضوا على الدولة العباسية، وقتلوا آخر خلفائها المستعصم بالله (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وذلك بقيادة هولاكو والي الجهات الغربية من إمبراطورية المغول. عندما تم ذلك أرسل هولاكو رسائل إلى ملوك المنطقة بضرورة الإذعان له. وفي عام (٦٥٧هـ/١٢٥٩م) توجه هولاكو بجيوشه غرباً لغزو بلاد الشام ثم لإخضاع مصر لسيطرته، وفي

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٩٢-٤٩٤.

طريقه مرّ على إقليم الجزيرة الفراتية مكتسحاً ما بقي من مدنه وقراه التي سقطت في يده واحدة بعد أخرى إن سلماً أو حرباً.

وبعد ذلك وجه هولاكو فرقة من جيشه إلى مَيَّافَرَقِينَ، وكانت للملك الكامل محمد بن غازي بن العادل الأيوبي، فحاصرتها ونصبت عليها المجانيق من كل ناحية، فقاتلهم أهلها وصبروا على شدة الحصار، وشحت عندهم المؤونة حتى أكلوا الكلاب والسنانير الميتة، وأخيراً سقطت بعد عامين من الحصار الشديد، فقتلوا عدداً كبيراً من الجند وأسروا من بقي حياً، وألقي القبض على صاحبها الملك الكامل وتسعة من مماليكه، وحملوا إلى هولاكو فقتلوا كلهم إلا مملوكاً واحداً^(١).

(١) الحارثي، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية، ص ١٧٩-١٨٠.

المبحث السابع - الحركة العلمية والفكرية:

لكي تكون دراسة الحياة العلمية والفكرية في الجزيرة الفراتية كاملة وواضحة، علينا أن نعود إلى عصورها الميلادية الأولى، ومن ثم ننتدرج إلى أن ندرك عصورها الإسلامية المتلاحقة ولو كان ذلك بشيء من الإيجاز.

فمن المعلوم أن الخلايا الأولى لدور العلم ومعا هذه كانت قد تمثلت في البداية بالأديرة والكنائس، حيث أنشئت في داخلها حلقات للتدريس كانت بمثابة مدارس مصغرة لها علومها وأنظمتها، وحيث احتشد بين جدرانها العشرات من المتعلمين والمصنفين والشعراء. وإن تواريخ الكنائس تبدو زاخرة بأخبار هؤلاء وأمثالهم، وحافلة بأسماء العديد منهم. وإذا كانت مدارس هذه المؤسسات الدينية قد اقتصرت في الأجيال المتقدمة على تعليم اللغة الآرامية وآدابها، وعلى دراسة الكتب المقدسة وتفسيراتها، وسير آباء الكنيسة الأولين، وعلى مدارج الحياة الرهبانية، فإنها سرعان ما توسعت آفاقها في أيام الدولة الإسلامية وبخاصة زمن العباسيين ونهضتهم، فتناولت مناهجها عدا اللغة الآرامية: اللغة العربية واليونانية والفلسفة والتاريخ والعلوم والرياضة والطب. ونبغ في هذه المجالات أعلام كبار لا تزال أمهات الكتب تحتفظ بأسمائهم^(١).

وظهر الإسلام ودخل العراق وأرض الجزيرة، واعتنق نفر من أهلها الدين الجديد. وعاش هؤلاء فيما بعد جنباً إلى جنب مع الجماعات التي بقيت على نصرانياتها. وطبق مسلمو الجزيرة مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، أرشدهم في ذلك علماء منتدبون من القادة المسلمين.

(١) شمساني، مدينة سنجار، ص ٢٨٣.

ولم تقتصر الحركة العلمية والفكرية في الجزيرة خلال الأعصر الإسلامية على العلوم الدينية، وإنما تعدّتها إلى العلوم اللسانية مجارة لما كان عليه الحال في الحواضر الإسلامية المختلفة. والعلوم اللسانية هذه إزدهرت في الجزيرة -كما في غيرها- بفضل الجهود والمسااعي التي بذلت من قبل حكام الدول التي تعاقبت على الجزيرة من عباسيين وحمدانيين وبويهيين وسلاجقة ومن أعقبهم من أراتقة وتركماني، فظهرت فيها جماعات من رجال العلم والمعرفة كانت أكثر وضوحاً في العهود العباسية المتأخرة، وعلى الأخص في زمن الأراتقة الإيلغازيين، لما وُصف به ملوك هذه الأسرة من ميل للعلم وشغف به واحترام لرجاله.

فالمصادر أوضحت أن هؤلاء الملوك الذين عرف منهم ما يزيد عن اثنين وعشرين ملكاً، تولوا بعض مدن الجزيرة خلفاً عن سلف قرابة ثلاثة قرون، كانوا هم ورجالاتهم ينفقون من الأموال الطائلة في سبيل ذلك، وإنهم كانوا يقربون إليهم العالم والشاعر والفقير ويعظمون منزلته، وربما كانوا يُقَطِّعُونَهُ إذا وجدوا فيه الخبرة والصلاح، كما كانت لهم اليد الطولى فيما بني من مؤسسات علمية دينية ودينية من مدارس ومعاهد ومساجد وزوايا وربط وخانقاوات وبیمارستانات^(١).

هذا الاهتمام كان من أهم عوامل التنشيط للحياة الفكرية حيث كثرت مؤسساتها وتعددت معاهدها. ومن يطالع المصادر التي أرخت لهذه الحقبة الكامل لابن الأثير، والأعلاق لابن شداد، والروضتين لأبي شامة، يدرك مدى رغبة الملوك الأراتقة في إقامة تلك المؤسسات، لقد شارك بنو أرتق أنفسهم في إقامة مثل تلك المؤسسات ونسبوا إليها. وذكر أن أول ما كان يفعله الواحد منهم، هو أن ينشئ مدرسة باسمه على عادة ملوك وسلاطين ذلك الزمان ويجهزها بالأوقاف والجرايات، ويعين لها المدرسين والنظار والخدم وسواهم.

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٧١. أرملة، القصارى في نكبات النصارى، ص ١١.

والنهضة العلمية والفكرية التي شهدتها الجزيرة زمن الأرائقة لم تكن مستمرة على وتيرة واحدة، بل كانت تعترضها بين الحين والحين حواجز تقف عندها، فتتعثر وتتحسر ويتضاءل عدد روادها والمشتغلين فيها تبعاً للمستجدات السياسية والعسكرية التي كانت تقوم في منطقة الجزيرة والعراق. كما حصل في العهد المغولي الإيلخاني والعهد التي تلتها، لأن الذين بسطوا سلطانهم على الجزيرة كانوا يومئذ غرباء عنها من مغول وتيموريين وأعاجم، كان همهم الأول والأخير هو بسط النفوذ وأكل الخيرات والاستفادة من الموقع^(١).



(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٧٢-٣٧٣.

المطلب الأول - الأعلام الجزريون:

المقصد الأول - الأعلام الدينيون:

١- الشيخ بيار المارديني: كان من الفقهاء الصالحين الواعظين. كثير الصوم والمجاهدة، له حرمة ووجاهة داخل بلاد ماردين وخارجها. كان مقدماً عند العلماء والفضلاء، من معاصريه العلامة المؤرخ أبو شامة صاحب كتاب الروضتين، وكان صديقاً صدوقاً له، ودفن شرقي مقبرة ابن شيت في سفح جبل قاسيون وقد صلى على جثمانه أبو شامة نفسه وشارك في جنازته وكانت وفاته بحدود سنة سبع وعشرين وستمائة هجرية^(١).

٢- عماد الدين ابن الشماع المارديني: هو محمد بن عبد الكريم بن عثمان الشماع، كان من أكابر الفقهاء الحنفية، عرف باليقظة والفتنة، وهو من بيت اشتهر بالرياسة والحشمة بماردين، تعاطى التدريس في ماردين وخارج ماردين، ذكره النعيمي في الدراسة: "ولي المدرسة القصاعية بدمشق بعد موت مدرستها بدر الدين ابن الفويرة عمر ما يقارب الخمسين سنة، وكانت وفاته بحدود سنة ست وسبعين وستمائة"^(٢).

٣- عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني الشهير بابن التركماني: من الذين انتهت إليهم رياسة الفقه والعارفين المشهورين بالتفسير، توصل إلى رياسة الحنفية بالديار المصرية، له تصانيف فقهية كثيرة من بينها: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، شرح الجامع الكبير للشيباني، شرح الوجيز

(١) أبو شامة، محمد بن إسماعيل، الذيل على الروضتين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م، ص١٥٨-١٥٩. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد ومحمد حسان عبيد، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١٥، ص١٧٦.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٣، ص٢٣١.

الجامع لمسائل الجامع، ولابن التركمان شهرة واسعة في الديار الماردينية والشامية والمصرية، كانت وفاته في القاهرة سنة (٧٣١هـ/١٣٣١م)^(١).

٤- **مجد الدين عيسى المارديني:** هو عيسى ابن إبراهيم بن محمد بن ثوبان المارديني مجد الدين أبو الحسن، فقيه أصولي اشتهر في زمنه، تفقه عليه جماعة، قيل إنه اشتغل بالنحو وقول الشعر. له تصانيف فيما اشتهر فيه ومنها: مختصر المعالم للفخر الرازي، توفي بحدود سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م)^(٢).

٥- **محمد بن أحمد المارديني التركماني:** محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني التركماني حنفي المذهب، فقيه أصولي، اشتغل بكتابة التاريخ وتعاطي الإفتاء والتدريس. وكانت له مؤلفات في الفقه والأصول والتاريخ، ومن بينها: كتاب الجنان في مختصر الأعيان لابن خلكان، كشف الكاشف الذهني في شرح المفتي للخبازي في الأصول في مجلدين، ذكر أنه قتل في طرابلس الشام سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)^(٣).

٦- **عبدالله بن علي المارديني:** عبدالله بن علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني الأصل المعروف بابن التركمان جمال الدين أبو محمد بن علاء الدين، حفيد الفقيه عثمان ابن إبراهيم الأنف الذكر، ولد بماردين سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م) حنفي المذهب، سمع الحديث، واشتغل فيه، قصد الديار الشامية والمصرية للتزود بالعلوم الفقهية، فنال منها مناله واكتسب سمعة وشهرة، ونال حظوة عند الملوك لوقاره واحتشامه، ولّي القضاء بمصر، كما انتدب للتدريس بالمدرسة الكاملية

(١) الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٢) كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج ٢، ص ٥٩٠.

(٣) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٧٩.

في مصر أيضاً، اشتغل بالإفتاء والتأليف، ومن مآثره: تكملة شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، التي كان قد وضعها جده عثمان. توفي في شعبان من سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٨م)^(١).

٧- **ابن الحرّانية بدر الدين المارديني**: محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي المعروف بابن الحرّانية المارديني بدر الدين، كان فقيهاً أصولياً فرضياً ناظماً، له عدة تصانيف منها: أرجوزة في الخلاف بين الشافعية والحنفية، أرجوزة في الفرائض، مختصر في أصول الفقه. كانت وفاته في سنة (٧٨٠هـ/١٣٧٨م). وفي رواية ثانية سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٧م)^(٢).

٨- **إسماعيل محمد بن قيصر المارديني**: ابن إسماعيل بن محمد بن قيصر مجد الدين الحنفي، البغدادي الأصل، المارديني النشأة، شيخ ماردين ومفتيها، كان قد قرأ على أبيه نجم الدين محمد صاحب المؤلفات الجليلة في العربية نظماً ونثراً. قيل: إن وفاته كانت في سنة (٧٨٤هـ/١٣٧٢م).

٩- **محمد بن عثمان المارديني**: محمد بن عثمان بن علي المارديني، ثم الحلبي، شمس الدين، كان على المذهب الشافعي، من الفقهاء المشهورين في عصره، أصولي محدث له في ذلك تصانيف عدة نذكر منها: شرح المنهاج في أربعة عشر مجلداً، شرح الورقات في أصول الفقه، حاشية على الجامع الصحيح للبخاري في ثلاث مجلدات. توفي بحدود سنة (٨٧١هـ/١٤٦٧م)^(٣).

١٠- **الراهب دانيال المارديني**: كان عالم جيله، عرف بابن عيسى، ولد بماردين سنة ١٣٢٧م، وترهب ورقي إلى الكهنوت في دير القطرة على جبل ماردين، وأقبل على درس السريانية فأصاب من أدبها حظاً، جد في طلب العلم فرحل إلى مصر عام ١٣٥٦م وأقام زهاء سبع عشرة سنة يدرس آداب العربية والمنطق والفلسفة، ثم انكفأ إلى بلاده، من مؤلفاته: مختصر كتاب الأضواء، مخزن الأسرار،

(١) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٢٦٢.

(٢) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٦٥٨.

(٣) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٤٨٢.

الإيتقون لابن العبري وهي مفقودة، منظومة من تسعة أبيات تأنيباً لقس فاسق الأخلاق، تلخيص سبعة عشر فصلاً بالعربية من كتاب الهدايات، تعاليق بالعربية على نسخة سريانية بخطه، فوائد منطقية وفلسفية على هامش زبدة الحكمة، كتاب في أصول الدين وشفاء قلوب المؤمنين، هذا وكان قد نسب إليه كتاب في تفسير دستور إيمان نيقية، وأن بعض النساخ خلطوا بينه وبين سمي له هو الراهب دانيال ابن الحطاب الذي كان معاصراً لابن العبري. كانت وفاة الراهب دانيال بحدود سنة (١٣٧٢هـ/١٧٨٤م).

١١ - **القس يعقوب المارديني:** كان أحد القساوسة اليعاقبة السريان المشهورين، ذكره الشيخ المؤتمن أبو إسحاق ابن عسال فقال فيه "القس الفاضل يعقوب المارديني صاحب دعوة القساوسة" ودعوة القساوسة هذه هي على ما يبدو أنها عنوان لكتاب أدبي روى فيه القس يعقوب أخباراً أدبية لقسوس النصرانية^(١).

١٢ - **أبو أسامة الجزري الرهاوي:** هو زيد بن أبي أنيسة الرهاوي الجزري الغنوي، من آل غني بن أعصر، كان أحد الاعلام، روى عن الحكم، وشهر بن حوشب، وعطاء بن أبي رباح، وطلحة بن مصرف، وعمرو بن مرة، وعدي بن ثابت، ونعيم المجرم، والمعبري، وروى عنه أبو حنيفة، ومالك ابن أنس، وروى له الجماعة، وثقه ابن معين وغيره. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن سعد: كان ثقة رواية فقيها كثير الحديث، توفي سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م)^(٢).

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٧٨.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٥، ص ٢٦.

١٣- أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السُّلَمي الجَزَري الحرَّاني: ذكر أنه محدث حافظ، مؤرخ، ولد بعد سنة (٢٢٠هـ/٨٣٤م). من تصانيفه: تاريخ الجزيرة، والمنتقى من كتاب الطبقات توفي سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م)^(١).

١٤- الشيخ المعتقد خضر بن أبي بكر محمد بن موسى أبو العباس المهراني العدوي: كان أصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر بيبرس. توفي سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م).

١٥- شمس الدين بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري: كان من الفضلاء المطلعين على العلوم، وأخبار العالم، وتواريخ المتقدمين، اجتمع له من الكتب من حانوته بدمشق شيء كثير، كانت له معرفة في كل فن، ونسبته إلى جزيرة ابن عمر. توفي بدمشق سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م).

١٦- أحمد بن الزكي بن عبد الله الموصلي الجزري: كان من أجناد الحلقة، سمع من تاج الدين بن الوراق، وحدث عنه بمشيخته. أخذ عنه الذهبي والبرزالي، وابن رافع. مات بالمزة في شهر المحرم سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، وله بضع وثمانون سنة^(٢).

١٧- أحمد بن علي بن الحسن بن داود الجزري: سكن حماة، ثم دمشق. قال الذهبي: "قصده الطلبة، وكان كثير الذكر والتلاوة". وقال السبكي: "لم أر أجلد على العباداة منه". مات في شعبان من سنة (٧٤٣هـ/١٣٤٢م). فاستكمل أربعة وتسعين سنة.

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال

السرхан، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ١٤، ص ٥١٠.

(٢) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٧٨.

١٨- إسماعيل بن علي بن الحسن بن أبي بكر الجزري: سمع على يوسف بن يعقوب، كان محدثاً، مات سنة (١٣٤٨هـ/٧٤٩م).

١٩- عبدالله بن موسى الجزري: نزيل دمشق، كان فاضلاً وذا معرفة وهيبة، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية. وأقام بالجامع منقطعاً. وجاور بمكة وتعبّد. مات سنة (١٣٢٤هـ/٧٢٥م).

٢٠- أبو الفضل محمد بن محمد بن عطف الموصلي الجزري: ينسبه ابن حجر إلى جزيرة ابن عمر، عاش فيها ومات سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) (١).

٢١- الجزري بن صقيل، محمد بن علي بن غالب الجزري الدمشقي، المعروف بابن صقيل الجزري شمس الدين: فاضل، مات قتيلاً باليمن سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م). من آثاره المقامات الجزرية (٢).

٢٢- علي بن محمد بن يوسف الجزري الخطيب بجامع ابن طولون: مات سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م). أرخه التقي السبكي.

٢٣- محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبدالعزيز الجزري: ولد سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، وسمع من الفخر علي، وإبراهيم بن أحمد بن كامل والتقي السبكي، وابن المجاور، والدمياطي، والعراقي، وغيرهم. قال الجعفري: "كان حسن المذاكرة، سليم الباطن، جمع تاريخاً مشهوراً، وله شعر، وكان متواضعاً محباً في الصالحين، وكان يرحب بهم، ومسلكه جيد، وربما شهد على الحكام". مات سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٨م) (٣).

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٥٢٥.

(٣) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٢٦.

٢٤- محمد بن يوسف بن عبدالله الجزري الشافعي: الإمام العالم الخطيب بجامع أحمد بن طولون. مولده سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م). بجزيرة ابن عمر، قدم دمشق، وبرع في عدة علوم، وعرض عليه القضاة فامتنع، مات سنة (٧١١هـ/١٣١١م).

٢٥- محمد بن يحيى بن محمد بن بدر بن محمد بن يعيش الجزري: أخو الإمام أحمد بن بدر، ولد سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م). سمع منه البرزالي وذكره في معجمه وقال: "مات في صفر سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م).

٢٦- محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري المعروف بابن العوام المحوجب: قرأ بالسبع وتفقه للشافعي، ودرس بالمغربة بعد البرهان السنجاري، وولي العقود أو الفروض عن القاضي الشافعي. مات سنة (٧١١هـ/١٣١١م).

٢٧- أبو سعيد عمرو بن هاشم السنجاري ثم الجزري: قيل إنه روى عن جماعة وروى عنه الكثير.

٢٨- أحمد بن يحيى بن بدر الجزري الأصل: الدمشقي الصالحي، الإمام المقرئ، المجدد الفقيه شهاب الدين الحنبلي^(١).

٢٩- أحمد بن هبة الله بن أحمد الجزري أبو العباس: مقرئ قدم بغداد، وقرأ بها، ذكر له عشر روايات، ومن تأليفه: كتاب في قراءة الحسن البصري. كان حياً سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)^(٢).

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٢١.

٣٠- محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الغني القرشي الجزري: قرأ على أحمد بن نخلة، وكان عدلاً صالحاً أميناً، شافعيّاً، درس بالعصرونية بدمشق، توفي ودفن بمقابر الباب الصغير بدمشق.

٣١- أبو القاسم عمر بن عكرمة، المعروف بابن البزري الجزري: الفقيه الشافعي، إمام جزيرة ابن عمر وفقهها، ومفتيها، تفقه أولاً بالجزيرة على الشيخ أبي الغنائم نزيل جزيرة ابن عمر، ورحل إلى بغداد، واستمع إلى الهراسي، وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وصحب الشاشي، وأدرك جماعة من العلماء، ورجع إلى الجزيرة ودرّس بها، وقصد من البلاد للاشتغال عليه وبطريقته، وكان من العلم والدين في محل رفيع، غلب عليه المذهب الشافعي، وانتفع به خلق كثير. توفي سنة (١١٦٤هـ/١١٦٤م).

٣٢- إبراهيم بن محمد بن مهران الجزري، الفقيه الشافعي: كان فقيهاً فاضلاً كثير الورع، جمع بين العلم والعمل، تفقه بجزيرة ابن عمر على يد عاملها يومئذ عمر بن محمد البزري، قدم بغداد، وسمع بها الحديث، وعاد إلى الجزيرة ودرس بها وأفتى. مات سنة (١١٨١هـ/١١٨١م).

٣٣- ضياء الدين عيسى الهكاري: كان فقيهاً شجاعاً كريماً ذا عصبية ومروءة، وهو من أصحاب الشيخ الإمام أبي القاسم بن البزري، تفقه عليه بجزيرة ابن عمر، اتصل بأسد الدين شيركوه، فصار إماماً له، فرأى في شجاعته ما جعل له إقطاعاً، وتقدم عنه صلاح الدين الأيوبي تقدماً عظيماً. مات سنة (١١٨٥هـ/١١٨٩م) (١).

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٣.

٣٤- أبو القاسم عبد القاهر ابن الشيخ أبي طاهر الجزري الشافعي: تفقه ببغداد على مذهب الإمام الشافعي، وحصل طَرَفًا حسنًا من المذهب والأصول والخلاف. حدّث ببلده جزيرة ابن عمر، ومات في ريعان شبابه سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م)(١).

٣٥- يحيى بن بكران الجزري: أحد المعدلين بدمشق، كان تاجرًا، فتولى ديوان الحشر وغيره، وكان طلق المحيا، ظريف الحركات، ودودًا، رافق عمه المعلم الجزري وكان شيخًا يتلقى العساكر إذا قدمت مع السلطان في زمن العادل الأيوبي، وفي رأسه مصحف كريم يحمله في كيسه وهو راكب. مات سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م). ودفن بباب الصغير بدمشق(٢).

٣٦- الشيخ أبو العباس الخضر بن محمد بن علي النيسابوري الأصل، الجزري المولد، الموصلي المنشأ: دخل بغداد وسمع بها من أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي وغيره، حدّث فيها، وسأل عن مولده فذكر أنه ولد في جزيرة ابن عمر سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م). كان يعبر الرؤيا، مات ودفن ببغداد سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م).

٣٧- الشيخ أبو بكر محمد بن سعيد ابن الندي: الموصلي المولد والمنشأ، والمقيم بجزيرة ابن عمر. تفقه بالموصل مدة طويلة، ثم توجه إلى جزيرة ابن عمر وأقام بها ودرس، ووزر لصاحبها محمود بن سنجار شاه، سافر إلى أربل واتصل بصاحبها، ثم عاد إلى الجزيرة، ولازم بيته إلى حين وفاته سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)(٣).

(١) المرجع نفسه، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٢٣٠.

(٣) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٤-٢٨٥.

٣٨- مجدالدين ابن الأثير، أبو السعادات المبارك محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، (٥٤٤هـ/١١٤٩م - ٦٠٦هـ/١٢١٠م): الذي برز في الحديث النبوي الشريف من أهم مؤلفاته: جامع الأصول في أحاديث الرسول، النهاية في غريب الحديث، الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف، الشافي في مسند الشافعي، المختار في مناقب الأخيار^(١).

٣٩- ابن تيمية الحرّاني(الجد) مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر الفقيه الحنبلي: ولد بمدينة حرّان ودرس على يد شيوخها، وفي مقدمتهم عمه الخطيب فخر الدين ابن تيمية، ثم رحل إلى بغداد وهو صغير السن برفقة ابن عمه، وبقي بها مدة ستة أعوام درس فيها على شيوخها، ثم رحل إلى بلاده وأخذ العلم مرة ثانية من عمه الخطيب، ثم رحل مرة ثانية إلى بغداد، فأتقن علوم اللغة العربية، والحساب، والجبر، والمقابلة وعلم الفرائض، على العلامة أبي البقاء العكبري الذي قرأ عليه كتاب الفخري في الجبر والمقابلة.

ومع دراسته هذه في العلوم العقلية فإنه كان ضليعاً في علوم الفقه حتى قيل: "ألين الفقه للشيخ المجد كما ألين لداود الحديد". تولى مهنة التدريس في المدرسة النورية بحرّان، وقد حدّث في عدة مناطق كالجزيرة والعراق وبلاد الشام بالإضافة إلى بلاده.

ومن مؤلفاته "أطراف أحاديث التفسير" و"الأحكام الكبرى" في عدة مجلدات والمنتقى في أحاديث الأحكام" وهو الكتاب المشهور الذي اقتبسه من كتاب "الأحكام الكبرى" "والمحرر" وهو في الفقه، و"منتهى الغاية في شرح الهداية"، وقد أتم منه أربعة مجلدات كبار إلى موضوع الحج، وظل الباقي مسودة لم تبيض، وله مجلد واحد في أصول الفقه، وله مسودة في اللغة العربية أخذ العلم عنه ابنه شهاب الدين عبد الحليم، وابن تميم صاحب "المختصر" وغيرهما، وقد سمع منه الكثيرون وأجاز

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٤٨٨-٤٨٩.

لتقي الدين بن حمزة الحاكم، ولزینب بنت الڪمال ولأحمد بن علي الجزري. وتوفي في بلدة حرّان في (١٢٥٤هـ/١٨٣٩م) (١).

٤٠- شيخ الإسلام ابن تیمیة: هو الإمام المجتهد تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تیمیة الحرّاني. ولد بحرّان يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة، ونشأ في بيئة علمية، فكان جده أبو البركات عبد السلام بن عبد الله، من أئمة علماء المذهب الحنبلي، ووالده من علماء المذهب، اشتغل بالتدريس والفتوى، وولي مشيخة دار الحديث السكرية حتى وفاته.

انتقل مع أسرته إلى دمشق على إثر تخريب المغول لبلده حرّان، وهو ابن سبع سنين، وبدأت عليه مخايل النجابة والذكاء والفتنة منذ صغره، فحفظ القرآن في سن مبكرة، ولم يتم العشرين إلا وبلغ من العلم مبلغه، ذكر ابن عبد الهادي في ترجمته: أن (شيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ، سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير، وعُني بالحديث، وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه، حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه).

أفتى وله تسع عشرة سنة، وشرع في التأليف وهو ابن هذا السن، وتولى التدريس بعد وفاة والده، سنة (٦٨٢هـ) بدار الحديث السكرية، وله إحدى وعشرون سنة، حتى اشتهر أمره بين الناس، وبعد صيته في الآفاق، نظراً لغزارة علمه وسعة معرفته، فقد خصه الله باستعداد ذاتي أهله لذلك، منه قوة

(١) الحارثي، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية، ص ٣٤٢-٣٤٣.

الحافظة، وإبطاء النسيان، فلم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء إلا ويبقى غالباً على خاطره، إما بلفظه أو معناه، ففي محنته الأولى بمصر، صنف عدة كتب وهو بالسجن، استدل فيها بما احتاج إليه من الأحاديث والآثار، وذكر فيها أقوال المحدثين والفقهاء، وعزاها إلى قائلها بأسمائهم، كل ذلك بديهة اعتماداً على حفظه، فلما روجعت لم يعثر فيها على خطأ ولا خلل.

شارك في معركة شقحب، التي وقعت بين أهل الشام والمغول، بقرب دمشق في شهر رمضان سنة (٧٠٢هـ)، وانتهت بانتصار أهل الشام ودحر المغول الذين أرادوا بسط نفوذهم في الشام، وتوسيع سلطتهم على أطرافها، وقد ضرب ابن تيمية في هذه المعركة أروع مثال للفارس الشجاع.

من مؤلفاته: ١ - الاستقامة ٢ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٣ - بيان تلبيس الجهمية ٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥ - درء تعارض العقل والنقل ٦ - النبوات. وله من الفتاوى والكتب والرسائل الكثير جداً مما طبع بعضه مستقلاً، وبعضه في مجاميع كبيرة وصغيرة، والكثير منه لا يزال مخطوطاً سواء كان موجوداً أو في عداد المفقود.

توفي رحمه الله، ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، بقلعة دمشق محبوساً، بعد مرض أصابه بضعة وعشرين يوماً، فاشتد أسف الناس عليه. قيل: إن عدد من حضر جنازته يزيد على نحو خمسمائة ألف، وإنه لم يسمع بجنازة حضرها مثل هذا الجمع، إلا جنازة الإمام أحمد رحمه الله^(١).

٤١ - أبو الكرم فتیان بن میاح بن حمد بن سلیمان السلمي الحرّاني: الضرير المقرئ الفقيه الحنبلي. ولد بمدينة حرّان عام (٥١٣هـ/١١١٩م) رحل إلى بغداد وتفقّه بها على شيوخها في المذهب

(١) ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحی أحمد بن محمد العکري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٨، ص ١٤٣-١٥٠.

الحنبلي، مثل أبي البركات عبد الوهاب الأنماطي وأبي زيد الحموي وغيرهما، ثم رجع إلى بلده فدرس بها وأفتى. كان مجيداً ملماً بعلم القراءات والمعاني، فهم الأحكام والوقوف والحلال والحرام. له مصنف في علم التجويد، توفي بحرّان، وقد ذكر ابن العماد الحنبلي أنه توفي عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م) (١).

٤٢ - ابن عبدوس الحرّاني الفقيه الحنبلي أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد: ولد بمدينة حرّان عام (٥١١هـ/١١١٧م) رحل إلى بغداد، وتتلّمذ على شيوخها خاصة على يد الشيخ الحافظ أبي الفضل بن ناصر، فأجاد في علم الفقه خاصة على يد الشيخ الحافظ أبي الفضل بن ناصر، وأجاد في علم التفسير والوعظ، ثم عاد إلى بلده، وكانت له مجالس وعظ سار فيها على طريقه ابن الجوزي الحنبلي في بغداد، وكان إمام جامع حرّان، وأما تلاميذه فكان أهمهم قرينه أبو الفتح نصر الله بن عبد العزيز، والشيخ فخر الدين ابن تيمية، وأخذ عنه علم الحديث أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي لما قدم حرّان سنة (٥٥٣هـ). وقد اشتهر ابن عبدوس بعلم التفسير حيث صنف فيه كتاباً كبيراً، وله كتاب المذهب في المذهب. توفي بحرّان سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، ورثاه فخر الدين ابن تيمية بقصيدة مؤثرة.

٤٣ - الإمام أبو بكر يحيى بن سعدون الأزدي القرطبي المقرئ: توفي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م): كان إماماً متصديراً في اللغة والقراءات.

٤٤ - ابن سبه الماكسيني: الموصلي العلامة صائن الدين أبو الحرم مكي بن ريان توفي سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٧م) (٢).

(١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦١.

(٢) الحارثي، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية، ص ٣٢٢-٣٢٣.

٤٥ - **الفخر ابن تيمية:** أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد الحرّاني الفقيه الحنبلي المفسر المشهور توفي سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، ولد بحرّان عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م) درس القرآن الكريم على والده، والعلوم الأخرى على أبي الكرم فتیان بن مياح وأبي الحسن ابن عبدوس وغيرهما منذ صغره ثم رحل إلى بغداد وأخذ العلم عن شيوخها وتفوق في علوم الفقه والتفسير.

ولما عاد الفخر ابن تيمية إلى بلده اشتغل بالتدريس والوعظ والتصنيف وكان يلقي دروس التفسير صباح كل يوم في جامع حرّان، وكان إمام هذا الجامع وخطيبه، واستمر على ذلك ابتداء من عام (٥٨٨-٦١٠هـ)، ثم قام بالتدريس في المدرسة النورية بحرّان إضافة إلى المدرسة التي أنشأها بنفسه. ومن أهم مؤلفات الفخر ابن تيمية التفسير الكبير في عدة مجلدات، وثلاثة كتب في فقه المذهب الحنبلي مقلداً بها البسيط والوسيط والوجيز للإمام أبي حامد الغزالي، أكبرها "تخليص المطلب في تلخيص المذهب" وأوسطها "ترغيب القاصد في تقريب المقاصد"، وأصغرها "بلغة الساغب وبغية الراغب". وله ديوان في خطب الجمعة، وهو كتاب مشهور، وكتاب "الموضح في الفرائض" وله مصنفات في الوعظ.

وقد أخذ العلم عنه كثيرون يأتي في مقدمتهم: ابنه عبد الغني خطيب حرّان، وابن عمه الشيخ ابن تيمية مجد الدين عبد السلام، وغيرهم وكثيرون صاروا علماء وأئمة مثل ابن الجوزي وغيره^(١).

٤٦ - **قاضي حرّان الحراز الأصم أبو بكر عبدالله بن نصر بن محمد المقرئ الفقيه الحنبلي:** ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م. قاضي مدينة حرّان ومقرؤها، ولد بها ثم رحل إلى بغداد وتفقّه بها، وسمع الحديث الشريف من شاهده وابن شاتيل وطبقتهما، ثم رحل إلى مدينة واسط، وقرأ القرآن الكريم بالروايات على

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٧، ص ١٧٩-١٨٠.

أبي بكر الباقلاني وأبي طالب وغيرهما. ومن مصنفات الحرّاز الحرّاني في القراءات " التذكير في قراءة السبعة" و" مفردات في قراءة الأئمة"، ولقد أقرأ القرآن الكريم حتى وفاته بحرّان^(١).

٤٧- الرسغني عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله: العلامة المحدث المفسر المقرئ شيخ ديار بكر والجزيرة، قائل الطائفة النونية توفي سنة (١٢٦١هـ/١٢٦٢م).

٤٨- شعلة الموصلي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الفقيه الحنبلي المقرئ: ولد عام (١٢٢٣هـ/١٢٢٦م) قرأ القرآن الكريم على أبي الحسن علي بن العزيز الأربلي وغيره وتفقّه على يده، صار مقرئاً محققاً ذا ذكاء مفرط، وفهم ثاقب، ملماً بعلوم اللغة العربية وآدابها. نظم في الفقه والتاريخ وغيره، فقد نظم كتاب " الشمعة في القراءات السبعة"، وصنف عدة كتب كان أكثرها في القراءات، منها شرح الشاطبية" سماه كنز المعاني في شرح حرز الأمانى"، ونظم " اختلاف عدد الآي برموز الجمل"، وكتاب " الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ونظم عقود ابن جني في اللغة العربية سماه "المنقود" وله نظم في العبادات وله كتاب فضائل الأئمة الأربعة. توفي شاباً عن ثلاث وثلاثين سنة بمدينة الموصل سنة (١٢٥٦هـ/١٢٥٨م)^(٢).

٤٩- أبو بكر بن الطلل: شيخ جزيرة ابن عمر، وقرأ عليه جماعة.

٥٠- أبو بكر عمر بن مشيع الجزري: ولد سنة (١٢٣١هـ/١٢٣٣م)، وقدم دمشق فقرأ بها على السخاوي، وسافر إلى بغداد فقرأ بها، ثم عاد إلى دمشق وولي مشيخة الأمراء. كان بصيراً بالقراءات، قيماً بمعرفتها، واقفاً على غوامضها، عالماً بالخارج والأداء. توفي سنة (١٢١٣هـ/١٣١٣م) وقد جاوز الثمانين.

(١) المصدر نفسه، ج٧، ص١٩٩.

(٢) الحارثي، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية، ص٣٢٥-٣٢٦.

٥١- أحمد بن يحيى بن محمد بن بدر أبو العباس الجزري، ثم الدمشقي: ولد في حدود سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) مهر في الفن، وأقرأ بسفح قاسيون قال الذهبي: وهو من خيار عباد الله، أخذ عنه المحدثون. مات في ربيع الأول سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٨م).

٥٢- الحسن بن أحمد الجزري، أبو علي المقرئ بجزيرة ابن عمر: قرأ على يزيد الحلواني، قرأ عليه عبد الله بن الحسين، وقيل فيه: الحسن بن أحمد، وقال فيه الهذلي علي بن أحمد، فوهم به.

٥٣- سعيد بن أحمد بن عمرو بن منصور الجزري: قدم دمشق وقراً بها على أبي الحسن بن علي الأهوازي، وتصدر بجزيرة ابن عمر، وأقرأ فيها سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) بالموصل.

٥٤- علي بن أحمد بن موسى بن محمد أبو الحسن البشنوي: إمام حاذق محصل، اعتنى بالقراءات كثيراً. قرأ بالمشهور، وأفاد واستفاد. قرأ ببغداد وقرأ عليه أيضاً. مات ببغداد كهلاً في حدود سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) وجلبت كتبه إلى الشام^(١).

٥٥- محمد بن عبد الله الجزري الشافعي: متأدب متفقه من أهل جزيرة ابن عمر، رحل إلى عدن وولاه المظفر ديوان النظر هناك، ثم صودر وحبس، ثم أطلق سراحه. مات سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م). له "المختصر في الرد على أهل البدع"^(٢).

٥٦- وهبان بن خليفة، ويقال وهب الجزري: شيخ مقرئ، قرأ على محمد بن عصمة، وأحمد بن إبراهيم المؤدب. وقرأ عليه أبو القاسم الهذلي بجزيرة ابن عمر^(٣).

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٦.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٤٣٤.

(٣) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٧.

٥٧- محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري: مؤلف كتاب غاية النهاية ولد بدمشق سنة (١٣٥٠هـ/١٣٥٠م). حفظ القرآن، وسمع الحديث، وقرأ الكافي وجمع القراءات. رحل إلى مصر، وعاد إلى دمشق، ثم رحل ثانية. فقيه، قرأ الأصول والمعاني والبيان. ثم رحل إلى الإسكندرية، وأذن له بالافتاء، وجلس للإفتاء، ولي مشيخة الإقراء الكبرى، وقضاء الشام سنة (٧٩٣هـ/١٣٩٠م).

دخل بلاد الأناضول لما ناله من الظلم في الديار المصرية، ونزل بمدينة السلطان "بايزيد بن عثمان". قرأ على يده الكثير من علماء عصره. وصل إلى مدينة "هراة" و"يزد" و"أصبهان" ثم إلى "شيراز" سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) فأمسكه سلطانها "بير محمد"، وألزمه بالقضاء بها وبممالكها، ثم رحل إلى البصرة ثم إلى قرية "عنيزة" بنجد، فنظم بها "الدرة" وانتقل إلى المدينة، ثم إلى مكة، ألف في المدينة كتاب "نشر القراءات العشر" وكتاب "تاريخ القراء" ثم إنتقل إلى ما وراء النهر -بناء لطلب أمير تمر- وألف هناك في التفسير والحديث والفقه والعربية، ونظم كثيراً من العلوم. توفي في سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م). بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها^(١).

(١) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٦٨٧.

المقصد الثاني - الأعلام المؤرخون واللغويون والشعراء:

١ - إسحاق بن أحمد المارديني: قال الثعالبي في يتيمة الدهر: إنّ إسحاق كان ناظماً للشعر، وله فيه قصائد في مجالات متعددة. وإن وفاته كانت قبل سنة تسع وعشرين وأربعمئة^(١).

٢ - ابن الصفار المارديني: هو علي بن يوسف بن محمد بن عبدالله بن شيبان بن الحسن بن عامر بن عبدالله أبو الحسن جلال الدين النميري المارديني المعروف بابن الصفار، مولده بماردين سنة خمس وسبعين وخمسائة هجرية، كان شاعراً مجيداً، له فضل وأدب. نال شهرة واسعة، وحظي بمكانة عند الملوك فاستقدموه وأوكلوا إليه بعض الوظائف في دواوين الدولة، وأفادت المصادر أنه خدم بكتابة الإنشاء للملك المنصور ناصر الدين أرتق صاحب ماردين (٥٩٧-٦٣٧هـ/١٢٠٠-١٢٣٩م) مدة ثم عزل، وبعدها انتقل إلى دُنَيْسَر وتولى فيها الإشراف على الديوان أكثر من ثماني عشر سنة. كانت له تنقلات كثيرة بين ماردين وسائر ديار الجزيرة وبلاد الشام كتب في مجالات الشعر والأدب وترك مصنفاً حوى آداباً كثيرة سماه أنس الملوك، كما ترك عدداً من القصائد التي امتازت بالشعر الرائق. مات ابن الصفار مقتولاً. قتله المغول لما دخلوا ماردين في أواخر سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)^(٢).

٣ - أبو الربيع سليمان المارديني: هو سليمان ابن إسماعيل ابن أبي الليث النصراني المارديني. كان من أدباء القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري ومعاصراً لابن منظور المتوفى سنة (٧١١هـ/١٣١٢م). عاش في مصر. كان شاعراً موهوباً وردت له قصائد ومقاطع متفرقة في تأليف الأدباء.

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٧٩.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٤٦.

٤- يوسف بن أحمد المارديني: جاء في الدرر: "كان ينظم ويعرف العروض، تردد على بلاد الشام ومدح الأعيان. كان حسن الخط، وأسند إليه الخطابة بالموصل، ولهذا عرف ولده أحمد بابن خطيب الموصل، لم يرد في المصادر تحديد لمولده أو وفاته، وإنما حدد ابن حجر في الدرر سنة وفاة ولده أحمد فقال: مات بحماسة سنة سبعين وسبعمائة هجرية. وهو ابن سنتين". وعليه تكون وفاة المارديني يوسف في مطلع الربع الأول من القرن الثامن الهجري.

٥- محمد بن قيصر المارديني: هو محمد بن قيصر بن عبدالله البغدادي الأصل المارديني الدار نجم الدين النحوي، إشتغل ففاق في النحو والتصريف والمعاني والقراءات والعروض، صنف في جميع هذه المجالات، كما كان له نصيب كبير من نظم الشعر، ألف قصيدة على وزن الشاطبية في القراءات بغير رمز. كان كثير الهجاء سيئ السيرة، ومع ذلك فقد كتب عليه أهل ماردين لنبوغه وإفادته، مات في ذي القعدة من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة هجرية^(١).

٦- سريجا بن محمد الملطي المارديني: سريجا بن محمد بن سريجا الملطي ثم المارديني، الشافعي زين الدين، عالم، أديب، مشارك في العلوم وله تصانيف فيها متعددة، نظم الشعر وقاله وشعره رائع، ومن مؤلفاته: نهاية الجمع في القراءات السبع، علم الكرام في علم الكلام، دفع جهل الجزيرة في أنفع أهل الجزيرة، دفع أخبار الواردين في جميع أخبار ماردين، أحكام السبعة في القراءات السبع، أخبار العيان من أخبار الأعيان، إذلال النكوس في إضلال المكوس. مات الملطي المارديني سريجا بن محمد بماردين بحدود سنة ثمان وثمانين وسبعمائة هجرية^(٢).

(١) شمساني، مدينة ماردين، ص ٣٨٠.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٨٢. كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٧٥٥.

٧- سبط المارديني: محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الغزال الدمشقي، ثم المارديني بدر الدين، الشهير بسبط المارديني أصله من دمشق، ومن مواليد القاهرة لسنة ست وعشرين وثمانمائة. مارديني الإقامة، شافعي المذهب، رياضي، فلكي، عين في وقت ما في الجامع الأزهر في القاهرة، كان لمؤلفاته الكثيرة والشهيرة في العصور اللاحقة بالغ الأثر فيما توصل إليه العلماء في مجال الرياضيات والفلك. تقلب سبط المارديني في عدة وظائف ما بين القاهرة وماردين وغيرهما. مات بحدود سنة (٩٠٧هـ/١٥٠٢م)(١).

٨- الطاهر، أو الظاهر ابن العديم الجزري: من أهل جزيرة ابن عمر، كان شاعراً مطبوعاً، حلو الألفاظ سهلها، مدح سيف الدولة الحمداني، وعضد الدولة البويهية.

٩- أبو سعيد محمد بن أبي القاسم الحسين بن علي بن عبدالرحيم البغدادي الوزير: ولد سنة (٣٨٧هـ/٩٩٧م)، من بيت الوزارة، تقدم في علم الحساب، وقصد مجالس العلماء، وسمع الحديث، ولي الوزارة للملك جلال الدولة بن بهاء الدولة سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م). وقد عزل عن الوزارة، وأعيد ست مرات. صنف كتاباً في أخبار الشعراء، وله أشعار حسنة، أقام في جزيرة ابن عمر، وتوفي بها سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م).

١٠- حسين بن أحمد بن عبدالله الجزري الشافعي: شاعر، من مآثره "مصباح الزمان في الأدب" و"ديوان شعر". توفي سنة (٤٤٤هـ/١٠٢٥م)(٢).

١١- الفصيح أبو بكر محمد بن أبي النجم بن البطريق بن منير بن عسكر بن واقد بن أحمد بن يحيى بن الحسن العجلوي النحوي: كان من فصحاء الدهر، وأدباء العصر، وكان كثير الأسفار،

(١) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٥٤. كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص٦٢٤.

(٢) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص٢٨٨.

مدح الأمراء والأعيان، وله شعر كثير، ثم ترك الشعر وسافر إلى دمشق، مولده في جزيرة ابن عمر سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م). مات في دمشق سنة (٧٣٦هـ/١٢٣٩م).

١٢- **الصاحب محيي الدين ابن الصاحب شمس الدين الجزري**: استقل بتدبير الملك في جزيرة ابن عمر، بعد وفاة والده شمس الدين. كان فاضلاً، محباً للفضلاء، مقرباً لهم، يلازمهم أبداً، يتحفونه بالفوائد ويؤلفون له التصانيف الحسنة، وكان عنده عدد من الفقهاء، والمشايخ، وأعيان ذلك العصر. وكان شاعراً مذكوقاً. وكان الصاحب وأبوه وأولاده فضلاء شعراء، ومماليكه أيضاً. توفي بدمشق سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م).

١٣- **مجد الدين بن أبي بكر بن إبراهيم الجزري**: كان من أجود الناس وأخيرهم، رحل من جزيرة ابن عمر إلى الحجاز فمصر، ثم إلى دمشق واستوطنها. كان مولده سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) بجزيرة ابن عمر، وتوفي سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م). بدمشق وعمره ثلاث وثمانون سنة.

١٤- **الشيخ محيي الدين محمد الجزري المشهور**. كان من أكابر جزيرة ابن عمر وفضلائها^(١).

١٥- **عبد المطلب بن مرتضى الحسيني الجزري**: نحوي فقيه، ولد سنة بضع وخمسين وستمائة، واشتغل في النحو والفقه، وتخرج به فضلاء الموصل. من تصانيفه "ضوء الدرر في شرح ألفية ابن معطي في النحو". توفي سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٨م)^(٢).

١٦- **محمد بن يوسف بن عبدالله بن محمود الجزري**، ويعرف ب**ابن الحشاش**: فقيه، عارف بالنحو والبيان، والمنطق، والطب، والرياضيات، والشعر، والتفسير، وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية. ولد بجزيرة ابن عمر، وقدم مصر، فسكن في قوص، وأخذ عنه السبكي علم الكلام، توفي سنة

(١) غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣١٤.

(٧١١هـ/١٣١٢م). وتصانيفه: شرح ألفية ابن مالك في النحو، شرح التحصيل، ديوان شعر، ديوان خطب، شرح المنهاج للبيضاوي في أصول الفقه^(١).

١٧- **حسين بن أحمد بن حسين الحلبي المعروف بابن الجزري**: أديب شاعر، ولد بحماة سنة (٩٩٧هـ/١٥٨٩م) وتوفي بحلب سنة (١٠٣٣هـ/١٦٤٥م).

١٨- **رمضان بن أبي هريرة الجزري القادري**: له " الخلاصة لأهل الرئاسة في الحساب " فرغ منه في آخر جمادى الأولى سنة (١٠٩٢هـ/١٦٨١م)، وكان لا يزال حياً. لم تشر المصادر أو المراجع إلى تاريخ ولادته، ولا إلى تاريخ وفاته^(٢). بينما وتشير المصادر التاريخية إلى وجود علماء يعرفون بعلم الفلك، عاشوا في جزيرة ابن عمر، ومن هؤلاء نذكر ما رواه عنهم ابن الأثير، فقال في أحداث سنة ٥٧١هـ: "في هذه السنة انكسفت الشمس جميعها، وأظلمت الأرض وكان ذلك في ضحوة النهار، وكنت حينئذ صبياً بظاهر جزيرة ابن عمر، مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه الحساب، فلما رأيت ذلك خفت خوفاً شديداً، وتمسكت به، فتقوى قلبي^(٣)".

١٩- **عز الدين ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير الجزري**، ولد بالجزيرة ونشأ بها سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م - ٦٣٠هـ/١٢٣٣): المؤرخ الإمام الزاهد، كان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين إليها. حافظاً للتواريخ، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم. له مؤلفات " الكامل في التاريخ " واختصر كتاب الأنساب للسمعاني " اللباب في تهذيب الأنساب " " أسد الغابة في معرفة الصحابة " و"تاريخ الدولة الأتابكية" و"تاريخ

(١) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،

دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص٢٧٨.

(٢) كحالة، **معجم المؤلفين**، ج١، ص٧٢٦.

(٣) غندور، **تاريخ جزيرة ابن عمر**، ص٢٨٨-٢٩٠.

الموصل" و"آداب السياسة" و "الجامع الكبير في علم البيان" ويعتبر أبو الحسن علماً من أعلام المؤرخين في العصور الوسطى، ومؤلفاته ما زالت من أهم المصادر التاريخية إلى اليوم^(١).

٢٠- ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، (٥٥٨هـ/١١٦٣م - ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) الأديب الشاعر واللغوي: له من التصانيف: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الوشي المرقوم في حل المنظوم، الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، الاستدراك في الرد على رسائل ابن الدهان^(٢).

٢١- ابن الأزرق الفارقي: هو القاضي، عماد الدين، أحمد بن يوسف بن علي، ينتمي ابن الأزرق إلى أسرة ذات مكانة مرموقة، فقد تولى جده الرئيس علي ابن الأزرق منصب النظارة عند محمد بن جهير.

ولد ابن الأزرق بمدينة ميفارقين في سنة (٥١٠هـ/١١١٦م). ويحتمل أنه توفي في سنة (٥٨٠هـ/١١٨٣م)^(٣) ونشأ بها وتلقى بها أولى خطواته التعليمية كقراءة القرآن الكريم والكتابة، ثم رحل إلى مدينة بغداد، فدرس بها- على يد شيوخها- الفقه والفرائض واللغة والنحو والحديث الشريف وتفسير القرآن الكريم، لكنه شغف بعلم التاريخ أكثر من غيره من العلوم فاجتهد في طلبه، وقرأ الكثير من المصنفات التاريخية^(٤).

(١) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ج ٤، ص ٢٨. صابان، سهيل، جزيرة ابن عمر في التاريخ والحضارة، مجلة الفيصل، العدد ٢٩٣، ذوالقعدة ١٤٢١هـ/شباط ٢٠٠١م، ص ٥١.

(٣) الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق، تاريخ ابن الأزرق الفارقي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، المطبعة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص ٧.

(٤) الفارقي، تاريخ ابن الأزرق الفارقي، ص ١١.

وكتاب ابن الأزرقي الفارقي المسمى " تاريخ مَيَّافَارِقِينَ"، ليس خاصاً بتاريخ مدينة مَيَّافَارِقِينَ فحسب، بل هو موسوعة ثقافية عامة للعصور السابقة وللعصر الذي عاش فيه، وهو القرن السادس الهجري. وقد اشتمل الكتاب على سير الخلفاء والأمراء والوزراء والسلاطين والعلماء، وتحدث عن سياسة الأفراد والأقوام، وعن نزاع بعض الطوائف الدينية وعن خصائص كثير من البلدان الجغرافية وأحوال تلك الأمم والشعوب وعاداتها وعلومها.

وتحدث عن تاريخ الدول والإمارات التي قامت في بلاد الشام والعراق والجزيرة الفراتية وأرمينية وبلاد فارس وعن الدول التي قامت فيها مثل السلاجقة والأتابكة والزنكيين والمروانيين والأرناؤة، وعلاقة هذه الدول مع بعضها في السلم والحروب، والعلاقات بينها وبين الخلافة العباسية، وبينها وبين جيرانها مثل الدول البيزنطية والفاطمية فضلاً عن الأندلس ودول شمال المغرب. ولم يهمل المؤلف مدينة مَيَّافَارِقِينَ التي يحمل الكتاب اسمها فتحدث عن تاريخها في أيام الفرس والرومان، ثم عن فتح المسلمين لها في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم رضي الله عنه، وهكذا استمر في سرد تاريخها ذاكراً معالمها الحضارية من مبان وعمارة كالميادين والجوامع والمدارس ومن توفي بها من الأعيان والحكام والعلماء في كل عهد حتى سنة (٥٧٢هـ).

ولما كان قد تولى مناصب إدارية في عدة مناطق - خاصة في مدينته - فإن كتابه هذا يعتبر وثيقة تاريخية دون فيها خبراته، وكذلك فإنه قد دون بعض المعلومات التي استقاها ممن سبقه من المؤرخين مثل فتوح البلدان للبلاذري، خاصة عند حديثه عن معركة القادسية الشهيرة بين المسلمين والفرس، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

(١) الفارقي، تاريخ ابن الأزرقي الفارقي، مقدمة التحقيق، د.ص.

وكذلك استفاد ابن الأزرقي الفارقي من كتاب "التشعيب" وهو كتاب عثر عليه في البيعة الملكية بمدينة مَيَّافَارِقِينَ، فترجمه من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، ومن "تاريخ بغداد" لابن أبي طاهر طيفور الذي أخذ منه كثيراً من المعلومات عن البيت النبوي وعن الأمويين... الخ^(١).

كما أخذ عن كثير من المؤرخين مثل ابن قتيبة والمسعودي والصولي وأخذ من كتاب الأغاني للأصفهاني ونقل عن تاريخ دمشق لابن عساكر وعن المسالك والممالك لابن خردادبه ومن كتب التفسير وغيرها^(٢).

وكان ابن الأزرقي مُقِلًّا في اقتباساته، فهو يعتمد على المعنى العام للنص الذي يأخذه. هذا بالنسبة للنصف الأول من كتابه، بينما اعتمد النصف الثاني منه خاصة عند حديثه عن العصر الذي عاش فيه فقد اعتمد فيه على مذكراته ومشاهداته وسماعه شخصياً من أشخاص شاركوا في تلك الأحداث أو لديه من خلال رحلاته التي قام بها.

أما الذين أخذوا عنه من المؤرخين وأصحاب المعاجم فهم:

١- ابن الأثير في كتابيه "الكامل في التاريخ" و"التاريخ الباهر" عن الدولة الأتابكية في الموصل.

٢- ابن خلكان في معجمه "وفيات الأعيان"، وياقوت الحموي في كتابيه "معجم الأدباء" و"معجم البلدان"، وسبط ابن الجوزي في كتابه "مرآة الزمان" والعيني في كتابه تاريخ العيني، وابن شداد الحلبي في كتابه "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"، وغيرهم كثيرون^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠-٤٣.

هذا وقد صنف ابن الأزرقي كتابه هذا حياً في تسجيل الحوادث التاريخية وتدويناً لمشاهداته وسماعه فلم يكن إذا مدفوعاً إليه من قبل ملك أو وزير ولا تلبية لرغبة صديق^(١).



(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.



الخاتمة

الخاتمة

حاول الباحث من خلال هذه الدراسة حول الفتح الإسلامي لمدن الجزيرة الفراتية العليا، أنها كشفت عن أحداث حقبة تاريخية مهمة في تاريخ العرب والمسلمين، سبقت انطلاقاتهم الحضارية الكبرى، في مطلع القرن السابع الميلادي، فقد شهدت تلك الحقبة مرحلة التكون العربي والإسلامي الجديد، واستعداد العرب لحمل رسالتهم الإنسانية العظيمة، وكان هذا الإقليم قد استدعى اهتمام الباحثين من مؤرخين وجغرافيين، فعقدوا له الفصول في كتبهم، وتحدثوا عن مدنه وقراه وعن أحواله الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لقد تميزت هذه المنطقة بموقع جغرافي فريد، وبأهمية حيوية من الناحيتين العسكرية والتجارية، فضلاً عما حوته أرضها من خيرات وموارد مائية وفيرة ومحاصيل متنوعة، ساعدت على قيام حضارة عربية عريقة فيها منذ أقدم العصور، في الوقت نفسه الذي جعلها محطاً لأطماع الدول الأجنبية الكبرى آنذاك، وأهمهم الساسانيون والبيزنطيون.

لقد تواصلت هجرات القبائل العربية الحجازية العدنانية، ربيعة ومضر وبكر من شمال شبه جزيرة العرب إلى هذا الإقليم لأحوال وأسباب متعددة، بدءاً من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، وغدت لها أرض الجزيرة دياراً، سميت بأسماء تلك القبائل، وقد سبقت هذه الهجرات هجرات عربية أخرى، منذ الألف الثالث قبل الميلاد، كان مصدرها جميعاً شبه الجزيرة العربية، وكان الآراميون آخر تلك الأقوام الذين استوطنوا الجزيرة بين سنتي ١٥٠٠-٢٠٠ ق.م، وتركوا بصماتهم الحضارية والسياسية الواضحة على عموم المنطقة، وقد نجحت بعض القبائل العربية في إقامة دولة مستقلة وقوية حظيت باهتمام الدول الكبرى آنذاك، فسعت إلى محالفتها وكسب ودها أحياناً، أو إلى مهاجمتها ومحاولة القضاء عليها أحياناً أخرى.

من الناحية السياسية شكل إقليم الجزيرة في ذلك العصر منطقة احتكاك وتصادم حربي بين الدولتين المتنافستين آنذاك: الساسانية والبيزنطية، ودارت على أرضه حروب ومعارك طاحنة بينهما طوال القرن السادس ومطلع القرن السابع الميلادي، كان موقف العرب وتأثيرهم السياسي خلال ذلك يزداد، ونفوذهم ووعيمهم يتعاظم، حتى راحت الدولتان تحسبان لهما حساباً خاصاً في تعاملهما معهم؛ ففي الوقت الذي كانت فيه تتحالف مع هذا الطرف العربي أو تتقرب إلى ذاك، كانت تمارس سياسة التفرقة والتهجير للقبائل العربية بغية تفتيت وحدتها وإضعافها أحياناً، أو تلجأ إلى أسلوب العنف والقوة للحد من قوتها ونفوذها أحياناً أخرى، ولكن المسلمين بفضل وحدتهم وإيمانهم برسالتهم تمكنوا، في مطلع القرن السابع الميلادي، من دحر هاتين الدولتين وتحرير الأرض العربية، فكان الانتصار في معركتي القادسية واليرموك بداية لمرحلة جديدة في حياة العرب والعالم.

ولقد حررت معظم مدن الجزيرة الفراتية صلحاً على يد القائد عياض بن غنم رضي الله عنه سنة ١٨هـ/٦٣٩م، وهو ما كان يؤكد المستوى الحضاري الذي كان عليه أهل الجزيرة ورغبتهم في الحياة الآمنة والتحرر من النفوذ الأجنبي، كما كان ذلك استجابة للسياسة الإسلامية والمبادئ السامية التي حملها الفاتحون، وجسدت بعض جوانبها معاهدات الصلح التي أبرمها الفاتحون مع أهل الجزيرة، فكانت هذه المعاهدات تعبيراً عن روح العدالة والتسامح والاحترام التي جاء بها الإسلام الحنيف تجاه معتنقي الأديان الأخرى.

من خلال البحث في موضوع فتح الجزيرة الفراتية تبين أنها كانت إقليماً مستقلاً بذاته اقتصادياً واجتماعياً وإدارياً وعسكرياً على الرغم من الطبيعة الجغرافية الواحدة لبلاد الشام إلا أن الجزيرة الفراتية كان لها كيانه المستقل، كما أن الجزيرة شكلت بوابة اتصال بين الدولة الإسلامية والدول

الأخرى كأرمينية وأذربيجان وما نتج عن هذا الاتصال التجاري من اتصال حضاري وثقافي وتبادل خبرات وحدوث اختلاط سكاني بين المنطقتين.

ويلاحظ من خلال الدراسة تميز الجزيرة الفراتية بتنوعها السكاني من مسلمين ونصارى ويهود، من عرب وسريان وأكراد ، وشهدت حركة عمرانية واسعة بعد الفتوحات الإسلامية وما كان من تأثير الفتوحات الإسلامية على المنطقة، تمثل بإنشاء المدن وتوسيع مدن أخرى وإضافة منشآت عديدة شغلت دوراً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً مهماً.

استعرضت هذه الدراسة مدن الجزيرة الفراتية العليا وما لعبته من دور مهم في حقبة عديدة، وما كان للجزيرة الفراتية من دور مهم عند الخلفاء ومكانة مميزة لدرجة أنه اختار البعض منهم مدن الجزيرة لتكون عاصمة لدولتهم.

لقد تسامح المسلمون مع أهل الكتاب داخل الجزيرة وخارجها واتضح هذا التسامح من خلال العبارات التي جاءت على لسان أهل الكتاب أنفسهم، حين تحدثوا عن المسلمين الفاتحين وعدلهم. وقد أدى هذا التسامح إلى انتشار الإسلام في معظم أنحاء الجزيرة الفراتية، ذلك أن السكان اندفعوا، دون إجبار، إلى اعتناق الإسلام، وكانوا يدخلون فيه على شكل جماعات متتابعة لاعلى شكل أفراد.

إن الإسلام جاء ديناً مكماً وخاتماً لكل الأديان السماوية، إلا أنه وقف من الديانة النصرانية موقف الإحترام والود، وهذا الموقف نابع من جوهر العقيدة الإسلامية التي تحترم الأديان السابقة، وتؤمن بالأنبياء الذين جاؤوا قبل محمد ﷺ، وتعد ذلك شرطاً أساسياً لاكتمال إيمان المسلم، وكان شعارهم: لا إكراه في الدين.

وبرز دور أهالي الجزيرة في عمليات المراقبة في الثغور والدفاع عن حدود الخلافة الإسلامية، وساهموا مع أهال الشام في حملات الصوائف والشواتي البرية والبحرية، وفي الصراع ضد البيزنطيين. كما كان لبعض جند الجزيرة دور بارز في الصراعات ضد البيزنطيين، وكان على رأس هؤلاء الجند، قادة من الجزيرة، أمثال حبيب بن مسلمة الفهري، وصفوان بن المعطل، وعمير بن الحباب السلمي، وغيرهم الذين كان لهم دور بارز في المراقبة في العديد من الثغور، وفي الحملات ضد البيزنطيين.

كما اهتم أهالي الجزيرة بتربية الحيوانات، وزيادة الثروة الحيوانية بسبب انتشار المراعي وتوفر المياه. وتنوعت حيوانات المنطقة، فكان منها البرية، والداجنة، إضافة إلى الاهتمام بتربية الطيور.

ساعد وجود المزروعات المتنوعة، والحيوانات المتعددة، وتشجيع الخلافة الإسلامية، والتسامح الديني الذي نعم به أهالي الدمة-حيث ترك لهم الخلفاء حرية ممارسة مهنهم وصناعاتهم- على نشاط الحركة الصناعية في المنطقة، ذلك أن بعض هذه الصناعات كانت تعتمد على المنتجات الزراعية، والحيوانية مثل أصواف الأغنام، وشعر الماعز، وأوبار الأبل، وجلودها، والحبر، فامتألت أسواق الجزيرة بمختلف المنتجات الزراعية، والصناعية، مما أدى إلى نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية.

وساهم الفتح الإسلامي في إزالة العوائق التي كانت تعترض نشاط الحركة التجارية بسبب خضوع المنطقة بأكملها لسيادة المسلمين، إضافة إلى نشر الأمن على طول الطرق التجارية، بمحاربة اللصوص، وقطاع الطرق، وإزالة عراقيل الحدود التي كانت تعترض التجارة، إضافة إلى سك الدينار العربي الذي أزال الغش والتلاعب في سك العملات مما سهل عمليات التبادل التجاري بين إقاليم الدولة الإسلامية.

وننتج عن استقرار القبائل العربية في الجزيرة الفراتية بعد الفتح أن تداخلت مساكنها، وكان لهذا التداخل أثر كبير على الاستقرار في الجزيرة، إذ أدى إلى صراع كبير بين قبيلتي قيس وتغلب، وكان له أثر على الوضع العسكري في منطقة الثغور، فقد أدى انشغال المسلمين بحروبهم الداخلية إلى سحب بعض المرابطين للاستعانة بهم، فاستغل البيزنطيون ذلك، وتمكنوا من إعادة سيطرتهم على بعض الثغور والحصون الجزرية. من ذلك: أن الحروب التي وقعت بين قيس وتغلب، وما قامت به قيس من الاستعانة ببعض المرابطين من رجالها أدى إلى استيلاء البيزنطيين على قلعة كمخ.

ويمكن القول بأن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، كان لهما أثر كبير في الأحداث السياسية. ذلك أنه كان لتداخل سكنى القبائل وتضارب مصالحهم أثر في الصراع الذي حدث بين القبائل في المنطقة، وأدى هذا إلى ظهور التكتلات القبلية التي أسفرت بالتالي عن ظهور العصبية القبلية والإقليمية والتي امتدت إلى خارج الجزيرة، كما كان للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أثر في ظهور التعصب الفكري وظهور الخوارج الذي ساهم بشكل كبير في هدم الكيان الأموي والإطاحة بحكمهم، وساعد بالتالي العباسيين بطريق غير مباشر على إقامة دولتهم.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة نوجزها على النحو الآتي:

- يراد بالجزيرة الفراتية المنطقة الشمالية الغربية من العراق والشمالية الشرقية من بلاد الشام بين نهري دجلة والفرات، وتصل في امتدادها إلى أقصى الشمال عند منطقة تعرف بالدروب في سلاسل جبال طوروس، ويصل امتدادها من الشرق إلى جبال زاغروس، ويكون نهر الفرات الحد الغربي للجزيرة عند مدينة الأنبار، ونهر دجلة الحد الشرقي عند مدينة تكريت، وتشكل الجزء الشمالي من العراق والشمالي الشرقي من سورية، والجنوبي من الأناضول (تركيا).

- فتحت أرض الجزيرة الفراتية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨هـ/٦٣٩م إما صلحاً أو حرباً.

- هذا البحث عن الجزيرة الفراتية يُظهر انتماء هذا المصّر للأرض العربية، ويؤكد موقعه الاستراتيجي، وأهميته في ضمان حدود الأمة الإسلامية، وحمايتها.

- مثّلت الجزيرة الفراتية في العصر الأموي ولاية قائمة بذاتها ضمت ثلاثة كور هي: ديار بكر، ومضر، وربيعة. وتمتعت بأهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة بالنسبة للدولة الأموية، بحكم موقعها المتوسط بين العراق والشام وأرمينية، وكذلك بحكم مواردها الطبيعية والزراعية فضلاً عن أنها واحدة من أغنى الأمصار الإسلامية من حيث الموارد المالية التي وفرتها لبيت المال.

- اكتسب النشاط الزراعي في الجزيرة الفراتية أهمية كبيرة، فقد مثّل أساس التطور الاقتصادي، وشهد قطاع الزراعة استغلال مساحات واسعة، فضلاً عن العناية بنظام الري، وشكلت الزراعة العمود الفقري لاقتصاد الجزيرة، وبلغت حدّاً من الازدهار أنها كانت مصدراً لميرة أهل العراق.

- تنوعت المحاصيل الزراعية المنتجة في الجزيرة الفراتية بتنوع أنماط المناخ السائد في الإقليم. واشتهرت الجزيرة الفراتية بالثروة الحيوانية، واكتسب النشاط الحرفي في الجزيرة الفراتية أهمية كبيرة، بحيث كان من الموارد المهمة التي اعتمد عليها سكان الإقليم.

- كما تبين من خلال البحث أنه كان للقبائل القاطنة في أرض الجزيرة أثر كبير في صياغة الأحداث السياسية في الإقليم. فقد كان يسكن الإقليم قبائل عدة وأهمها الآتي:

أ- قبيلة قيس:

حيث سكن الجزيرة بعض القبائل القيسية والتي كان لها أثر في الأحداث السياسية في الإقليم وخارجه، فقد بايعت هذه القبائل لعبدالله بن الزبير، وناضلت في دعوته، ووقفت معارضة لبني أمية مدة من الزمن، كما كان لهذه القبائل أثر واضح في أحداث الدولة الإسلامية من جهاد ومرابطة، وكان لقبائل قيس أيضاً أثر في وصول مروان بن محمد إلى الخلافة حيث كانوا جل جنده وخاصته، وهذا ما جعله ينتقل بمركز الخلافة إلى حرّان إحدى مدن الجزيرة، كما وقفت تلك القبائل مع مروان ضد جيوش الدولة العباسية. وكذلك ضد كثير من ثورات الخوارج.

ب- قبيلة تغلب:

ومن تغلب سكان الجزيرة عدد من فروعها، ومنهم بنو كنانة بن تيم ابن أسامة، ومنهم بنو الفدوكس ابن عمر بن الحارث بن جشم. وكانت تغلب تدين بالنصرانية، ولعل هذا ما جعلهم يشعرون بنوع من العزلة عن مجتمع القبائل المسلمة، ولهذا حاولوا التقرب إلى السلطة، كما أن بقاءهم على نصرانيتهم قد يكون من الأسباب التي أملت على بعض رجال قبائل قيس الاعتداء على مواطن تغلب، وقتل رجالها مثل اعتداءات عمير بن الحباب وقومه على بعض مواطن تغلب.

ج- قبيلة بكر بن وائل:

وكان بعض بطونها قد سكن الجزيرة مثل بني شيبان بن ثعلبة وقد كان لهم أثر كبير في دعم حركة الخوارج في الجزيرة إذ كان معظم قادة الخوارج المشهورين منهم، مثل صالح بن مسرح الشيباني، وشبيب بن يزيد الشيباني، وبهلول بن بشر الشيباني، والضحاك بن قيس الشيباني وغيرهم. وقد كان لبني شيبان أثر في انتشار الفكر الخوارجي في الجزيرة أكثر من غيره.

- ومن خلال البحث اتضحت لنا الجهود العظيمة التي قام بها إقليم الجزيرة وسكانه في سبيل الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية، ومجاهدة الأعداء في ميادين كثيرة. حيث أن مدن الجزيرة كانت ثغوراً تنطلق منها الجيوش الإسلامية لفتح باقي البلدان وكانت خط دفاع أول عن أرض المسلمين. وحيث إن غزو كل من الخزر والروم ارتبط في كثير من مراحل وميادينه بولاية الجزيرة وأهلها الذين باعوا أنفسهم رخيصة في سبيل الدفاع عن الإسلام وأهله، وقد أنفقت الجزيرة الكثير من رجالها في سبيل هذه الغاية السامية.

- برز من أبناء الجزيرة الفراتية علماء أعلام كان لهم الأثر الكبير في التاريخ الإسلامي كأبناء الأثير الجزري وابن الأزرق الفارقي وسبط المارديني وسريجا بن محمد الملطي المارديني وابن الصفار المارديني وابن تيمية الحرّاني وغيرهم من العلماء.

وفي النهاية نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضاه وأن ينال هذا البحث الرضا والاستحسان والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

الملاحق

ملحق رقم (٢)

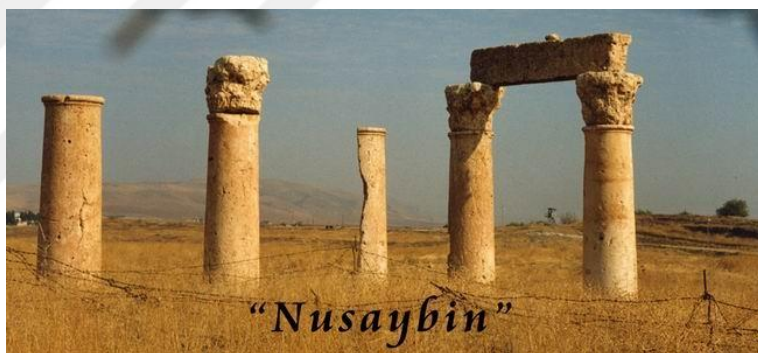
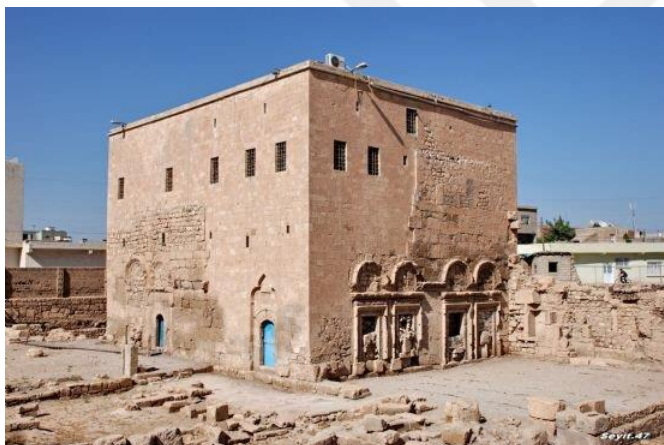
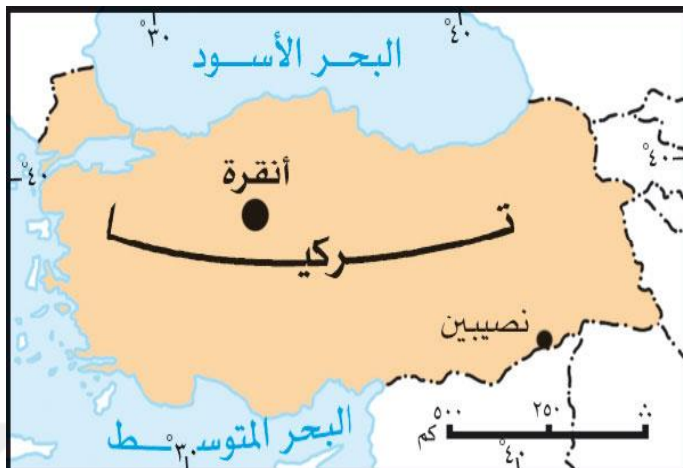
خارطة الجزيرة الفراتية وحدودها



من موقع: fatimaaawda.wordpress.com

ملحق رقم (٣)

مدينة نصيبين



من موقع: www.nusaybinburada.com

ملحق رقم (٤)
مدينة الرُّها (أورفة)



من موقع www.manzaralar.net

ملحق رقم (٥)

الجزيرة الفراتية العليا والسفلى ومنابع نهري دجلة والفرات



من موقع موسوعة ويكيبيديا الحرة

ar.wikipedia.org

ملحق رقم (٦)

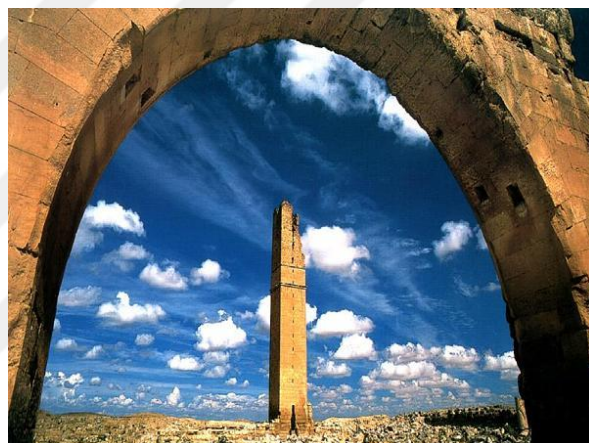
ديارات الجزيرة الفراتية



من موقع موسوعة ويكيبيديا الحرة

ar.wikipedia.org

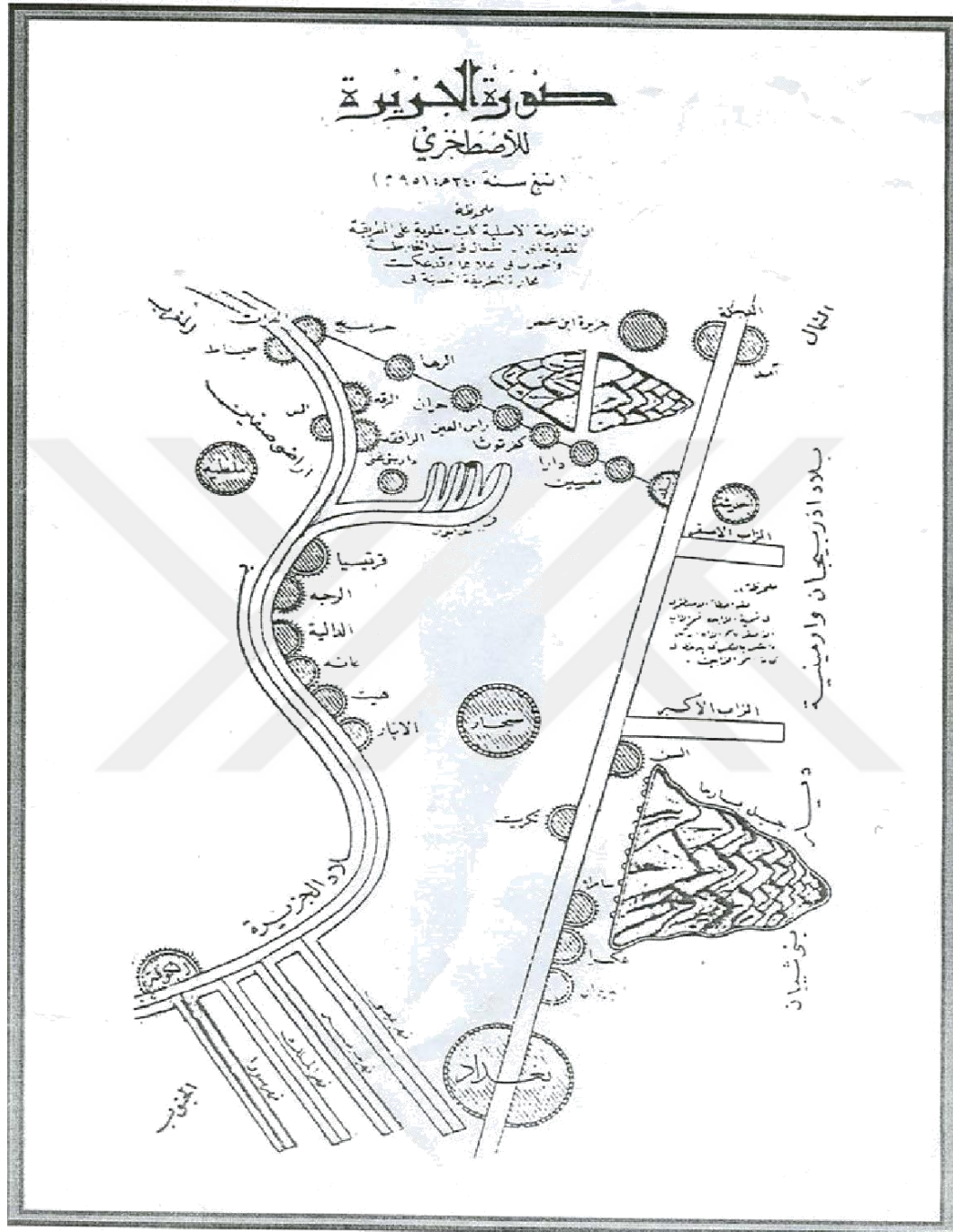
ملحق رقم (٧)
مدينة حرّان



من موقع: www.manzaralar.net

ملحق رقم (٨)

جزيرة ابن عمر

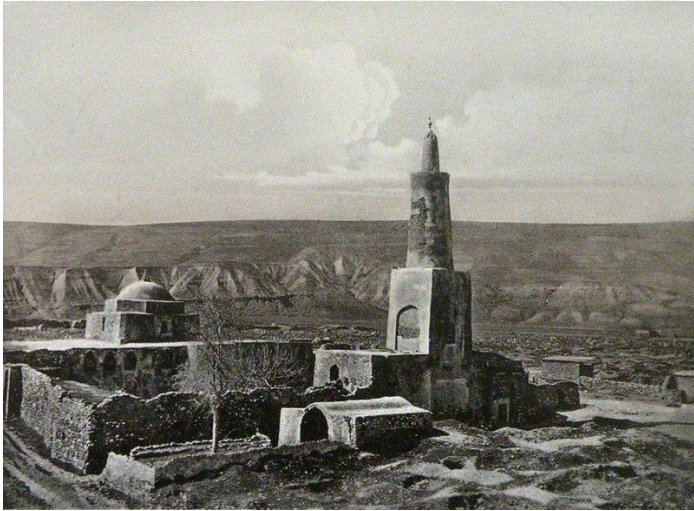


١٧٣

—مسئلة من كتاب: العراق في الخوارط القديمة
— الدكتور احمد سوسة

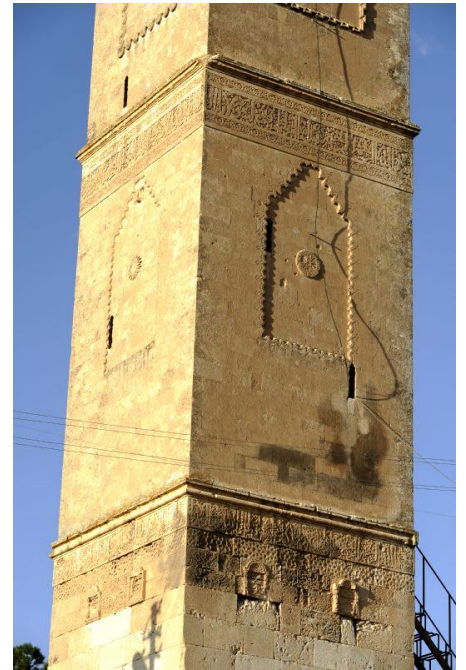
سوسة، أحمد، العراق في الخوارط القديمة، بغداد، دن، د.ت.

ملحق رقم (٩)
جزيرة ابن عمر



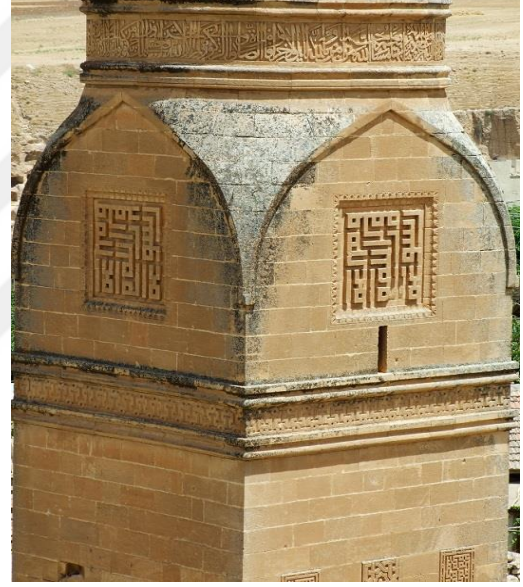
من موقع موسوعة ويكيبيديا الحرة
ar.wikipedia.org

الملحق رقم (١٠)
مدينة مَيَّافَارَقِينَ



من موقع www.silvanresimler.com

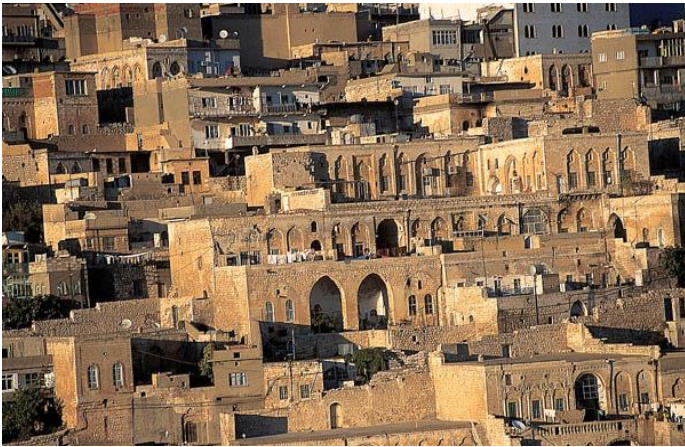
ملحق رقم (١١)
مدينة حصن كيفا



من موقع: arkeolojihaber.net

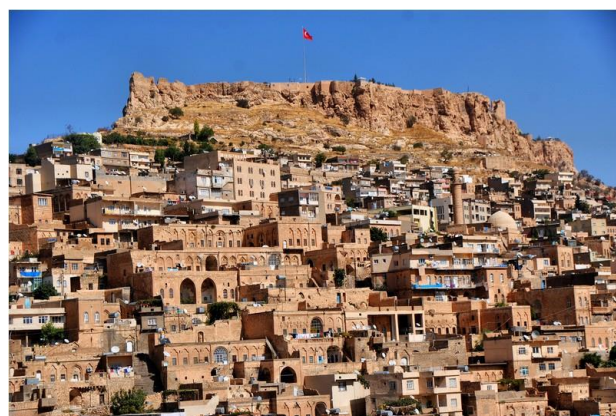
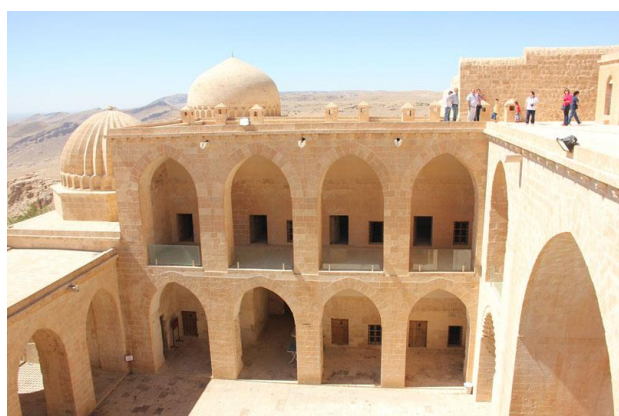
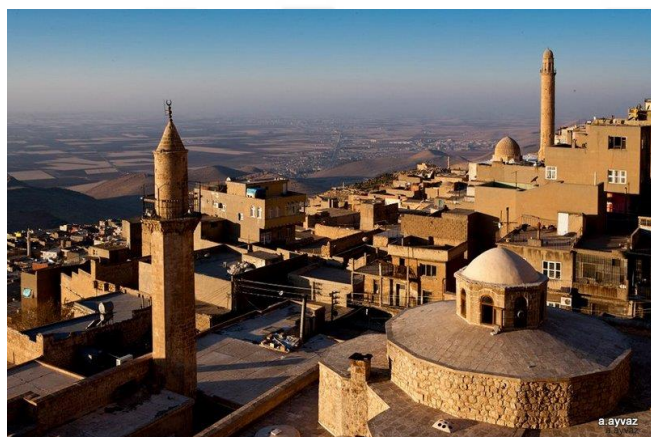
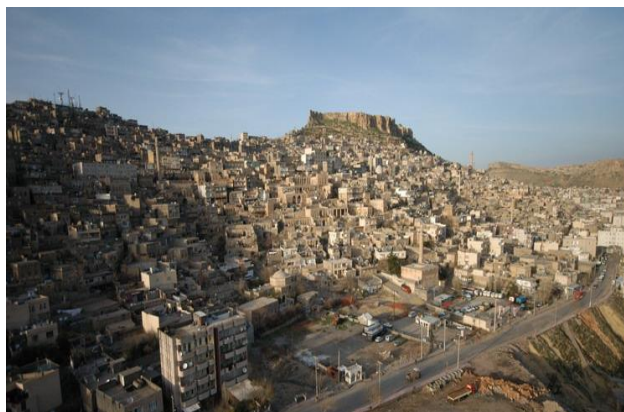
ملحق رقم (١٢)

أشكال وأنواع من الأبنية في الجزيرة الفراتية



من موقع: www.mardinimiz.com

ملحق رقم (١٣)
مدينة ماردين



من موقع: www.mardinimiz.com

ملحق رقم (١٤)

مدينة ديار بكر (آمد)



من موقع: www.diyarinsesi.org



فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أ- المصادر:

- ١- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ٢- ابن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٣- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت: ٣١٤هـ، ٩٢٦م)، **الفتوح**، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٤- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار)**، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٥- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٨م)، **رحلة ابن جبير**، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- ٦- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **صفة الصفوة**، تحقيق: خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- ٧- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، د.ت.
- ٨- ابن حوقل النصيبي، محمد بن علي (ت: ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **تاريخ ابن خلدون**، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- ١٠- ابن رجب الحنبلي، عبدالرحمن بن أحمد (ت: ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م)، **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (فضائل الشام)**، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ١١- ابن رسته، أحمد بن عمر (ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م.
- ١٢- ابن سعد، محمد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي والشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- ١٣- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٠م.
- ١٤- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ١٥- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ١٦- ابن عبدريه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- ١٧- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٨- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- ١٩- ابن العماد الحنبلي، عبدالحى أحمد بن محمد (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٢٠- ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٣٠٢هـ/ ١٩٠١م.
- ٢١- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.
- ٢٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد ومحمد حسان عبيد، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ٢٣- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٢٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت: ٢١٨هـ/ ٨٣٤م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دارالكتاب العربي، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ٢٥- أبو شامة، محمد بن إسماعيل (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، **الذيل على الروضتين**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.
- ٢٦- أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م.
- ٢٧- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م)، **كتاب الخراج**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٢٨- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- ٢٩- الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبدالله البصري(ت:٧٨١هـ/١٣٧٩م)، فتوح الشام، صححه: ولیم ناسولیس الإيرلندي، مدينة كلكتة، ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م.
- ٣٠- الأزدي، محمد بن إياس(ت:٣٣٤هـ/٩٤٦م)، تاريخ الموصل، تحقيق: الدكتور علي حبيبه، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- ٣١- الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت:٣٤٠هـ/٩٥١م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.
- ٣٢- البخاري، محمد بن إسماعيل(ت:٢٥٦هـ/٨٧٠م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م.
- ٣٣- البغدادي، عبد المؤمن ابن عبد الحق(ت:٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٣٤- البكري، عبد الله بن عبد العزيز(ت:٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٣٥- البلاذري، أحمد بن يحيى(ت:٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٣٦- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/٢٠١٢م.
- ٣٧- الحميري، سليمان بن موسى (ت: ٦٣٤هـ/١٢٣٧م)، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٣٨- الحميري، محمد عبدالمنعم(ت:٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣٩- خليفة بن خياط(ت:٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار
طبية، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٠- الدينوري، أحمد بن داود(ت:٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة
الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٤١- الذهبي، محمد بن أحمد(ت:٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف
ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤٢- الرازي، محمد بن أبي بكر(ت:٦٦٦هـ/٨٠٨م)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٣- السبتي، أحمد بن محمد(ت:١٩٢هـ/٨٠٩م)، دراسة وتخرّيج: محمد الشريف، حقيقة الدينار والدرهم
والصاع والمد، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٤- سهراب، عجائب الأقاليم السبعة، تحقيق: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هولزهوزن، مدينة
فيينا، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

٤٥- السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال(ت:٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين
والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٦- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم(ت:٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٤٧- الصفدي، خليل بن أبيك(ت:٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط
وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٨- الطبري، محمد بن جرير(ت:٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل
إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٤٩- عمر بن محمد، عبدالسلام، تاريخ ماردين من كتاب أم العبر، تحقيق: حمدي السلفي وتحسين الدوسكي، دار المقتبس، بيروت، ط ١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٥٠- الفارقي، أحمد بن يوسف ابن الأزرق (٥٨٠هـ/١١٨٣م)، تاريخ ابن الأزرق الفارقي، تحقيق:

عمر عبدالسلام تدمري، المطبعة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٥١- الفارقي، تاريخ ميفارقين، تحقيق: كريم الخولي و يوسف بالوكن، دار نوبهار، إسطنبول، ط ١،

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٥٢- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب

تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥٣- قدامة بن جعفر، بن زياد البغدادي (٣٣٧هـ/٩٤٨م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد

حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ط ١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٤- القلقشندي، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار

الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

٥٥- القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار

الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥٦- القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار عالم الكتب،

بيروت، د.ت.

٥٧- القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني،

بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥٨- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبدالعزيز جاويد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢،

١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥٩- المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق:

محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، ط ٥، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

٦٠- المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية،

القاهرة، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.

٦١- المقدسي، محمد بن أحمد (ت: ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة

بريل، مدينة ليدن الهولندية، ط ٢، ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م.

٦٢- مسلم بن الحجاج (٢٦١ هـ/ ٨٧٥ م)، صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض، ط ١،

١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.

٦٤- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد

الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

٦٥- الواقدي، محمد بن عمر (ت: ٢٠٧ هـ/ ٨٢٣ م)، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر

والعراق، تحقيق: عبدالعزيز حروفش، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

٦٦- الواقدي، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

٦٧- ياقوت الحموي، بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)، معجم البلدان، دار صادر،

بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

٦٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت: ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)، البلدان، المكتبة المرتضوية، العراق،

١٣٣٦ هـ/ ١٩١٨ م.

ب - المراجع العربية والمعرّبة:

٦٩- أبو ضيف، مصطفى، دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل ظهور الإسلام إلى ظهور

الأمويين، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

- ٧٠- أرملة، القس إسحاق، **القصارى في نكبات النصارى**، د.ن، ط١، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م.
- ٧١- أغناطيوس أفرام الأول برصوم، **تاريخ طور عبيد**، ترجمة، غريغوريوس بولس بهنام، بغداد، د.ن، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- ٧٢- التميمي، سيف بن عمر الأسدي ، **الفتنة ووقعة الجمل**، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ٧٣- جواد، علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ٧٤- الحارثي، عبد الله بن ناصر بن سليمان، **الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
- ٧٥- حمودي، شيرين سليم، **الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ٧٦- الخازن، ولیم، **الحضارة العباسية**، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م،
- ٧٧- الخرغان، عبدالله بن عبدالرحمن بن زيد، **إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ٧٨- خطاب، محمود شيت، **قادة فتح العراق والجزيرة**، دار القلم، القاهرة، د.ت.
- ٧٩- دحلان، أحمد زيني، **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**، المطبعة الميرية، مكة، ط١، ١٣٠٢هـ/١٨٤٤م.
- ٨٠- الدملاجي، صديق، **اليزيدية**، مطبعة الاتحاد، الموصل، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- ٨١- الرشيدى، محمد عبدالرحمن مسعد، تاريخ أمْد وحضارتها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، معهدالدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات، إشراف:أ.د. محمد عيسى الحريري ود.ناجي عبد الباسط هدهود، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ٨٢- الزركلي، خيرالدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ٨٣- سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، مراجعة: الياس بيطار، دار العربي، دمشق، ط٦، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٨٤- السيد سعدي، محمدرشيد، قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين، مطبعة الرشيد، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.
- ٨٥- شميمساني، حسن، مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٨٦- شميمساني، مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة ١٥١٥م/٩٢١هـ، دار عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٨٧- صابان، سهيل، جزيرة ابن عمر في التاريخ والحضارة، مجلة الفيصل، العدد٢٩٣، ذوالقعدة١٤٢١هـ/شباط٢٠٠١م.
- ٨٨- الصائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م.
- ٨٩- الصلابي، علي محمد ، أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، دار المعرفة، بيروت، ط٧، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ٩٠- الصلابي، أسى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الصحابة، الشارقة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- ٩١- العمري، سعاد أحمد، الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٩٢- العودات، حسين، العرب النصارى عرض تاريخي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/١٩٩٢م.
- ٩٣- غندور، محمد يوسف، تاريخ جزيرة ابن عمر، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ٩٤- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٩٥- كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ٩٦- الكعبي، عبدالحكيم، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، صفحات للنشر، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- ٩٧- كيستلر، آرثر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ٩٨- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشيرفرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٩٩- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- ١٠٠- مارديني، أحمد شريف، محافظة الحسكة، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ١٠١- متز، آدم، الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.

١٠٢- مجموعة من المؤلفين، كتاب **السالنامه ولاية ديار بكر**، مطبعة الولاية في ديار بكر، ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.

١٠٣- مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العربية**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٠٤- مفتاح، علي محمد فريد، **التواريخ المحلية لإقليم الجزيرة الفراتية حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، طبعة خاصة بالمؤلف، عدن، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠٥- نينايبغو، ليفسكايا، **ثقافة السريان في العصور الوسطى**، ترجمة: خلف الجراد، دار الحصاد، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ج - المراجع الأجنبية:

١٠٦- أرباجي، نوري، **منطقة الجزيرة من القرن الثالث حتى بدايات الفتح الإسلامي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الفرات، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ألاباز، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

Arabaci, Nuray, **iii.yüzyilin ikinci yarısından ilk islam fetihlerine kadar el-cezire bölgesi**, doktora tezi, firat üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, elaziğ, ٢٠١٢.

١٠٧- أوز، يوسف، **اليزديون في ماردين معتقداتهم الدينية وحياتهم الاجتماعية وانتشارهم الجغرافي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مرمرة، معهد العلوم الاجتماعية، قسم المذاهب تاريخ المذاهب الإسلامية، إسطنبول، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

Öz, Yusuf, **mardin yezidileri, inanç, sosyal hayat ve coğrafi dağılım**, yüksek lisans tezi, marmara üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, istanbul, ٢٠٠٧.

١٠٨- بوزكورت، عبدالباقى، فاتح الجزيرة عياض بن غنم ودخول الإسلام إلى ماردين، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة سلجوق، معهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

Bozkurt, Abdalbaki, **el-cezire fatihi iyaz bin ğanem ve mardin'in islamlaşması**, selçuk üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, tarih anabilim dali, yüksek lisans tezi, ٢٠٠٦.

١٠٩- طوكوش، عمر، الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية عند الحمدانيين، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة حرّان، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، أورفة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

Tokus,Ömer, **hamdanîler,siyasi, içtimai, ilmi ve kültürel hayat**, yüksek lisans tezi,harran üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü,urfa, ٢٠٠٦.

١١٠- علي جان، مصطفى، مدينة مَيَّافَارِقِينَ في العصور الوسطى، أطروحة دكتوراه، جامعة آيجه، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إزمير، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

Alican ,Mustafa, **bir ortaçağ şehri olarak meyyâfârikîn**, ege üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü , tarih anabilim dali, izmir, ٢٠١٢.

١١١- غونيش، إبراهيم، دخول دياربكر تحت حكم المغول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

ماردين الأرتقية، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، ماردين، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

Güneş, Ibrahim, **diyâr-i bekr bölgesi'nin moğol hâkimiyetine girişi**, mardin artuklu üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, yüksek lisans tezi ,mardin, ٢٠١٣.

١١٢- غونيش، حسين، مسيرة الفتح الإسلامي في طور عدين، مجلة كلية الإلهيات في جامعة

شرناق، شرناق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، العدد ٦، مجلد ٣.

Güneş, Hüseyin, **Tur Abdin Yöresinin islamlaşma Süreci**, Şırnak

Üniversitesi ilahiyat fakültesi Dergisi, ٢٠١٢, cilt: III, sayı: ٦.

١١٣- قبلان، يوسف، المسيرة التاريخية لقبيلة بكر بن وائل والمثنى بن حارثة الشيباني، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة أربيش، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ الإسلامي، قيصري،

١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

kablan, yusuf, **tarihi süreçte bekir b. vail kabilesi vemüsenna b. harise**

eş-şeybani, erciyes üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, kayseri, ٢٠١٥.

١١٤- قوينجو، مولود، مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة، مجلة جامعة صقاريا للآداب

والفنون، عدد ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

Kuyunc, Mevlüt, **ilk islâm fetihleri döneminde el-cezire bölgesi ve**

islâmlaşma süreci, sakarya üniversitesi, fen edebiyat dergisi, ٢٠٠٨.

١١٥- كافاك، محمد، تاريخ منطقة طور عدين من الفتح حتى الحكم السلجوقي، رسالة ماجستير

غير منشورة، جامعة إسطنبول، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إسطنبول، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

Kavak, Mehmet, **fetihten selçuklu hâkimiyetine kadar tur abdîn bölgesi**

tarihi, yüksek lisans tezi, istanbul üniversitesi ,sosyal bilimler enstitüsü,

tarih anabilim dalı, istanbul, ٢٠١٣.

١١٦- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي، أنقرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

Taştemir, Mehmet “**Mardin**” **Diyanet İslam Ansiklopedisi**, Ankara , ٢٠٠٣.

١١٧ - ناصراًوغلو، مهتاب، ماردين وماحولها في عيون الرحالة الغربيين، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة حرّان، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، أورفة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

Nasiroğlu, Mehtap, **Batili Seyyahların Gözüyle Mardin Ve Çevresi**,

yüksek lisans tezi, harran üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, tarih

anabilim dali, şanlıurfa, ٢٠١٠.

١١٨- ناير، شيخموس، الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند الأرائقة، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة إسطنبول، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، إسطنبول، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

Nayir, Seyhmus, **artukluların sosyo-ekonomik, ve kültürel hayatı**, yüksek

lisans tezi, istanbul üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, istanbul , ٢٠١٠.

١١٩- يالجن قايا، دورسون بك، نصيبين ما بين القرن الثالث والسابع الميلادي، رسالة ماجستير

غير منشورة، جامعة موغلا، معهد العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، موغلا، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

Yalçinkaya, Dursunbey, **iii. ve vii. yüzyıllar arasında nusaybin**, yüksek

lisans tezi, muğla üniversitesi, sosyal bilimler enstitüsü, muğla, ٢٠١٠.

د - المواقع الإلكترونية:

www.mardinimiz.com - ١٢٠

ar.wikipedia.org - ١٢١

www.arkeolojihaber.net - ١٢٢

www.diyarinsesi.org - ١٢٣

fatimaaawda.wordpress.com - ١٢٤

ww.silvanresimler.com - ١٢٥

www.manzaralar.net - ١٢٦

www.nusaybinburada.com - ١٢٧

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الفرق والقبائل

فهرس المحتويات

فهرس الآيات

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰعِثِينَ وَالصَّٰعِثِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ البقرة،

الآية: ٦٢.....ص ٩٢

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة، الآية: ٢٥٦.....ص ١٠٩

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران، الآية: ٧٥.....ص ١٤٤

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ المائدة، الآية: ٩٩.....ص ١٠٩

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ المائدة،

الآية: ١١٦.....ص ١٤٤

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف، الآية: ٨٩.....ص ١٠٨

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ سورة الأنفال،

الآية: ٦٠.....ص ١٨٩

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة، الآية: ٣٣

.....ص ١٠٩

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ التوبة، الآية: ٧٣.....ص ١٣٧

﴿ يَخْلُقُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعَدِ إِسْلَامِهِمْ ﴾ التوبة، الآية: ٧٤....ص ١٧١

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾ سورة هود، الآية: ٤٤.....ص ٣٦

﴿ الم ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢ ﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ سورة الروم، الآية: ١-٤

.....ص ١١٧

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ، الآية: ٢٨

.....ص ١٠٨

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الفتح، الآية: ١.....ص ١٠٨

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الفتح،

..... الآية: ١٧.....ص ١١١

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ النصر، الآية: ١.....ص ١٠٨



فهرس الأحاديث النبوية

- لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة..... ص ١٤٥
- من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدعه علانية..... ص ١٦١
- أهل الشام وأزواجهم وذرائعهم وعبيدهم وإماءهم إلى منتهى ص ١٨٩
- رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها..... ص ١٨٩
- من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده..... ص ١٨٩

فهرس الأعلام

أ

أبان بن معاوية ٢٣٢

ابن الأثير ... ١٣٩، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٧، ٢٠٨، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧،

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٠

أحمد بن الزكي بن عبد الله الموصلي الجزري ٢٤٥

أحمد بن علي بن الحسن بن داوود الجزري ٢٤٥

أحمد بن هبة الله بن أحمد الجزري ٢٥٦

أحمد سوسة ٦٩، ٨٠، ٣٠٩

أرسوس بن جارس ٧٩، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤

أبو أسامة الجزري الرهاوي ٢٥٣

ابن اسحاق ١١٨

إسحاق بن مسلم العقيلي ٢٢٩، ٢٣٢

إسحاق بن أحمد المارديني ٢٦٧

إسماعيل محمد بن قيصر المارديني ٢٥٢

الأشتر النخعي ١٣٥، ١٤٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧

الإصطخري ٢٩، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ١٨٩، ١٩٠، ٣٠٣

ب

باد بن دوستك ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩

البطريق توتا..... ١٢٨

ابن بطوطة..... ٢٦، ٥٤، ١٠٢، ١٠٣، ٣٠١

بكر بن حميد الشيباني..... ٢١٨

أبو بكر الصديق ١١٤، ١١٦، ١٥٣، ١٧٢، ١٨٠، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٩، ٣٠٧

البلاذري . ٦٤، ٦٥، ٧٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧،

١٤٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٠، ٣٠٤

ببرم المارديني..... ٢٤٩

ت

ابن تيمية..... ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣

ج

ابن جبير..... ١٠٠، ١٠٢، ١٠٥، ٣٠١

جرير بن عبدالله البجلي..... ١٥٠

الجزري ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٠

جلال الدين بن خوارزم..... ٢٤٤

ح

حبيب بن مسلمة الفهري..... ١٢٠، ١٥٦، ٢٧٩

إبن الحرائية بدر الدين المارديني..... ٢٥٢

الحسن بن حمدان..... ٢٣٦

الحسن بن عمر التغلبي..... ٤٤

حمدان بن حمدون ٢٣٦

ابن حوقل... ٢٥، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧،

٥٨، ٥٩، ٨١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٨٨، ٣٠١

خ

خالد بن الوليد.. ٤٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٥٣، ١٧٥، ١٧٨، ٢٠٣، ٣١١

ابن خلدون..... ٦٢، ٧٩، ١٤٠، ٢١٧

ابن خلكان..... ١٠٨، ٢٧٤

خليفة بن خياط..... ٢٤، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٢، ٣٠٤

د

دانيال المارديني..... ٢٥٢

داوود بن حمدان ٢٣٦

ر

أبو الربيع سليمان المارديني ٢٦٧

رمضان بن أبي هريرة الجزري القادري ٢٧١

ز

الزهري..... ١١٣، ١١٧، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٠، ١٥٣، ٣٠٢

س

- سابور الأول..... ٦٨
- سبط المارديني..... ٢٦٩
- ابن سبه الماكسيني..... ٢٦٢
- سريجا بن محمد الملطي المارديني..... ٢٨٤، ٢٦٨، ٥
- سعد بن أبي وقاص..... ١٦٤، ١٦٣، ١٦٠، ١٥٥، ١٤٥، ١١٧، ٦٥
- سعيد بن بهدل الشيباني..... ٢١٨، ٢١٧
- سعيد بن عامر..... ٢٠٨، ٢٠٧، ١٦٩، ٦٥
- سهل بن عدي..... ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٦، ١٥٥، ١١٩

ش

- ابن شداد ١٠٤، ٦٢، ٥١، ٤٥، ٤٤، ٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٣، ٣١، ٢٩، ٢٣.....
- ٣٠٢، ٢٠٧، ١٣٩، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٥

- شمس الدين بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري..... ٢٥٤
- شمس الدين الجزري صاحب محيي الدين ابن صاحب..... ٢٧٠

ص

- صالح بن مسرح الشيباني..... ٢٨٣، ٢١٨
- الصحيح الحروري..... ٢١٨
- ابن الصفار المارديني..... ٢٨٤، ٢٦٧، ٥

صلاح الدين الأيوبي..... ٢٥٧ ، ١٠٥

ض

الضحاك بن قيس الفهري..... ٢١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٢

الضحاك بن قيس الشيباني..... ٢٨٣ ، ٢٢١ ، ٢١٧

ضياء الدين عيسى الهكاري..... ٢٥٧

ط

الطاهر ابن العديم الجزري..... ٢٦٩

الطبري... ٦٤ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٥ ، ١٧٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٢٣٢ ، ٣٠٦

ع

ابن العبري..... ٢٥٢ ، ٢٤٤ ، ١٢٧ ، ١٠٨

عبدالله بن الزبير..... ٢٠٥

عبدالله بن المعتم..... ١٤٨

عبدالله بن حمدان..... ٢٣٦

عبدالله بن عبدالله بن عتبان..... ١٦٣ ، ١٥٦ ، ١٥٥

عبدالله بن علي المارديني..... ٢٥١

عبدالله بن موسى الجزري..... ٢٥٤

- ابن عبدوس الحراني.....٢٦٢
- أبي عبيدة ابن الجراح.....١٦٢، ١٦٠، ١٥٥، ١٣٥، ١٢٧، ١١٨، ١١٦، ١١٥، ٦٥.....
- عثمان بن عفان.....٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠١، ١٨٥، ١٧٠، ١٤٩، ١٤٠، ٦٤، ٥٠.....
- عثمان العنزي.....٢٣٦
- عرفجة بن هرثمة البارقى.....٢٠٨، ٦٥.....
- أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر.....٢٥٤
- عدي بن مسافر.....٩١
- علي بن أبي طالب.....٣١٠، ٢١٢، ٢٠٧، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢.....
- علي بن محمد بن يوسف الجزري.....٢٥٥
- عماد الدين ابن الشماع المارديني.....٢٥٠
- عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني.....٢٥٠
- عمر بن الخطاب ٤، ٢٢، ٦٥، ٨٠، ٩٨، ١٠٨، ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧،
١٣٥، ١٤٠، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠،
١٧٥، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٧٣، ٢٨١
- عمر بن عبد العزيز.....٢١٠، ١١٢، ٥٢.....
- عمير بن سعد.....٢٠٧، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٤٥، ١٢٤، ١٢٠، ٦٥.....
- عياض بن غنم ..٦٤، ٩٨، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦،
١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٤،
١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٧٣

غ

الغضنفر أبو تغلب..... ٢٣٦

ف

الفارقي ٥، ١٤١، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٦، ٢٨٤، ٢٧٤

فخر الدولة محمد بن جهير..... ٨٢

أبو الفداء ٢٩، ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٧، ١٨٩، ٣٠٣

أبو الفضل محمد بن محمد بن عطف الموصلي الجزري..... ٢٥٥

الفضيل بن أبي سعيد..... ٢١٨

ابن الفقيه الهمداني..... ١٢٧

ق

القعقاع بن عمرو التميمي..... ١٥٤

القلقشندي..... ٣١، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٦١، ٦٢، ٧٩، ٨٣، ١٠٨، ١٩٠، ٢١١، ٣٠٦، ٣٠٧

ك

كسرى..... ٨٧، ١٩٨، ١٩٩

م

ماركو بولو ٣٩، ٤٠، ٣٠٧

مجد الدين عيسى المارديني ٢٥١

مجدالدين ابن الأثير..... ٢٥٩

محمد بن أحمد المارديني التركماني..... ٢٥١

محمد بن عثمان المارديني ٢٥٢

محمد بن عمر الشيباني..... ٢١٨

محمد بن يوسف بن عبدالله الجزري الشافعي..... ٢٥٥

مروان بن الحكم ٢٠٦، ٩١، ٩٠، ١٣

مروان بن محمد... ٣٧، ٥٢، ٥٣، ١٩٠، ١٩٤، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٨٢

المسعودي ٣٠٧، ٢٢٠، ٢١٤، ٩٦، ٨٢، ٧٨، ٧٥، ٤١

أبي مسلم الخراساني..... ٢٢٥

مسلمة بن عبد الملك..... ١٩٥

المقدسي..... ٣٠٧، ١٠٧، ١٠٦، ٦٠، ٥٨، ٤٠، ٣٩، ٣٥، ٣٣، ٣٢

الملبد بن حرمة الشيباني..... ٢١٨

معاوية بن أبي سفيان ٢٠٨، ١٨٥، ١٧٠، ١٤٩، ٦٤

أبي موسى الأشعري..... ١٢٠

ن

ناصر خسرو ١٠٦

هـ

هارون الرشيد..... ٥١، ١٤

هرقل..... ٢١٦، ٢٠٠، ١٩٩، ١٧٦، ١٢٨، ١٢٦، ١١٧، ٨٨، ٧٩

هولاكو..... ٢٤٥، ٢٤٦

و

الواقدي . ٧٩، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥،

١٣٦، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٧٥، ٣٠٧، ٣٠٨

أبي الورد الكلابي..... ٢٢٨، ٢٢٩

الوليد بن طريف الشيباني..... ٢١٨

الوليد بن عبد الملك..... ٢١٠، ٢١١

الوليد بن عقبة..... ١٢٠، ١٢٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٧٥، ٢٠٧

ي

ياقوت الحموي ... ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠،

٥١، ٥٢، ٥٥، ٦٢، ٦٨، ٧٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١٤٠، ١٦٠، ١٨٣، ١٨٦،

١٨٩، ١٩٠، ٢٠٣، ٢١٩، ٣٠٨

يحيى بن بكران الجزري..... ٢٥٨

يزيد بن معاوية..... ٨٩، ٢٠٥، ٢٠٨

يعقوب المارديني..... ٢٥٣

فهرس القبائل والفرق

أ

- أراتقة..... ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٨٤
- آل عثمان ٨٤
- آل مروان..... ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٢١٧
- الآشوريين..... ٨٠ ، ٦٨ ، ٦٧
- الأمويين ٣٠٨ ، ٢٧٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ١١٤ ، ٩١ ، ٩٠ ، ١٣
- الإيلغازيين..... ٢٤٨
- إياد..... ١٧٥ ، ١٢٠ ، ٧٨ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٦٣ ، ١٢

ب

- باهلة..... ١٤٧
- بكر بن وائل..... ٢٨٣ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٩٧ ، ٧٨ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٣٥
- بني ذهل بن شيبان بن بكر ١٥٠
- بني زبيد..... ١٥١
- بني سليم..... ١٥١ ، ١٥٠ ، ٦٣
- بني شيبان..... ٢٨٣ ، ٢٢٣
- بني قشير..... ١٥١
- البويهيين ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٨٤

البيزنطيين..... ١١، ٧١، ٨٨، ٨٩، ٩٥، ١١٣، ١١٨، ١٣٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٨٩،

١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٧٩، ٢٨٠.

ت

المغول..... ٢٢، ١٠٥، ١٩٦، ٢٤٤، ٢٦٠، ٢٦١

ترك..... ٦٧، ٨٣، ٨١، ٢٢١، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨٠

التركمان..... ٦١، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٥١

تغلب. ١٢، ٤٦، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٤،

١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٨٠، ٢٨٣

تنوخ..... ٨٦، ١٢٠، ١٥٥، ١٨٨

ح

الحمدانيين..... ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٥٢٤٠.

خ

الخزر..... ١٩٢، ١٩٣، ٢١٠، ٢٨٣

الخوارج. ١٢، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣،

٢٨٣، ٢٣٤

ر

ربيعة... ٤، ١٥، ٢٥، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧١،

٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٢، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٥، ١٥٠،

١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٩، ١٨٦، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥،

٢٧٧

الروم..... ١٥، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٨، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٩٨، ١٠٤، ١٠٦، ١١٣، ١١٥،

١١٦، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٦،

١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٩،

٢٦٦، ٢٨٣

ز

الزراذشتية..... ٩٧

س

السلاجقة..... ٣٨، ٨٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٧٣

السلوقيين..... ٦٩

ص

الصابئة..... ٣٧، ٥٢، ٨٨، ٩٥، ٩٦

الصفرية..... ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠

الصفويون..... ٨٤

ض

ضبيعة..... ٧٢

ط

طيء..... ٧٣، ٨٦

ع

العباسيين..... ٣٨، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٨١، ٢٤٧، ٢٤٨

العثمانيين..... ٣١، ٩٣

العرب. ١٢، ١٤، ٣٢، ٣٥، ٤٣، ٤٨، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦،

٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٢، ١٣٠،

١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤،

١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٨،

٢٣٠، ٢٣١، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠

عقيل..... ٦١، ٨٦، ١٥١، ٢٤٠

عنزة..... ٧٢، ١٥١

غ

غفيلة..... ٧٣، ٧٦، ٧٨

ف

الفرثيين..... ٦٩

ق

قبيلة كلب..... ١٣

قريش..... ١٥٣ ، ١١٣

قضاة..... ٧٧ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٦٨ ، ٦٢

قيس.... ٦٣ ، ١٠٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،

٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

القيسية..... ١٢ ، ١٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢١٣ ، ٢٨٢

ك

الكلدانيون..... ٦٩

كندة..... ٧٧

م

المجوسية..... ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧

مرة..... ٦٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ١١٥ ، ١٥٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩

مضر .. ٤ ، ١٥ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٨ ،

١٠٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢

ن

نزار بن عدنان..... ٤٣

النساطرة..... ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٠

نصارى ٩٥ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٦٨ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ١٤ ، ٤

٢١٩، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ١٧٤ ، ١٤١، ١٧٣ ، ١٢٧ ، ١٢١ ، ١٠٤ ، ١٠٣

٢٢٤، ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٢٠٨ ، ٣١٠،

النمر ٢١٣ ، ٢٠٣ ، ١٧٨ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٧٣ ، ٦٣

ي

اليزيدية..... ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٩

يهود..... ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٧٩ ، ١٩٢ ، ١١٣ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٠ ، ١٤

فهرس الأماكن والبلدان

أ

- آثور.....٦٨
- أذربيجان.....٣٠، ٨٠، ٨٣، ١٧٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢٣١، ٢٤٥
- أذرمة.....٣٦، ٤٦، ٢٣٥
- أريل.....٢٥٨
- أرزن.....٣٦، ٤٨، ٨٠، ٢٤٤
- أرمينيا.....٣٦، ٤٠، ٥٣، ٥٩، ٦٠، ٨٠، ١٩٣، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٣١
- آسيا الصغرى.....٦٨، ١٩٢، ١٩٩
- آقور.....٦٨
- الأردن.....١١٥، ٢٠٦
- آمد ٣١، ٣٥، ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٧٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٩٠، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٣، ٣٠٩
- الأنبار.....٣٢، ٣٧، ١١٨، ١٦٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٨١
- أنطاكية.....٦٧، ١٠٦، ١١٧

ب

- البارعية.....١٣٠، ١٧٥
- بازيدى.....٤٤، ٤٥، ٨٥، ١٠٩، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٠، ٢٢٠

بأعربا. ٨٦.....

بأقردى ١٣٩ ، ١٠٩ ، ٨٥ ، ٤٤

بالس ٢٢٩ ، ١٨٧ ، ١٢٣ ، ٥٠ ، ٣٧ ، ٣٢

باهلة ١٤٧

بدليس ١٥٦ ، ٩٠

برقعيد ٢٣٥ ، ١٠٨ ، ٤٧

البصرة ٢٦٦ ، ٢٢٠ ، ١٦٤ ، ١٦٠ ، ١٥٢ ، ١٥٠ ، ٨٠

البليخ ١٠٣ ، ٥٢ ، ٥٠ ، ٤٦ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩

بيزنطة. ٣ ، ١١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١١٨ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

ت

تركستان ٨٣.....

تركيا ٢٨١ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٠

تكريت ٢٨١ ، ١٧٤ ، ٩٨ ، ٧٤ ، ٦٥ ، ٥٢ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ١٠

تل أعفر ٢٢٠ ، ٢١٤ ، ٤٨

تل سماوى ١٧٥

تل موزن. ٢١٣ ، ٤٧ ، ٤٦

تنوخ. ١٨٨ ، ١٥٥ ، ١٢٠ ، ٨٦

تهامة. ٧٧ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢

ث

ثغر كيسوم ١٩٠

ج

جزيرة ابن عمر .. ١٠، ١٤، ١٦، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٥، ٥٩،

٦٢، ٨٥، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٩، ١٤٠، ٢٢١، ٢٣٥،

٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢،

٢٩٢، ٣١٠

جزيرة الأكراد..... ٤٤

الجزيرة العربية ١٠، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥٢، ٦١، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢،

الجزيرة الفراتية ... ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥٢، ٦١، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢،

٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨،

١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١١٧، ١١٨، ١٢٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٧٥، ١٧٣،

١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،

١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،

٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧،

٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦،

٢٤٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٧،

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١

الجزيرة الفراتية العليا ١٠، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٢، ٦١، ٨٥، ٩٧، ٩٨، ٢٠١، ٢٢٣،

٢٩٠، ٢٣٤

ح

حران ١٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٥٠، ٥٢، ٥٩، ٩٥، ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣،

١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٩٨،

٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٥٩، ٢٦٠،

٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٨٣

حصن كركر ١٩٠

حصن كيفا ٣٥، ٤٩، ٧٢

حصن منصور ١٨٨، ١٩٠

الحضر ٤٨، ٦٦، ٦٧، ٧٠

١٣٣، ٢٦١

حلب ٣٧، ٩١، ٩٢، ١١٧، ١٥٥، ١٨٩، ١٩١، ٢٢٨، ٢٣٩، ٣٠٢

الحلة ١٠، ٣٢

الحيرة ٧١، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٤

حيزان ٤٨

خ

الخابور ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٦٢، ٦٩، ١٠٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٥١،

١٥٢، ١٦٨، ٢٣٨

خراسان..... ٢١٤ ، ١٨٧ ، ٨٣ ، ٣٠

خلاط ١٥٦ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ٣٦.....

د

دارا ١١ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠

دجلة ... ٣ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٩٧ ، ٢٢٥ ،

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٨١

دنيسر ١٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٥٩ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦٧

ديار بكر ... ٤ ، ١٠ ، ١٥ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠١ ،

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ٢٠٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٢

ديار ربيعة.... ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٧ ،

١٢٩ ، ١٦٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

ديار مضر ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٦٩

ر

رأس العين ١٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٣٥

الرافدين..... ٢٩ ، ١٣٩

الرافقة ٤٠ ، ١٤

الرحبة..... ٥٩، ٥١، ٣٧، ٣٢.....

الرقعة. ١٤، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٦٥، ٧٠، ١٠٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١،

١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٤٠، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٥، ١٩٠، ٢٠٣،

٢١٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٧٩

الرمادي..... ٢٠٣، ٣٢، ١٠.....

الرها..... ١٠، ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤١، ٥٢، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٨٠، ٨٦، ٨٨، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٣،

١٠٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦،

١٦٠، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٨، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥،

رودوس..... ١٣١.....

الروم..... ١٥، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٨، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٩٨، ١٠٤، ١٠٦، ١١٣، ١١٥،

١١٦، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٦،

١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٩،

٢٦٦، ٢٨٣

ز

زالخو..... ٩٢.....

زبطرة..... ١٨٨، ١٨٩.....

س

سروج..... ٣٧، ٤٦، ٥٢، ١٢٦.....

سعرت..... ٤٨ ، ٣٩

سميساط..... ٢٣٠ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٢٠ ، ٥٩ ، ٥٠ ، ٣٢

السن..... ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٢٠ ، ١٦٤ ، ١٥٠ ، ٣٥،٣٢.....

سنجار. ٢٦. ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٥٥ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٢٦.

٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩٧ ،

٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٣٠٩

سورية..... ٢٨١ ، ١٧٣ ، ٨٠ ، ٦٧ ، ٣٩ ، ٢٩ ، ١٠

ش

الشام... ١٠٠. ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٣ ، ٤٦ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ١٥ ، ١٣ ، ١١ ، ١٠

٧٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،

١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ،

٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٨

الشمسانية.....

شمشاط..... ١٨٨

ط

طبرزند..... ١٢٨

طرندة..... ١٨٦، ١٩٠

طنجة..... ١٨٧

طورعبدین..... ٨٠، ١٢٧

ع

عانة..... ٣٧، ٥٠، ٥١، ٧٣، ٧٦، ١٦٨، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٣٤

العراق..... ١٠، ١١، ١٣، ٢٩، ٣٠، ٥٣، ٥٩، ٦٨، ٧٢، ٧٤، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٨، ٩٩

١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٣،

١٦٥، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٤،

٢٠٩، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٠٨، ٣٠٩

عمورية..... ١٨٥

العین الحامضة..... ١٥٦

ف

فارس.. ٣، ١٠، ١١، ١٥، ٦٥، ٨٠، ٨١، ٩٨، ١١٣، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٤، ١٤٧، ١٦٠،

١٦٥، ١٦٦، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٣٧، ٢٤١،

٢٧٣

فافان..... ٤٤، ٤٩

الفدين..... ٦٤

الفرات. ١٠، ١١، ١٥، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢،
 ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٤، ٩٨، ١٠٥، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٩، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٧،
 ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٨١

ق

قبرص..... ١٨٧
 قرقيسيا..... ٣٧، ٤١، ٤٧، ٥١، ٧٠، ١٥١، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٣٠
 قرية واسط..... ٤٧
 قلعة الحدث..... ١٨٩
 قلعة الروم..... ٣٢
 قلعة بهسنا..... ١٨٩
 قلعة كمخ..... ١٩٠، ٢٨٠
 قنسرين..... ١٢٦، ٢٠٩، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩

ك

كرمان..... ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥
 كفرتوثا..... ٣٦، ٤٦، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ٢١٧
 كندة..... ٧٧
 الكوفة ١١٨، ١٢٠، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦،
 ٢٠٨، ٢١٧

ماردين ١٠، ١٦، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٤٥، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤،

٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٣، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،

١٠٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٧٧، ١٧٥،

١٩٧، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣،

٢٦٧، ٢٦٨، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٠٩

ماكسين..... ٤٧، ٦٤، ١٢٨، ٢٢٥

المدائن..... ١٢٨، ١٥٥، ١٧٤، ١٨٤، ١٩٩

مرج راهط..... ١٣، ٢٠٦

مرج رغبان..... ١٣١، ١٣٣

مرج مريتا..... ٢٠٣

مصر ٨٠، ٨٦، ١١٧، ١٧٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠،

٣١٠

مكران..... ١٦٠، ١٦١، ١٦٢

ملطية..... ٣٢، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠

منبج..... ٣٢، ٥٠، ١٥١

ميفارقين..... ٣١، ٣٥، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٩٨، ١٠٧، ١٢٤، ١٢٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥،

١٩٠، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤

الموصل..... ١٠، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٥، ٥٧، ٥٩،

٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣،

١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٩، ١٢٦، ١٣٠، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٣، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٥،
٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٣٠٤، ٣١٠

ن

نصيبين... ١٠، ١١، ١٦، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٤، ٥٧،
٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٦، ٨٠، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١١٩،
١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٥١، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٣، ١٧٦، ٢٠٢،
٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٤٤
نهر الهرماس ٤٤، ٩٩

ه

هيت ١٠، ٣٢، ٣٧، ٥٢، ٧٢، ١١٨، ١٦٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩

و

وادي الثرثار ٤٤، ١٤٩

ي

اليمن ٧٢، ١١٥، ٢١٣

اليرموك ١٥٥، ١٧٨، ٢٠١



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء.....	١
شكر وتقدير.....	٢
الملخص.....	٣
الفصل الأول جغرافية الجزيرة الفراتية وسكانها ومدنها.....	٢٥
المبحث الأول - التعريف بمسمى الجزيرة الفراتية وموقعها وحدودها وتضاريسها:.....	٢٦
المبحث الثاني - أقسام الجزيرة الفراتية:.....	٤٠
المبحث الثالث - الاقتصاد:.....	٥٠
المبحث الرابع - القبائل والأقوام في الجزيرة الفراتية العليا:.....	٥٨
المبحث الخامس - الطوائف الدينية في الجزيرة الفراتية العليا:.....	٨٢
المبحث السادس - مدن الجزيرة الفراتية العليا:.....	٩٤

١٠٧	الفصل الثاني الفتوح الإسلامية للجزيرة الفراتية العليا
١١٠	المبحث الأول - الاستعدادات النبوية الأولى للفتوحات:
١١٥	المبحث الثاني - الجزيرة الفراتية عشية الفتح الإسلامي:
١١٩	المبحث الثالث - الفتوح الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فتح مدن الجزيرة):
١٥٦	المبحث الرابع - قادة الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية العليا:
١٧٦	المبحث الخامس - موقف أهل الجزيرة من الفتوحات الإسلامية:
١٨١	المبحث السادس - الأسباب والعوامل التي ساعدت على فتح الجزيرة:
١٨٨	المبحث السابع - الثغور الجزرية:
٢٠١	الفصل الثالث الأوضاع السياسية والفكرية للجزيرة الفراتية في العديد من الحقب
٢٠٢	المبحث الأول - الجزيرة الفراتية العليا في العصر الأموي:
٢٢٤	المبحث الثاني - الجزيرة الفراتية العليا في العصر العباسي:
٢٣٥	المبحث الثالث - الجزيرة الفراتية العليا في زمن الحمدانيين:
٢٣٨	المبحث الرابع - الجزيرة الفراتية بين البويهيين والدولة الدوستكية الكردية:

٢٤٢	المبحث الخامس - الجزيرة الفراتية في العصر السلجوقي:
٢٤٥	المبحث السادس - استيلاء المغول على إقليم الجزيرة الفراتية:
٢٤٨	المبحث السابع - الحركة العلمية والفكرية:
٢٧٨	الخاتمة:
٢٨٦	الملاحق:
٣٠١	فهرس المصادر والمراجع:
٣١٦	الفهارس العامة
٣١٧	فهرس الآيات
٣١٩	فهرس الأحاديث النبوية
٣٢٠	فهرس الأعلام
٣٢٩	فهرس القبائل والفرق
٣٣٥	فهرس الأماكن والبلدان
٣٤٦	فهرس المحتويات